نبيل محمد حسن

تفنيد الشطط

نقد افكار احمد القبانجي وبيان اخطائه وتناقضاته

بغداد – آذار / مارس ٢٠١٢م

نبيل محمد حسن

تفنيد الشطط

نقد افكار احمد القبانجي

وبيان اخطاءه وتناقضاته

بغداد – آذار / مارس ٢٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

- **المقدمة ٥**
  - ✓ **خدعة ارتباط الوجدان بالله كاشعة الشمس بالشمس ٧**
- **اسلوب احمد القبانجي في معارضة الاسلام ٩**
  - ✓ **تهافت فكرة ان الوجدان هو مصدر القرآن الكريم ١١**
- **نقد محاضرات احمد القبانجي حول الهيرمنيوطيقا والالسنيات والتفسير الوجداني ١٤**
  - ✓ **محاضرة الهيرمنيوطيقا ١٤**
  - ✓ **معنى التأويل في الفكر الاسلامي ١٥**
  - ✓ **خطأ احمد القبانجي في رفض التأويل ١٧**
  - ✓ **خطأ تفسير كلام الله سبحانه بالهيرمنيوطيقا ١٨**
  - ✓ **هل القرآن مجرد حبر على ورق كما يزعم احمد القبامجي ! ٢١**
  - ✓ **اهمية الكتابة في علم الالسنيات ٢٣**
  - ✓ **هل النبي مفسر للوحي ٢٤**
  - ✓ **التأويل والمشبهة ٢٥**
  - ✓ **كانط والحواس الخمسة ٢٦**
  - ✓ **ترديده افكار المشبهة ٢٧**
  - ✓ **الموجودات والواقع الخارجي ٢٧**
  - ✓ **التفاسير والاختلافات العقائدية ٢٨**
  - ✓ **مباني الهيرمنيوطيقا ٢٨**
  - ✓ **محاضرة الالسنيات ٣٢**
  - ✓ **علاقة اللفظ بالمعنى الخارجي ٣٦**
  - ✓ **كلام الشيخ المظفر حول اللفظ والمعنى الخارجي ٤٠**
  - ✓ **بين معرفة الله سبحانه وفهم كلامه ٤٣**

- ✓ النظرية الرمزية البديلة ٤٤
- ✓ محاضرة التفسير الوجداني ٤٥
- ✓ التفسير الوجداني تفسير سفسطائي ٤٥

• نقد شبهات احمد القبانجي حول الاعجاز البلاغي في القرآن ٤٨

- ✓ فكر احمد القبانجي مستند لشبهات ٤٩
- ✓ القول بالصرفة ٤٩
- ✓ صفات الله عزَّوجل ٥٠
- ✓ اليرمنيوطيقا ٥٠
- ✓ إثبات إلهية القرآن الكريم ٥٢
- ✓ احمد القبانجي يجيز الكذب ٥٣
- ✓ اثبات صدق جبرائيل (عليه السلام) ٥٥
- ✓ الاعجاز البلاغي وتحدي الانس والجن ٥٥
- ✓ تحدى الجن القرآن ٥٧
- ✓ التحدي البلاغي الجماعي ٧٥
- ✓ عظمة نهج البلاغة دون عظمة القرآن ٥٨
- ✓ شبهات احمد القبانجي حول سورة الايلاف ٦٩
- ✓ شبهات احمد القبانجي حول سورة الرحمن (سبحانه وتعالى) ٧١
- ✓ شبهات احمد القبانجي حول قوله تعالى: ((الله نور السماوات والارض)) الاية ٨٣
- ✓ شبهات احمد القبانجي حول قوله تعالى: ((انّا احللنا لك ازواجك)) الاية ٨٥
- ✓ احمد القبانجي يدافع عن مسيلمة الكذاب ! ٨٧
- ✓ شبهات احمد القبانجي حول قوله تعالى: ((ليس على الاعمى حرج)) الاية ٨٧
- ✓ احمد القبانجي يفتري ان القرآن معجزة وجدانية ٨٩
- ✓ شبهات احمد القبانجي حول قوله تعالى: ((ثم خلقنا النطفة علقة)) الاية ٩١
- ✓ التخصص ضرورة ٩٣
- ✓ فوضى الوجدان ٩٤

- ✓ منع احمد القبانجي لحرية العبادة ٩٦
- ✓ نظرية احمد القبانجي والنظرية الاسلامية ٩٧
- ✓ شبهات احمد القبانجي حول العذاب الجماعي ٩٩
- ✓ سمات افكار احمد القبانجي ١٠١
- ✓ اعتراف احمد القبانجي بلا منطقية افكاره ١٠٢
- ✓ شبهات احمد القبانجي حول سورة المسد والابادة الجماعية ١٠٤
- ✓ القرآن فريد في نظمه وحفظه ١٠٧
- ✓ شبهات احمد القبانجي حول الابادة الجماعية وصفات الله سبحانه ١٠٧

- نقد شبهاته حول إقدام النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) على ذبح أبنه ١١١
- نقد شبهاته حول قصة اصحاب الفيل ١١٤
- نقد شبهاته حول قصة قتل الغلام ١١٩
- قراءة في كتاب النفس في دائرة الفكر الاسلامي لأحمد القبانجي والكشف عن المزيد من تناقضاته الفكرية ١٢١
- تهافت مزاعم تاريخية القرآن ١٢٤
- بين الدوغمائية والرسوخ العقائدي ١٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تقوم اساس دعوة احمد القبانجي التي وضع لها عنوان (وجدان) على مزاعم انه ليس هناك انبياء وليس هناك رسل من الله الى الخلق بل ان الله مرتبط بالبشر من خلال "الوجدان الاله" الصادر عن الله تعالى كصدور اشعة الشمس عن الشمس ، على حد تعبيره. وهذا "الوجدان الاله" يقبع داخل الانسان ، وفي داخل كل انسان هناك "اله – وجدان" خاص به ، ولذلك فعلى كل انسان ان يعمل بوجدانه وليس بوجدان شخص آخر حتى لو كان ذلك الشخص الآخر يزعم انه نبي!!

والأسس التي وضعها احمد القبانجي لنفسه وذكرها في محاضراته هي مزاعمه التالية:

. **القرآن فيه اخطاء وغير صادر من الله سبحانه !** وهي دعوى قديمة نادى بها المبشرون النصارى والمستشرقون من خصوم الاسلام فعاد احمد القبانجي ليحييها من جديد !

. **الوجدان في داخل كل انسان هو وجدان صغير مرتبط بالله ارتباط اشعة الشمس بالشمس !**

. **كل وجدان معصوم.**

. **وجدان النبي هو مصدر القرآن وليس الله عز وجل ، فالنبي كما يزعم احمد القبانجي صادق ولم يختلق القرآن ولم ينسبه زوراً الى الله بل توهم ان القرآن من الله تعالى بينما هو من وجدانه ، فالنبي اخطأ في فهم وجدانه !**

وهنا تبرز الى الساحة النقدية عدة اثارات:

. **لم يبين احمد القبانجي مفهومه للوجدان ولا حدود حركة الوجدان ومهمته ولا ضوابط عمله ولم يبين الدليل على وجود الوجدان.**

. **لماذا لم يقم الوجدان الاله بتصحيح فهم النبي وخطأه حينما نسب القرآن لله سبحانه بدلاً من وجدانه !! ولماذا اخطأ الانبياء السابقون كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام في فهم وجدانهم**

ونسبوا كل الكتب التي جاؤا بها الى الله عزَّ وجل بينما هي صادرة عن وجدانهم بحسب فرضية احمد القبانجي ؟!!

. كيف يكون النبي غير معصوم ووجدانه معصوم مع ان الوجدان هو جزء لا يتجزأ من النبي وفكره وما يصدر عنه من قول وفعل!!

. ما فائدة وجود وجدان معصوم اذا كان المتلقي غير معصوم وهو النبي.

. لماذا لم يتدخل الله سبحانه مباشرة لتصحيح فهم النبي لوجدانه ؟

. هل ان وجدان النبي ناطق بأمر الله ام باستقلال عنه. فاذا كان بأمر الله فهو نفس دور الوحي وان كان باستقلال فذلك يعني تعدد الآلهة حيث ان احمد القبانجي يقول ان الوجدان هو اله صغير داخل الانسان!

. احمد القبانجي اعترض في محاضرته (حقيقة الوحي) وقال ما يدرينا ان جبريل كان صادقاً في نقله للقرآن ؟! ونحن بدورنا نقول ما يدرينا ان وجدان النبي كان صادقاً ومعصوماً. فاحمد القبانجي يدعي ان الوجدان معصوم ولكننا لا نعلم صحة هذه القضية اذ لا دليل عليها ، واحمد القبانجي لم يذكر دليلاً على عصمة الوجدان!

. لنفترض ان القرآن صادر عن وجدان النبي وان فيه اخطاء ، مجرد فرضية ، وفرض المحال ليس بمحال ، فلماذا لم يصدر عن وجدان شخص آخر قرآن آخر ؟! لماذا اصبح وجدان النبي هو المنبع الوحيد للقرآن رغم الاخطاء الموجودة فيه بحسب زعم احمد القبانجي؟ الا يكشف تفرد وجدان النبي بصدور القرآن عنه ان الله اختار هذا النبي لنقل القرآن من خلال وجدانه ، حيث يقول احمد القبانجي كما اسلفنا ان الوجدان مرتبط بالله كارتباط اشعة الشمس بالشمس ، اذن وجدان النبي مرتبط بالله سبحانه وتفرد هذا الوجدان بالقرآن يعني انه بأختيار من قبل الله عز وجل.

. اذا كان الوجدان الالهي مرتبط بالله تعالى وصدر عن الوجدان القرآن اذن فالقرآن الصادر عن الوجدان هو قرآن ليس فيه اخطاء كما ان النبي صادق ولم يتعمد الكذب اذن فان مصدر الخطأ هو بين النبي ووجدانه !! أي بانتقال القرآن من وجدان النبي الى النبي !! فما هو مصدر هذا الخلل لماذا

كانت العلاقة بين النبي ووجدانه فيها خلل بحيث كان هناك فهم خاطيء !! وهل من المعقول ان لا يفهم الانسان وجدانه ؟! اذن كيف يزعم احمد القبانجي ان الانسان مرتبط بالله من خلال الوجدان اذا كان يفهم الوجدان بصورة خاطئة وليست هناك قناة صافية بينهما ؟! اذن لا يمكن للانسان ان يتصل بالله من خلال الوجدان لأن قناة الاتصال يمكن ان تكون ضبابية تؤدي الى فهم خاطيء !!!

اذن بناءا على ما تقدم لا يمكن للوجدان ان يؤدي دوره كوسيط بين الله والانسان. فهل يعلم الله هذا القصور في العلاقة بين الانسان ووجدانه ، بكل تاكيد يعلم ذلك ولذلك لم تكن هناك علاقة مباشرة بين الانسان والله من خلال الوجدان بينما كانت العلاقة هي بين الله والنبي من خلال الوحي ثم يقوم النبي ببيان اوامر الله للناس من خلال دعوتهم وارشادهم. ودور النبي هنا يتطلب ان يكون معصوما لكي يفهم الوحي بصورة تامة ويبلغه بصورة تامة ، كما يتطلب ان يكون الوحي صادقا في نقل اوامر الله سبحانه بكل دقة وامانة. وهذا هو عين قول المسلمين ونظرتهم العقائدية.

خدعة ارتباط الوجدان بالله كاشعة الشمس بالشمس:

انكر احمد القبانجي كل صنوف الاعجاز في القرآن الكريم سواء البلاغي او الغيبي او التاريخي او العددي انكرها كلها قاطبة وقال ان فيه اعجازاً وحيداً اطلق عليه اسم "الاعجاز الوجداني" ويقصد فيه ان اعجاز القرآن من جهة نظمه التي تشعر المتلقي بان جهة عليا تخاطب البشر وحيث انه يتصور ان مصدر القرآن هو داخلي اي داخل النبي ومن وجدانه الامر الذي لم يمكن آخرين من نظم خطاب مثله !!!!! المهم ان احمد القبانجي وهو ينكر وجود كافة صنوف الاعجاز الموجودة في القرآن الكريم والتي يعرفها المسلمون فهو قد وقع في تناقض عجيب لأنه نفسه يقول ان الوجدان يرتبط بالله كارتباط اشعة الشمس بالشمس !! اذن ان وجدان النبي الذي انتج القرآن بحسب قوله هو وجدان مرتبط بالله سبحانه وما يصدر عنه هو من الله والا فما هي فائدة الارتباط المذكور !! اذن كيف يقبل احمد القبانجي ان يقول ان الوجدان مرتبط بالله وان الوجدان انتج القرآن ويرفض ان يكون القرآن فيه اعجاز !! فهل يعجز الله عن ان يأتي باعجاز علمي في القرآن ؟!! اذن هذه القضية تكشف بوضوح

تام ان قصد احمد القبانجي بقوله ان القرآن هو نتاج وجدان النبي يعني ان مصدر القرآن منقطع عن الله وغير مرتبط بالله وليس لله دور في انتاجه بخلاف الشمس التي لها دور في انتاج اشعتها !!

اكرر ان اطروحة احمد القبانجي تؤدي الى القول بانه ليس لله دور في انتاج القرآن بخلاف الشمس التي لها دور في انتاج اشعتها !! بل لله دور في انتاج الوجدان والذي قد يفهم بصورة خاطئة من قبل الانسان !!؟ اذن ما فائدة وجود هذا الوجدان غير المفهوم بصورة تامة من قبل الانسان ؟!!

ويكشف بوضوح ان مزاعم ارتباط الوجدان بالله هي خدعة لغرض التمويه على الناس لأن قوله بإرتباط الوجدان بالله كإرتباط اشعة الشمس بالشمس لا تفيد شيئاً وليس لها قيمة ولم تنتج القرآن!!

ومن جهة اخرى فإنَّ احمد القبانجييقول بأنَّ كل وجدان معصوم ، ولكنه ايضاً في محاضراته يقول ان الوجدان يختلف بين شخص وآخر قوة وضعفاً ، فكيف يكون ضعيفاً وهو معصوم ؟ ثم هو لم يبين لنا اصلا ما هو مفهومه للوجدان وما هو الدليل على وجوده ، وما هو الدليل على عصمة الوجدان؟ وما هي فائدة عصمته ؟

ولماذا لم يظهر وجدان لشخص آخر ياتي بقرآن آخر حيث زعم ان القرآن هو نتاج وجدان النبي صلى الله عليه وآله ؟

وهل الوجدان يعلم الغيب والا فكيف علم ان القرآن سيبقى محفوظاً من التغيير والضياع والتحريف ؟

فهلا ذكر لنا احمد القبانجي ما هي فائدة ارتباط الوجدان بالله وما هي فائدة عصمة الوجدان ما دام لا يتمكن من الاتيان بقرآن معجز ؟! وما دام الانسان لا يتمكن من فهم وجدانه بصورة صحيحة دائماً حيث قد يخطيء في فهمه له!!

اسلوب احمد القبانجي في معارضة الاسلام

حاول احمد القبانجي لغرض بث شبهاته ضد الاسلام عامة والقرآن الكريم خاصة حاول ان يوفق بين ادعائه ان مصدر القرآن هو النبي ودواخله الوجدانية وليس مصدراً خارجياً مرتبطاً بالله سبحانه هو الوحي ! وبين ان يكون لهذا القرآن اعجاز فريد خارج حدود وامكانيات البشر ، فكيف يكون القرآن من داخل النبي ووجدانه وكيف تمكن هذا الوجدان من ان ياتي بمعجزة القرآن وهو ما لم يتمكنه كل الانس والجن مجتمعين ، هذا القرآن العظيم الذي تحدى بتحدٍ فريد من نوعه لم يكن مثله لا قبل القرآن ولا بعده ولم يصدر عن انسان مثله حيث لم يتجرّأ احد من البشر بالقول ان نتاجه الادبي لا يمكن للانس والجن ان يأتوا بمثله ثم لا يتمكنون ذلك فعلاً !

فكانت محاولته المذكورة هي عبر استخدام اسلوب يمكن ان نطلق عليه اسم "اسلوب التنكير والاعراض" ، ومقصودنا بهذا الاسلوب انه يستغل جهل الناس وعدم معرفتهم ببعض معاني آيات القرآن الكريم نتيجة الفارق اللغوي الحالي بين ما يستخدمه الناس من لغة معاصرة غالبيتها عامي المصدر وبين الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم فينكر فهم بعض الآيات القرآنية وينكر بلاغتها اللغوية تبعاً لأنكار فهمها !! وكذلك فهو يعرض عن اللجوء للتفاسير المتخصصة للقرآن الكريم لمعرفة المعاني التي جهلها او انكرها !! مستخدماً عوضاً عن ذلك التفسير بالرأي فيفسر الآيات الكريمة برأيه الشخصي بدون اي اداة تفسيرية مقبولة. مع العلم ان التفسير هو علم مستند الى مجموعة كبيرة من العلوم اللغوية والمعرفية ولا يصح ان يقوم شخص بتفسير آية وهو غير مؤهل لذلك لأنه في هذه الحالة سيدلوا بغير دلوه !! ولذلك ورد النهي في الاحاديث الشريفة عن تفسير القرآن الكريم بالرأي ، والمسلمون بمذاهبهم الشائعة كافة مجمعون على منع التفسير بالرأي ليس احتكاراً لتفسير القرآن الكريم وانما اعمالاً للاختصاص العلمي للوصول الى نتيجة صحيحة .

فسلك احمد القبانجي اسلوبه المذكور بإنكار الاعجاز البلاغي لبعض آيات القرآن الكريم استناداً لمنهجه الذي بيناه ! فمثلاً تجده يطعن في علمية آية خلق الانسان فكذب وقال ان اللحم يخلق قبل العظام وليس كما مذكور في القرآن مع ان العلم يشهد بصحة القرآن والعديد من العلماء المختصون بالطب اسلموا واعلنوا صحة هذه الاية الكريمة واعجازها كونها صدرت قبل أربعة عشر قرناً وسط عالم مغمور بالجهل آنذاك ، وابرزهم هو الفرنسي موريس بوكاي.

كما انكر احمد القبانجي الاعجاز الغيبي للقرآن الكريم متخذا مثالاً واحداً هو سورة اللهب فزعم انه لا يعرف تأريخياً ان سورة اللهب نزلت في حياة ابي لهب !! مخالفاً كل الروايات الاسلامية المعتبرة التي تنص على ذلك وتنص على انها سورة مكية وان وفاة ابي لهب كان بعيد معركة بدر في السنة الثانية للهجرة. فالاعجاز الغيبي لهذه السورة انها اخبرت ان ابا لهب سيموت كافراً قبل سنوات من موته فعلاً ، وكان يمكن لأبي لهب بكل سهولة ان يسخر من القرآن ومن النبي ومن المسلمين بان يعلن اسلامه ظاهرياً ليكذب القرآن وليقول للمسلمين كيف يقول قرآنكم اني اموت كافراً وقد اعلنت اسلامي ، ولكن هذا لم يحصل وصدق القرآن الكريم واثبت اعجازه في الاخبار عن الغيبيات. هذا الامر انكره احمد القبانجي بنفس اسلوبه المشار اليه آنفاً وهو "التنكير والاعراض" فمن جهة انكر ان تكون سورة اللهب قد نزلت في حياة ابي لهب ومن جهة اخرى اعرض عن الرجوع للروايات التاريخية ليعرف منها حقيقة تسلسل الاحداث.

وقد فات احمد القبانجي ان في القرآن اعجازاً غيبياً لا يملك ان ينكره ولا احد من العالمين الا تعنتاً وهو اعجاز اخبار القرآن الكريم بحفظه من التبديل والتغيير والضياع بقوله تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)). هذه الآية العظيمة وكل آيات القرآن عظيمة ، تؤكد منذ اكثر من اربعة عشر قرناً ان القرآن الكريم لن يضيع ولن يتغير ولن يتبدل ولن يزيد فيه ولن ينقص منه ، وهي تكشف بوضوح عن ان الاعجاز الغيبي موجود لا محالة في القرآن الكريم وان اي وجدان في العالم لا يمكنه ان يعلم الغيب ويجزم بمثل ما جزم به القرآن الكريم العظيم.

وحاول احمد القبانجي ان يلتف على الاعجاز التشريعي العظيم للقرآن الكريم فضرب مثلاً بتشريع الديات والتعويض عن الاضرار فقال ان هذه التشريعات الاسلامية لم تعد نافعة في زماننا هذا لوجود شركات التامين !! مع ان الديات والتعويض عن الاضرار هي مسألة شخصية تشمل كافة شؤون الحياة والتي لا تصل يد التأمين اليها. كما ان التأمين يتكفل للمتضرر بالتعويض ولكنه اذا كان بمعنى اعفاء المذنب من تحمل مسؤولية عمده او تقصيره والذي تسبب في ايقاع الضرر وهو المعنى الذي يقصده احمد القبانجي ، فهذا امر غير صالح للحياة لأنه بخلاف مبدأ ردع الاساءة بالعقوبة والتي تقوم عليها القوانين المدنية الحديثة والتي تتفق مع الاسلام بقوله تعالى: ((وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)).

اذن الاعجاز القرآني بوجوهه المتعددة تكشف عن ضحالة فكرة ان يكون منتجاً وجدانياً ، لأننا رأينا المنتجات الوجدانية للبشر من نثر وخطابة وشعر رغم روعة ومتانة بعضها وفي قمتها نصوص نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) الا انها لا ترقى الى مستوى بلاغة القرآن الكريم ولا صنوف الاعجاز التي فيه.

تهافت فكرة ان الوجدان هو مصدر القرآن الكريم:

قال أحمد بن أحمد بن عجيبة الحسني المتوفى سنة ١٢٢٤ هـ في كتابه (الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية) ما نصّه: (الحقيقة شهود القدس وإنما لم يحيلوه على الحقيقة، أي لم يطلعوه عليها قبل استيفاء الطريقة، لأن الحقيقة أمرها هائل لا ينالها إلا الشجاع الصائل، وفي ذلك يقول الشيخ الجيلاني (كذا في عينته): وإياك جزعا لا يهولك أمرها * فما نالها إلا الشجاع المقارع... فلا تطاق إلا بعد موت النفوس وحط الرؤوس وتصفية البواطن من الأغيار وتحليتها بالأنوار، فمن أطلع عليها قبل ذلك خيف عليه التزندق، لأن الحقيقة لا تدرك بالعلم، وإنما هي أذواق ووجدان، نعم: قد تكون علما، ثم تصير ذوقا، لمن راض نفسه بالشريعة، وعظم صدقه، فإنه يأخذها علما وتصير ذوقا).**

ويمكن ان نعرف مفهوم الوجدان في الفكر الصوفي بانه (أمر يبعث على تنمية المشاعر وتحصيل مكارم الأخلاق)[١] ، فهو حالة شعورية للانسان وهذا المفهوم الصوفي للوجدان لا يساعد احمد القبانجي في ادعائه المذكور حول مصدرية الوجدان للقرآن لأن مجرد تنمية مشاعر الانسان لا يعني انه يتمكن من ان يتحول الى منتج للقرآن العظيم.

واحمد القبانجي وهو يطلق على نفسه ومنهجه اسم (العرفانيون الجدد) يحاول ان يصبغ نفسه بصبغة صوفية لكنه شط بالقول عنهم فذهب الى أنَّ القرآن هو نتاج وجدان محمد ، ويعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهو كلام بعيد عن المنطق لأن الوجدان الشعوري لا يمكنه ان يتحول الى وجدان الهي منتج للوجدان ويرتبط بالله مباشرة ويصبح اله صغير داخل الانسان على حد تعبير احمد

[١] المعجم الصوفي للدكتور محمود عبد الرزاق ، ج٣ ص١٣٨.

القبانجي ! لأن مجرد تنمية مشاعر الانسان لا يعني انه يتمكن من ان يتحول الى منتج للقرآن كما اسلفنا.

فاذا كان وجدان النبي هو المنتج للقرآن فلماذا عجز وجدان مليارات البشر من ايجاد قرآن مماثل ، رغم ان آلاف البشر قد ساروا في درب العرفان والتصوف ودخلوا الخلوات وعملوا على تنمية حالتهم الشعورية وتحصيل مكارم الاخلاق والتسامي بوجدانهم ولكن من دون ان يتمكنوا ان ينتجوا القرآن الكريم او مثله.

فالوجدان وفقاً لمفهوم احمد القبانجي ليس له سمة محددة ولا ابعاد معروفة ولا كينونة واضحة اذ انه ليس مجرد مشاعر نامية متسامية !! ولذلك فقد عمد احمد القبانجي الى فكرة تفيد بأن الوجدان هو اله داخل الانسان وانه مرتبط بالله كارتباط اشعة الشمس بالشمس ، ولكن نفس الوجدان المذكور غيرمرتبط بالانسان رغم انه يقبع داخل الانسان !! حيث يمكن ان يخطيء الانسان في فهم وجدانه وبذلك يحصل الانقطاع بين الوجدان والانسان اي اي بين الله والانسان بطريق اولى!!

إنَّ دعوى صدور القرآن عن وجدان النبي (صلى الله عليه وآله) سبق احمد القبانجي للقول بها الاب روبير كاسبار المبشر النصراني المعروف حيث نسب الوحي القرآني الى ما اطلق عليه اسم "الهالة النبوية" ! يقول الدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن : (كما أن الأب روبير كاسبار المستشرق والمنصِّر واللاهوتي المعروف، وأستاذ الدراسات الإسلامية والمستشار البابوي لشؤون غير المسيحيين والذي كان مسؤولا عن إعداد مسودة الفقرات الخاصة بالإسلام لعرضها على المؤتمرين في المجمع الفاتيكاني، قد بيّن في لحظة مصارحة مع النفس أن تطبيق معايير الوحي الإلهي على الوحي القرآني تثبت أنه في الجملة وحي إلهي صحيح تلقاه محمد من خلال الهالة النبوية) . مخالفاً بذلك بقية المستشرقين القائلين بان الوحي هو كلام محمد (صلى الله عليه وآله) الذي انتجه من معارف مجتمعه وعصره !! وما يقصده الاب كاسبار بالهالة النبوية هو تعبير غير واضح المعالم وربما اراد ان يقول ان الهالة النبوية هي استعداد النبي الروحي للسمو الى درجة النبوة لا النبوة الفعلية !! اي استعداد النبي الداخلي . او اي شخص آخر ! - لبلوغ درجة النبوة لا انه فعلاً نبي ، وينمو ذلك الاستعداد من خلال تعبده ، فيكون مقصد كاسبار ان الوحي القرآني هو نتيجة ذلك الاستعداد النبوي الداخلي والهالة التي تحيط بالنبي والتي هي داخلية المصدر !! وهو نفس مقصود احمد القبانجي الذي استبدل مصدر

الوحي الداخلي الذي تشكل الهالة مظهراً له بتعبير الوجدان فهو اختلاف لفظي فقط والنتيجة واحدة هي انهما متفقان على انه ليس هناك وحي من الله سبحانه وان النبي ليس رسول الله ولا القرآن كلام الله سبحانه بل ان القرآن قد صدر من الاستعداد الداخلي الروحي للنبي وصفاءه وهو ما يسميه المبشر كاسبار بالهالة النبوية وما يسميه احمد القبانجي بالوجدان !!

وهناك قضية غاية في الخطورة ينبغي التنبيه عليها وهي ان احمد القبانجي في محاضرته (نقد الاعجاز البلاغي في القرآن) قال ان العقلاء يحكمون بجواز الكذب لجلب مصلحة ما !! فالظاهر انه يتبنى هذا المنهج توسلاً للطعن في الاسلام العظيم عامة والقرآن الكريم خاصة وهذا المنهج يعني اننا لا يمكن ان نثق بأي كلام يصدر عن هذا الشخص لأنه قد يكون استعمل منهج جواز الكذب في نشر افكاره كما بينا آنفاً في قضية كذبه بأن قال ان اللحم يخلق قبل العظام بخلاف الحقيقة التي يجمع عليها العلماء والاطباء كافة بأن الهيكل العظمي هو الذي يتكون اولاً.

هذه خلاصة بيانية لمنهجه واسلوبه في معارضة الاسلام والطعن فيه وهو قد يظن انه بذلك يحسن صنعاً ، كما في قوله تعالى: ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)) صدق الله العليُّ العظيم.

نقد محاضرات احمد القبانجي حول الهيرمنيوطيقا والالسنيات والتفسير الوجداني

قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ((قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)). صدق الله العلي العظيم.

ثلاث محاضرات استهدف احمد القبانجي فيها اثارة التشكيكات في العقيدة الاسلامية عامة وفي التفاسير الاسلامية للقرآن الكريم خاصة وحاول عاجزاً ايجاد بديل للتفسير الاسلامي للقرآن الكريم دون جدوى بل نجده قد وقع في المزيد من التناقضات.

ثلاث محاضرات حول الهيرمنيوطيقا والالسنيات والتفسير الوجداني عجز فيهن جميعاً ان يقدم بديلاً مقبولاً للتفسير المذكور ! بل لم يقدم فهماً صحيحاً لبعض هذه المصطلحات نفسها !! فوقع في تناقضات واخطاء عديدة ونسب لهذه العلوم ما ليس منها !!

محاضرة الهيرمنيوطيقا:

تعني كلمة الهرمينوطيقا l'herméneutiqe علم او فن التاويل واذا اردنا ان نستخدم عبارة ادق استناداً الى شلايرماخر Schleiermacher نجد انها تعني "فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم" ويقول غادامير: (يعترف شلايرماخر بالهيرمينوطيقا على انها فن تفادي عدم الفهم. طبعاً لا يتعلق هنا الامر بوصف خاطيء تماماً للنشاط التأويلي: عزل او استبعاد . وفق تفكير منهجي ومحكم . ما هو غريب ويؤدي الى عدم الفهم والقادم من تخوم الزمن وتبدلات العادات الالسنية وتحول دلالة العبارات وانماط التفكير)[٢].

[٢] التأويل / هانس غيورغ غادامير / ترجمة محمد شوقي الزين / الدار العربية للعلوم ، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م – ص١٠٥.

ويعود استخدام هذا المصطلح للدلالة على هذا المعنى الى سنة ١٦٥٤م[٣]. وهناك من يترجمها "علم التأويل" و"نظرية التاويل" و"التاويلية" و"نظرية التفسير" واخيراً تعريب نصر حامد ابو زيد الهيرمنيوطيقا[٤]. ويقول محمد شوقي الزين: (أننا ترجمنا كلمة (Herméneutique) بـ فن التأويل تمييزاً لها عن التأويل بمعنى (interprétation) والعلة في ذلك سنذكرها في معرض تحليلنا لهذه الكلمة. الملاحظ أن البعض يفضل تعريبها بـ علم التأويل ويفضل البعض الآخر تعريبها بـ هيرمينوطيقا لأنها أقرب إلى روح الكلمة نفسها مثلما نقول ميتافيزيقا وفينومينولوجيا وبيولوجيا...)[٥].

معنى التأويل في الفكر الاسلامي:

اختلف المفسرون المسلمون في معنى التأويل على اربعة معاني:

الاول: (فسر قوم من المفسرين التأويل بالتفسير وهو المراد من الكلام وإذ كان المراد من بعض الآيات معلوما بالضرورة كان المراد بالتأويل على هذا من قوله تعالى " وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله الآية هو المعنى المراد بالآية المتشابهة فلا طريق إلى العلم بالآيات المتشابهات على هذا القول لغير الله سبحانه أو لغيره وغير الراسخين في العلم)[٦].

الثاني: (وقالت طائفة اخرى أن المراد بالتأويل هو المعنى المخالف لظاهر اللفظ وقد شاع هذا المعنى بحيث عاد اللفظ حقيقه ثانية فيه بعد ما كان بحسب اللفظ لمعنى مطلق الارجاع أو المرجع . وكيف كان فهذا المعنى هو الشائع عند المتأخرين[٧] كما أن المعنى الاول هو الذي كان شائعا بين قدماء المفسرين سواء فيه من كان يقول إن التأويل لا يعلمه إلا الله ومن كان يقول إن الراسخين في العلم أيضا يعلمونه كما نقل عن ابن عباس أنه كان يقول : أنا من الراسخين في العلم وأنا أعلم تأويله)[٨].

---

[٣] من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة / عبد الكريم شرفي / الدار العربية للعلوم ، الطبعة الاولى ٢٠٠٧م ـ ص١٧.
[٤] المصدر السابق.
[٥] كلافيس هيرمينوطيقا مفتاح التاويل في قراءة التراث الانساني / مجلة فكر ونقد ، السنة الثالثة ، ابريل ٢٠٠٠ ، الرباط المغرب.
[٦] تفسير الميزان / الطباطبائي – ج٣ ص٤٤.
[٧] ومن الواضح ان احمد القبانجي يقصد هذا المعنى للتاويل حينما يذكره ويمنعه اقتداءاً بالمشبهة.
[٨] تفسير الميزان / الطباطبائي – ج٣ ص٤٤.

الثالث: (وذهب طائفة اخرى إلى أن التأويل معنى من معاني الآية لا يعلمه إلا الله تعالى أو لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم مع عدم كونه خلاف ظاهر اللفظ فيرجع الامر إلى أن للآية المتشابهة معاني متعددة بعضها تحت بعض منها ما هو تحت اللفظ يناله جميع الافهام ومنها ما هو أبعد منه لا يناله إلا الله سبحانه أو هو تعالى والراسخون في العلم . وقد اختلفت أنظارهم في كيفية ارتباط هذه المعاني باللفظ فإن من المتيقن أنها من حيث كونها مرادة من اللفظ ليست في عرض واحد وإلا لزم استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد وهو غير جائز على ما بين في محله فهي لا محالة معان مترتبة في الطول فقيل إنها لوازم معنى اللفظ إلا أنها لوازم مترتبة بحيث يكون للفظ معني مطابقي وله لازم وللازمه لازم وهكذا وقيل إنها معان مترتبة بعضها على بعض ترتب الباطن على ظاهره فإرادة المعنى المعهود المألوف إرادة لمعنى اللفظ وإرادة لباطنه بعين إرادته نفسه كما أنك إذا قلت اسقني فلا تطلب بذاك إلا السقي وهو بعينه طلب للارواء وطلب لرفع الحاجة الوجودية وطلب للكمال الوجودي وليس هناك أربعة أوامر ومطالب بل الطلب الواحد المتعلق بالسقي متعلق بعينه بهذه الامور التى بعضها في باطن بعض والسقي مرتبط بها ومعتمد عليها)[٩].

الرابع: (وهو أن التأويل ليس من قبيل المعاني المرادة باللفظ بل هو الامر العيني الذي يعتمد عليه الكلام فإن كان الكلام حكما إنشائيا كالامر والنهي فتأويله المصلحة التي توجب إنشاء الحكم وجعله وتشريعه فتأويل قوله أقيموا الصلاة مثلا هو الحالة النورانية الخارجية التي تقوم بنفس المصلي في الخارج فتنهاه عن الفحشاء والمنكر وإن كان الكلام خبريا فإن كان إخبارا عن الحوادث الماضية كان تأويله نفس الحادثة الواقعة في ظرف الماضي كالآيات المشتملة على أخبار الانبياء والامم الماضية فتأويلها نفس القضايا الواقعة في الماضي وإن كان إخبارا عن الحوادث والامور الحالية والمستقبلة فهو على قسمين فإما أن يكون المخبر به من الامور التي تناله الحواس أو تدركه العقول كان أيضا تأويله ما هو في الخارج من القضية الواقعة كقوله تعالى وفيكم سماعون لهم " التوبة - ٤٧ وقوله تعالى " غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين " الروم - ٤ وإن كان من الامور المستقبلة الغيبية التي لا تناله حواسنا الدنيوية ولا يدرك حقيقتها عقولنا كالامور المربوطة بيوم القيامة ووقت الساعة وحشر الاموات والجمع والسؤال والحساب وتطائر الكتب أو كان مما هو

[٩] تفسير الميزان / الطباطبائي – ج٣ ص٤٤ و٤٥.

خارج من سنخ الزمان وإدراك العقول كحقيقة صفاته وأفعاله تعالى فتأويلها أيضا نفس حقائقها الخارجية . والفرق بين هذا القسم أعنى الآيات المبينة لحال صفات الله تعالى وأفعاله وما يلحق بها من أحوال يوم القيامة ونحوها وبين الاقسام الاخر أن الاقسام الاخر يمكن حصول العلم بتأويلها بخلاف هذا القسم فإنه لا يعلم حقيقة تأويله إلا الله تعالى نعم يمكن ان يناله الراسخون في العلم بتعليم الله تعالى بعض النيل على قدر ما تسعه عقولهم وأما حقيقة الامر الذي هو حق التأويل فهو مما استأثر الله سبحانه بعلمه . فهذا هو الذي يتحصل من مذاهبهم في معنى التأويل وهي أربعة)[١٠].

غير ان السيد الطباطبائي ذكر معنى آخر للتأويل فقال: (أن الحق في تفسير التأويل أنه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة وأنه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالالفاظ بل هي من الامور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الالفاظ وإنما قيدها الله سبحانه بقيد الالفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب فهى كالامثال تضرب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع كما قال تعالى " والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في ام الكتاب لدينا لعلى حكيم " الزخرف - ٤ وفي القرآن تصريحات وتلويحات بهذا المعنى. على أنك قد عرفت فيما مر من البيان أن القرآن لم يستعمل لفظ التأويل في الموارد التي استعملها وهي ستة عشر موردا على ما عدت إلا في المعنى الذي ذكرناه)[١١].

خطأ احمد القبانجي في رفض التأويل:

يتعلق علم الهيرمنيوطيقا بفهم النصوص البشرية الادبية وغيرها ، ورغم ان القرآن الكريم هو ليس نصاً بشرياً بل هو كلام الله سبحانه الا ان احمد القبانجي جحد ذلك وروّج لفهم آيات القرآن الكريم من خلال الهرمينوطيقا واعلن رفضه لكل تأويل مطلوب لفهم حقيقي للقرآن الكريم ! وقد سبق ان بيّنا ان التاويل الذي يقصده احمد القبانجي هو (المعنى المخالف لظاهر اللفظ). فهل الهيرمنيوطيقا غبية لكي ترفض أي تأويل !! فعلى سبيل المثال نقرأ قول الشاعر:

---

[١٠] تفسير الميزان / الطباطبائي – ج٣ ص٤٥.
[١١] الميزان في تفسير القرآن / السيد الطباطبائي – ج٣ ص٤٩.

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

فهل يريد احمد القبانجي ان يلوي عنق الهيرمنيوطيقا لتفهم هذا البيت الشعري بأنه غزل بظبي او بقرة !!

ومثال آخر هو قوله تعالى: ((وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً)) فهذه الآية الكريمة لا يمكن فهمها الا اذا قلنا بان كلمة (ضل) تعني غاب وليس بمعنى الضلال ، وهذا ما يرفضه منهج احمد القبانجي !!

وفي الحقيقة فان الهيرمنيوطيقا لا تمنع التأويل كما يروّج احمد القبانجي لها بسبب فهمه الخاطيء لها ! فهذا غادامير يقول في كتابه (فلسفة التأويل): (نتحدث عن التأويل عندما لا يمكن فهم دلالة النص فوراً فالتأويل في هذه الحالة ضروري)[١٢]. ويقول ايضاً: (التأويل كما نفهمه اليوم ينطبق ليس فقط على النصوص أو التراث الشفهي وإنما أيضاً على كل ما وصل الينا عبر التاريخ: لنتكلم مثلا عن تأويل حدث تاريخي او ايضاً عن تاويل العبارات الروحانية ، عبارات الهيئة ، تأويل سلوك معين ، الخ)[١٣]. اذن هناك سوء فهم من قبل احمد القبانجي للهيرمنيوطيقا وان ما تحدث عنها في محاضرته هو فهم خاطيء لها يقود الى اشكالات حقيقية قد بيّنا بعضها بالامثلة آنفاً.

خطأ تفسير كلام الله سبحانه بالهيرمنيوطيقا:

قال السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان: (وبالجملة فالمتحصل من الروايات والآيات التي تؤيدها كقوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن الآية وقوله تعالى " الذين جعلوا القرآن عضين " الحجر - ٩١ وقوله تعالى " إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة" الآية ، حم السجدة - ٤٠ وقوله تعالى " يحرفون الكلم عن مواضعه " النساء - ٤٦ وقوله تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم " أسرى - ٣٦ إلى غير ذلك أن النهى في الروايات إنما هو متوجه إلى الطريق وهو أن يسلك في تفسير كلامه تعالى الطريق المسلوك في تفسير كلام غيره من المخلوقين . وليس

[١٢] التأويل / هانس غيورغ غادامير / ترجمة محمد شوقي الزين / الدار العربية للعلوم ، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م – ص١٤٩.
[١٣] التأويل / هانس غيورغ غادامير / ترجمة محمد شوقي الزين / الدار العربية للعلوم ، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م – ص١٥٠.

اختلاف كلامه تعالى مع كلام غيره في نحو استعمال الالفاظ وسرد الجمل وإعمال الصناعات اللفظية فإنما هو كلام عربي روعي فيه جميع ما يراعى في كلام عربي وقد قال تعالى " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " إبراهيم - ٤ وقال تعالى " وهذا لسان عربي مبين " النحل - ١٠٣ وقال تعالى " إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " الزخرف - ٣ . وإنما الاختلاف من جهة المراد والمصداق الذي ينطبق عليه مفهوم الكلام .

توضيح ذلك : أنا من جهة تعلق وجودنا بالطبيعة الجسمانية وقطوننا المعجل في الدنيا المادية ألفنا من كل معنى مصداقه المادي واعتدنا بالاجسام والجسمانيات فإذا سمعنا كلام واحد من الناس الذين هم أمثالنا يحكي عن حال أمر من الامور وفهمنا منه معناه حملناه على ما هو المعهود عندنا من المصداق والنظام الحاكم فيه لعلمنا بأنه لا يعني إلا ذلك لكونه مثلنا لا يشعر إلا بذلك وعند ذلك يعود النظام الحاكم في المصداق يحكم في المفهوم فربما خصص به العام أو عمم به الخاص أو تصرف في المفهوم بأي تصرف آخر وهو الذي نسميه بتصرف القرائن العقلية غير اللفظية . مثال ذلك أنا إذا سمعنا عزيزا من أعزتنا ذا سؤدد وثروة يقول وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وتعقلنا مفهوم الكلام ومعاني مفرداته حكمنا في مرحلة التطبيق على المصداق أن له أبنية محصورة حصينة تسع شيئا كثيرا من المظروفات فان الخزانة هكذا تتخذ إذا اتخذت وأن له فيها مقدارا وفرا من الذهب والفضة والورق والاثاث والزينه والسلاح فإن هذه الامور هي التى يمكن أن تخزن عندنا وتحفظ حفظا وأما الارض والسماء والبر والبحر والكوكب والانسان فهي وإن كانت أشياء لكنها لا تخزن ولا تتراكم ولذلك نحكم بأن المراد من الشئ بعض من أفراده غير المحصورة وكذا من الخزائن قليل من كثير فقد عاد النظام الموجود في المصداق وهو أن كثيرا من الاشياء لا يخزن وأن ما يختزن منها إنما يختزن في بناء حصين مأمون عن الغيلة والغارة أوجب تقييدا عجيبا في إطلاق مفهوم الشئ والخزائن . ثم إذا سمعنا الله تعالى ينزل على رسوله قوله " وإن من شئ إلا عندنا خزائنه " الحجر - ٢١ فإن لم يرق أذهاننا عن مستواها الساذج الاولي فسرنا كلامه بعين ما فسرنا به كلام الواحد من الناس مع أنه لا دليل لنا على ذلك البتة فهو تفسير بما نراه من غير علم . وإن رقت أذهاننا عن ذلك قليلا وأذعنا بأنه تعالى لا يخزن المال وخاصة إذا سمعناه تعالى يقول في ذيل الآية : وما ننزله إلا بقدر معلوم ويقول أيضا : " وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها " الجاثية - ٥ ، حكمنا بأن المراد

بالشئ الرزق من الخبز والماء وأن المراد بنزوله نزول المطر لانا لا نشعر بشئ ينزل من السماء غير المطر فاختزان كل شئ عند الله ثم نزوله بالقدر كناية عن اختزان المطر ونزوله لتهيئة المواد الغذائية وهذا أيضا تفسير بما نراه من غير علم إذ لا مستند له إلا أنا لا نعلم شيئا ينزل من السماء غير المطر والذي بأيدينا هيهنا عدم العلم دون العلم بالعدم . وإن تعالينا عن هذا المستوى أيضا واجتنبنا ما فيه من القول في القرآن بغير علم وأبقينا الكلام على إطلاقه التام وحكمنا أن قوله " وإن من شئ إلا عندنا خزائنه " يبين أمر الخلقة غير أنا لما كنا لا نشك في أن ما نجده من الاشياء المتجددة بالخلقة كالانسان والحيوان والنبات وغيرها لا تنزل من السماء وإنما تحدث حدوثا في الارض حكمنا بأن قوله : وإن من شئ إلا عندنا خزائنه ، كناية عن مطاوعة الاشياء في وجودها لارادة الله تعالى وأن الارادة بمنزلة مخزن يختزن فيه جميع الاشياء المخلوقة وإنما يخرج منه وينزل من عنده تعالى ما يتعلق به مشيته تعالى وهذا أيضا كما ترى تفسير للآية بما نراه من غير علم إذا لا مستند لنا فيه سوى أنا نجد الاشياء غير نازلة من عند الله بالمعنى الذي نعهده من النزول ولا علم لنا بغيره . وإذا تأملت ما وصفه الله تعالى في كتابه من أسماء ذاته وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله والقيامة وما يتعلق بها وحكم أحكامه وملاكاتها وتأملت ما نرومه في تفسيرها من إعمال القرائن العقلية وجدت أن ذلك كله من قبيل التفسير بالرأي من غير علم وتحريف لكلمه عن مواضعها ، وقد تقدم في الفصل الخامس من البحث في المحكم والمتشابه[١٤] أن البيانات القرآنية بالنسبة إلى المعارف الالهية كالامثال أو هي أمثال بالنسبة إلى ممثلاتها وقد فرقت في الآيات المتفرقة وبينت ببيانات مختلفة ليتبين ببعض الآيات ما يمكن أن يختفي معناه في بعض ولذلك كان بعضها شاهدا على البعض والآية مفسره للآية ولولا ذلك لاختل أمر المعارف الالهية في حقائقها ولم يمكن التخلص في تفسير الآية من القول بغير علم على ما تقدم بيانه . ومن هنا يظهر أن التفسير بالرأي كما بيناه لا يخلو عن القول بغير علم كما يشير الحديث النبوي السابق : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[١٥].

فيتبين لنا بوضوح ان كلام الله سبحانه في القرآن الكريم ليس ككلام البشر فلا يمكن تفسيره وفق قواعد الهيرمنيوطيقا ، وا ذا تمكن البعض من اعمال قواعد الهيرمنيوطيقا في الكتب المقدسة في الديانات الاخرى فذلك لا يعني ان ذلك يصلح ايضاً في القرآن الكريم لأن طبيعة تلك الكتب وكيفية

---

[١٤] تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٣ ص ٦٢.

[١٥] تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٣ ص ٤٤- ٧٩ وهو بحث تحت عنوان (ما معنى التأويل ؟) وهو بحث قيم ننصح بمراجعته وقرائته بتمامه ففيه فوائد جمّة ، حيث اكتفينا باقتطاع ونقل موضع العلاقة بالهيرمنيوطيقيا فقط.

كتابتها تختلف عن القرآن الكريم حيث لا يخفى علينا ان علماء اليهودية والمسيحية يقولون ان اسفار الكتب المقدسة انما كتبت من قبل اشخاص اقصى ما وصفوهم به هو انهم كتبوها بإلهام وذلك الالهام لا يعني ان يصبح ما كتبوه هو كلام الله تعالى بل يمكن ان يقال ان المعنى إلهي . بحسب عقيدتهم . ولكن اللفظ والسياق وتركيب الجمل وكيفية الوصول للمعنى كله بشري ، وهم يعترفون بأن لكل سفر اسلوبه في الكتابة من حيث الانشاء والبناء النثري المرتبط بالفترة التاريخية التي كتب بها والمجتمع الذي كان يعيشه الكاتب ، اما القرآن الكريم الذي نزل بفترة زمنية قصيرة وفي مجتمع واحد هو مجتمع شبه الجزيرة العربية فهو ليس من تأليف البشر بل هو كلام الله سبحانه الذي خلقه وانزله بواسطة جبريل الامين (عليه السلام) على رسوله الامين محمد (صلى الله عليه وآله) والذي بدوره اوصله وبلغه للبشر بدون اي تغيير فلم يكن يحق لرسول الله (صلى الله عليه وآله) اي اضافة او تغيير فيما يبلّغه من آيات القرآن ، وفي هذا الصدد يخبرنا الله سبحانه في القرآن الكريم قوله تعالى: ((وَلَوْ تَقَوّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقَاوِيلِ لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُمْ مّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ وَإِنّهُ لَتَذْكِرَةٌ لّلْمُتّقِينَ)) ، صدق الله العلي العظيم.

فلا يمكن ان يفسر القرآن الكريم وفق قواعد الهيرمنيوطيقا لمجرد ان ذلك امكن في الاسفار اليهودية او المسيحية. وما نقلناه عن السيد الطباطبائي (رضوان الله عليه) آنفاً لهو خير بيان في أمتناع التفسير الهيرمنيوطيقي للقرآن الكريم.

هل القرآن مجرّد حبر على ورق !؟

صرّح احمد القبانجي في محاضرته حول الهيرمنيوطيقا (الهيرمنيوتيكا) بفكرة خاطئة مفادها "ان القرآن اليوم فقط حبر وورق وان (القرآن صامت وبدون الانسان لا يساوي شيئاً)" !

ان ابرز ما يلفت النظر في كلامه هذا انه يسخف فكرة الكتابة ويستغني عن كل قيمتها العلمية والحضارية بخلاف علم الالسنيات الذي يعترف بأهمية الكتابة كما سنبينه بعد قليل ان شاء الله سبحانه والذي يعطي جانباً من الاهتمام والقيمة للكتابة باعتبارها الوسيلة التي تحفظ الالفاظ والمعاني.

ومن الناحية الحضارية نعرف جميعنا اهمية الكتابة في التطور الحضاري منذ ان ظهرت بصورة صورية تكتب على الواح الطين والى ان تطورت الى صورتها الرمزية واستخدام البردي والورق. وكيف ساهمت الكتابة في تطور الحضارة وتقدم الانسانية. فالكتابة ليست مجرد حبر على ورق كما توهم احمد القبانجي.

لقد غاب عن ذهن احمد القبانجي ان القرآن الكريم متواتر عند المسلمين في كل جيل منذ الجيل الاسلامي الاول والى يومنا هذا ، وذلك معناه ان المسلمين تداولوا القرآن الكريم بصورة واسعة ، حفظاً وتلاوة ، فالقرآن لم يكن في يوم من الايام فقط حبراً على ورق بل كان كلاماً متداولاً بين المسلمين بصورة متواترة حفظاً وكتابةً وتلاوةً ، آناء الليل واطراف النهار ، وعندما كانت آيات القرآن الكريم تكتب في الجيل الاول بدون نقاط كانت الآيات القرآنية تقرأ بنفس الصيغة التي تقرأ فيها بعد تنقيط الكلمات ، واستمرت تقرأ بنفس الطريقة بعد ان تم تشكيل الكلمات ووضع الحركات لها واستمرت تقرأ بنفس الطريقة حينما كان القرآن يكتب باليد وبنفس الطريقة حينما كتب بواسطة المطابع واستمر بنفس الطريقة في عصر الكمبيوتر. اذن القرآن ليس فقط حبر على ورق ينتظر من يقراه ليحييه كما يتوهم احمد القبانجي بل هو كلام الله سبحانه المقروء على ظهر الغيب وفي الصحف عبر الاجيال بلا توقف وبلا انقطاع لجيل او حتى لعقد من السنين او اقل من ذلك ولا ليوم واحد ايضاً بل هو تواتر مستمر في القراءة والكتابة عبر العصور.
ان فكرة ان يفقد الكلام قيمته بعد تدوينه تلك التي ذكرها احمد القبانجي لهي فكرة مثيرة للغثيان لأن تحول القرآن من آيات تقرأ شفاهاً الى آيات مكتوبة يجعلها فقط حبر على ورق عند احمد القبانجي وفي ذلك انتقاص لجميع الموروثات الادبية والتاريخية والعلمية لأن جميع ما يتم تدوينه من احداث وشعر ونثر وعلوم طبيعية وفلسفية وغيرها سيصبح فقط حبر على ورق ويفقد قيمته الحقيية بحسب تصور احمد القبانجي !!؟

وحول اهمية الكتابة في حفظ الالفاظ والمعاني يقول الشيخ محمد رضا المظفر (رحمه الله): (أن الألفاظ وحدها لا تكفي للقيام بحاجات الإنسان كلها، لأنها تختص بالمشافهين. أما الغائبون والذين سيوجدون، فلابد لهم من وسيلة أخرى لتفهيمهم، فالتجأ الإنسان أن يصنع النقوش الخطية لإحضار

ألفاظه الدالة على المعاني، بدلاً من النطق بها، فكان الخط وجوداً للفظ. وقد سبق أن قلنا: أن اللفظ وجود للمعنى، فلذا نقول: «إن وجود الخط وجود للفظ ووجود للمعنى تبعاً». ولكنه وجود كتبي للفظ والمعنى، أي أن الموجود حقيقة هو الكتابة لا غير، وينسب الوجود إلى اللفظ والمعنى مجازاً بسبب الوضع، كما ينسب وجود اللفظ إلى المعنى مجازاً بسبب الوضع. إذن الكتابة تحضر الألفاظ، والألفاظ تحضر المعاني في الذهن، والمعاني الذهنية تدل على الموجودات الخارجية)[١٦]. اذن الكتابة ليست حبراً على ورق بل هي رموز تحفظ الالفاظ والتي بدورها تحفظ المعاني ، ولذلك فالقرآن الكريم ليس حبراً على ورق حتى وإن لم يقرأه احد بل هو خزين لكلمات الله سبحانه ومعانيها.

اهمية الكتابة في علم الالسنيات:

يقول الدكتور مصطفى غلفان: (مرحلة الكتابة الصوتية وهي الكتابة التي نتعامل بها اليوم في جُل اللغات العالمية والتي تم فيها التحرر من النوعين السالفين من الكتابة.وتتميز الكتابة الصوتية باقتصادها في عدد الوحدات الصوتية والصرفية والاستقلالية في الوظيفة التركيبية والدلالية عكس ما كان متداولاً في الكتابة التركيبية والكتابة التحليلية. وتُعَدّ الكتابة الصوتية مرحلة حاسمة في تطور الفكر البشري نظراً الى ما كان لها من اثر ايجابي في نقل التراث الانساني من المحلية الى الانسانية كما يشهد على ذلك انتقال التراث الهندي واليوناني والعربي الاسلامي خارج حدود المناطق التي ظهر فيها هذا التراث. وقد كان للكتابة اثر ايجابي في الدرس اللغوي وهو ما اشار اليه اللساني الفرنسي انطوان مييه Antoine Meillet قائلاً ان اولئك الذين اوجدوا الكتابة واتقنوها كانوا من فحول اللغويين وهم الذين ابدعوا علم اللغة. ذلك ان تاريخ الكتابة ودراسة الطرق المتبعة في الكتابة ذو صلة وثيقة بالبحث في طبيعة اللغة وبنيتها. فاختراع الكتابة ادى بالبداهة الى التفكير في اللغة لأن هذه التقنية ابرزت عناصر اللغة الشفهية ثم فصّلت عباراتها على الاقل ان لم نقل مفرداتها)[١٧].

---

[١٦] المنطق / الشيخ محمد رضا المظفر (رحمه الله) – ج١ ص٣٤.
[١٧] في اللسانيات العامة / د. مصطفى غلفان – ص٩٠.

اذن الكتابة ليست فقط حبراً على ورق كما توهم احمد القبانجي بل ان لها مديات علمية وحضارية واسعة.

هل النبي مفسر للوحي!

ردد احمد القبانجي في محاضرته حول الهيرمنيوطيقا فكرة مفادها ان النبي (صلى الله عليه وآله) هو اول مفسر للقرآن الكريم وانه يمثل رؤية النبي للحياة والكون والتي قالها بشكل قرآن !! أي انه نسب القرآن الكريم بانه من كلام النبي وليس وحياً الهياً انزله الله عزَّ وجل ، فهو الفاظ النبي بحسب فهمه للوحي الذي جرى بوجدانه بحسب مزاعم احمد القبانجي ! وبذلك يزعم ان النبي هو اول مفسر للوحي الوجداني . وليس متلقياً للوحي الالهي بدقة كما هي العقيدة الاسلامية . ثم سار خطوة اخرى في محاضرة اخرى فقال ان النبي قد يخطيء في فهم وجدانه اي في فهم الوحي الوجداني وبذلك تكون آيات القرآن هي الفاظ النبي وفيها اخطاء !! فالوجدان معصوم ولكن فهم النبي لوجدانه غير تام كما يزعم احمد القبانجي[١٨] !! والملفت للنظر ان احمد القبانجي يذكر هذه الفكرة المفتراة وليس له اي دليل او قرينة عليها !!!؟؟

ان فكرة ان النبي هو اول مفسر للوحي الوجداني وليس ناقلاً دقيقاً للفظ الوحي الالهي انما تلقاها احمد القبانجي واقتبسها بلا تمحيص من اسبينوزا اليهودي الذي قال وفقاً لثقافته اليهودية ونصوص العهد القديم: (النبوة او الوحي هي المعرفة اليقينية التي يوحي بها الله الى البشر عن شيء ما. والنبي هو مفسر ما يوحي الله به لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية به ولا يملكون الا ادراكه بالايمان وحده. ويسمي العبرانيون النبي "نبياً" أي خطيباً أو مفسراً. ويستعمل في الكتاب بمعنى مفسر الله كما هو واضح في الاصحاح ٧ الجملة ١ من سفر الخروج ، يقول الله لموسى: (انظر قد جعلتك الهاً لفرعون وهرون اخوك يكون نبيك) وكأنه يقول: لما كالن هارون بتفسيره كلام موسى لفرعون يقوم بدور النبي ، تكون انت (يا موسى) كإله لفرعون أي من يقوم بدور الله !)[١٩]. وشتان بين كلام الله سبحانه في القرآن الكريم وبين نصوص اسفار العهد القديم التي كتبها اشخاص

---

[١٨] اذن ما هي فائدة عصمة الوجدان اذا كان يستحيل على الانسان ان يفهمه بصورة صحيحة ! ان القول بعصمة الوجدان والحال هذه انما هو عين العبث !!

[١٩] رسالة في اللاهوت والسياسة / اسبينوزا / ترجمة د. حسن حفني / دارالتنوير ٢٠٠٨ – ص١١٩.

بعضهم معلوم وبعضهم مجهول كتبوها وفقاً لثقافات عصرهم لا كما هو حال القرآن الكريم الذي انزله الله سبحانه لجميع العصور والى يوم القيامة. فما يمكن ان يصح عن اسفار التوراة والعهد القديم لا يمكن ان يصح عن القرآن الكريم.

فمجمل افكار احمد القبانجي هي اقتباس التقاطي عن اليهود والمبشرين المسيحيين والمستشرقين. ولا تكاد توجد لديه فكرة لا تدور في فلكهم او كان لهم يد طولى في الترويج لها بطريق مباشر او غير مباشر.

بينما نجد الله سبحانه يذكر صراحة في القرآن الكريم ان آياته هي لفظ نقله جبريل (عليه السلام) كما انزل ، ففي سورة الحاقة نقرأ: ((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨))).

التأويل والمشبهة:

المشبهة هم من الفرق الاسلامية الضالة التي ظهرت في القرون الهجرية الاولى كانوا يرفضون التأويل ويقولون ان صفات الله سبحانه المذكورة هي صفات بشرية مثل السميع والبصير وان له يد ورجل وجسم وهكذا ، ولعل الوهابية متفقون معهم في هذه النظرة التجسيمية الضالة ! وربما رأى احمد القبانجي ان اسلم طريق لضرب المسلمين هو بالصاق عقيدة المشبهة بهم في الصفات ليسهل الانتقاص منهم ومن عقيدتهم بعدما لمس متانة عقيدتهم الحقيقية والا فان غالبية المسلمين لا يقولون بعقيدة المشبهة في الصفات. اذن هو تعلم من المشبهة رفض التاويل ليضرب المسلمين القائلين بالتاويل وليسهل عليه الطعن في آيات الكتاب المبين ، ثم نسب المسلمين الى عقيدة المشبهة في الصفات والتي تقول ان الله تعالى يسمع كسمعنا ويبصر كبصرنا وان هذه الصفات (السميع والبصير والعليم) هي صفات بشرية !! ليسهل له الطعن في الاسلام وتسيير الشبهات ضده. ورغم رفض احمد القبانجي للتاويل سنجده في محاضرته حول التفسير الوجداني يمارس التاويل ويستند اليه في وضع التفسيرات الباطنية لمنهجه وعقيدته !! وسنتناول منهجه المتناقض هذا بشيء من التفصيل بعد قليل إن شاء الله سبحانه.

كانط والحواس الخمسة:

يستشهد احمد القبانجي في محاضرته بقول لكانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤)م حول الخواس الخمسة (اللمس والنظر والتذوق والشم والسمع) والذي يعتبرها كلها خائنة وغير امينة في نقل الواقع فمثلاً الاذن تسمع موجات فقط تفسرها بانها موسيقى ! او انها تميّز من خلال تلك الامواج بين صوت الحمار وصوت البلبل !! لقد فات احمد القبانجي ان الاذن لا تميز بين الاصوات بل هي تنقل الموجات والذبذبات الى العقل الذي يقوم بدوره بعملية التمييز. فالعقل هو المرجع للحواس.

ورغم ان احمد القبانجي يردد مقولة كانط الفلسفية بعدم قدرتنا على فهم العالم الخارجي الا من خلال حواسنا وهي حواس خائنة الا ان علم الالسنيات يتعامل مع الحواس بشكل آخر اكثر علمية وعقلانية ، فعلم الالسنيات تناول الحواس الخمسة بطريقة علمية باعتبارها من العلامات في الاطار السيميولوجي حيث (ان اللغة هي نظام سيميولوجي اي انه مؤسس على علامات لسانية وغير لسانية تحمل المعاني أو المدلولات)[٢٠] ، ومن العلامات غير اللسانية اي التي لا تتعلق بالكتابة أو بالكلام نذكر:

. العلامات الشميّة.

. العلامات اللمسية.

. العلامات الذوقية.

. العلامات الايمائية[٢١].

ومن الملفت للنظر ان احمد القبانجي يتحدث في محاضرة كاملة عن الالسنيات ولا يعرف هذه العلامات !؟ ولا يعرف علاقة الحواس الخمسة بالسيميولوجيا !

وذكر احمد القبانجي مثلاً حول شجرة تسقط في غابة خالية من الناس وتحدث صوتاً فزعم انها لن تصدر اصوات لأنه لا احد يسمعها !! ان كلامه هذا مخالف لطبيعة الاشياء ، فالصوت لا يسمى صوتاً فقط لأننا نسمعه بل الاصوات موجودة دائما من خلال حركة الاشياء ، وما لا نسمعه لا يعني انه غير

[٢٠] المدخل الى علم الالسنية الحديث / الدكتور جرجس ميشال جرجس / المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ـ ص١٥٢.
[٢١] المدخل الى علم الالسنية الحديث / الدكتور جرجس ميشال جرجس / المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ـ ص(١٥٣-١٥٧).

موجود ، فالاصوات التي نسمعها هي من الناحية العلمية امواج تصل الى آذاننا والتي تنقلها الاذن الى العقل فيميزها. ان كلام احمد القبانجي هذا فيه تغييب للمنهج العلمي وللحقائق العلمية.

ترديده افكار المشبهة:

وحينما اخذ احمد القبانجي يذكر مباني نظرية الهيرمنيوطيقا ابتدأ بمقارنتها مع ما يسميها بالنظرية السائدة فقال ان الله سبحانه في العرش في السماء ، وهو هنا يردد كلام المشبهة وهم من الفرق الاسلامية الضالة التي تقول ان الله سبحانه له عرش يجلس عليه وان صفاته هي صفات بشرية فهو سميع وبصير كسمعنا وبصرنا وله يد ورجل ووجه وهكذا وهي نفس الصورة التي يرسمها احمد القبانجي للمسلمين حينما يريد ان يطعن في عقيدتهم !! والمشبهة يشتركون مع احمد القبانجي في رفض التأويل فهم يقولون نأخذ الالفاظ كما وردت في القرآن ، فاذا ورد ان لله سبحانه عرش فهو العرش بمعناه المادي المعروف عند الملوك وكذلك احمد القبانجي يقول ذلك وينسبه للمسلمين وهو يعرف جيداً ان غالبية المسلمين من غير المشبهة لا يقولون بهذه العقيدة المنحرفة المخالفة للعقل وللنصوص الصريحة والمعتبرة الواردة عن ائمة آل البيت (عليهم السلام).

الموجودات والواقع الخارجي:

وقال احمد القبانجي في محاضرة الهيرمنيوطيقا: "نحن لا نتعامل مع الواقع الخارجي الا بما هو مطبوع في اذهاننا". وفكرته هذه على نحو كبير من السطحية واذا اعملناها في حياتنا فلن تكون هناك علوم ولا بحوث ولا تقدم في مجالات الحياة ، ففي الحياة هناك حقائق علمية رصينة لأشياء لا نعرف طبيعتها ، فالجاذبية على سبيل المثال رغم وجود قوانين نيوتن ولكن لا احد منّا يمكنه وصفها ومعرفة طبيعتها وكيف تجذب الاشياء ، فالانسان لا يعرف ماهيتها ولا يحس بوجودها بل هو يعرف ثقل الاشياء فقط. اذن وفق نظرية احمد القبانجي فليس هناك وجود حقيقي للجاذبية الا في ذهن الانسان !! لأن كل انسان يتخيلها في ذهنه بطريقة مختلفة !! وهكذا بالنسبة للذرة والطاقة النووية وغيرها فيتم ابطال الوجود الحقيقي للقضايا العلمية ويتوقف الانسان عن التقدم والتطور ... !!!

وايضاً فليس هناك روح للانسان فيكون الانسان عبارة عن جسد فقط لأننا لا نرى الروح فهي بحسب فكرة احمد القبانجي امر ذهني فقط !!!!

وسنتطرق بعد قليل لنفس الموضوع على نحو اوسع حيث تطرق احمد القبانجي له مرة اخرى في محاضرة الالسنيات.

التفاسير والاختلافات العقائدية:

وربط احمد القبانجي في محاضرته بين تعدد تفاسير المسلمين وبين الاختلافات العقائدية ، وقال "ان المسلمين الذين اطلق عليهم اسم التقليديين ليس لديهم جواب لتعدد التفاسير وكل واحد منهم يرى ان تفسيره هو الصحيح والاخر على باطل وهو من اهل النار" ! وفي الحقيقة فالقضية ليست بهذه الكيفية التي عرضها فتعدد تفاسير المسلمين انما هي تبعاً لاجتهادات المفسر ، ومثلما هناك اجتهادات فقهية فهناك اجتهادات في تفسير القرآن غاية ما في الامر ان هناك من يفسر القرآن الكريم تبعاً لنظرية آل البيت (عليهم السلام) العقائدية وهناك من يفسرها تبعاً للمدارس الاخرى لأهل السنة او السلفية او الخوارج. والاختلافات الرئيسية في التفسير انما تكون في القضايا العقائدية والآيات التي تحتوي على مضمون عقائدي. فالقضية ليست معقدة ولا هي صعبة الفهم. انما اي تفسير هو الاصح ، فجواب هذا يتبع الجواب عن اي العقائد هي الاصح ، وهذا يتبع الدليل الذي يراه كل انسان هو الاصح في اثبات عقيدته بعد ان يبذل جهده في تتبعه وتمحيصه. فاذا بذل الانسان جهده في البحث عن العقيدة الصحيحة ولم يتمكن من الوصول الى الحق لقصور فيه وليس لتقصير فان موقفه يوم القيامة سيكون مختلفاً عن موقف من يقصر في البحث عن العقيدة الصحيحة او يميل الى الهوى والجاه والمجتمع.

مباني الهيرمنيوطيقا:

ثم تحدث في محاضرة الهيرمنيوطيقا عما اسماه مباني الهيرمنيوطيقا ، فقال "ان النظرية السائدة تقول ان للنص القرآني ثلاثة اركان هي المتكلم (ويقصد به الله) والمخاطب (ويقصد به الناس) والخطاب (ويقصد به القرآن) وتقول النظرية السائدة ان النص لا يحتمل الا معنى واحد وكل لفظ له معنى يدل عليه وهذا المعنى في ذهن المتكلم ، فالمفسر يجب ان يكشف عن ذاك المعنى ، فاذا توصل فهو الصحيح والحق واذا لم يتوصل فهو خطأ لكن معذور" ،هذه خلاصة النظرية الموجودة بحسب ما

ذكره ! ثم انتقل لمقارنتها مع نظرية الهيرمنيوطيقا وقبل ان ننتقل لمناقشة الهيرمنيوطيقا بحسب المباني التي ذكرها من المهم ان نبين ان وصفه لما اسماه بالنظرية السائدة هو وصف غير تام ، فمن جهة نجد ان النظرية "السائدة" لا تتحدث عن معنى في ذهن المفسر بل تتحدث عن علاقة الالفاظ بالمعنى الخارجي ، وهذا مبحث خاص في علم اصول الفقه يتناوله الفقهاء بالشرح والبيان التفصيلي. اذن احمد القبانجي يحاول فرض نظرته الخاصة حول المعاني الذهنية على النظرية "السائدة" وحقيقتها غير ما ذكره. ومن جهة اخرى فان الاركان الثلاثة التي ذكرها (المتكلم والمخاطب والخطاب) لا تقتصر على القرآن الكريم بل هي اركان مشتركة مع كل انواع الكلام والنصوص البشرية. كما ان هذه الاركان قد اقرها علم الالسنيات وكبار علمائها الذين يبحثونها ويشرحون تطور اللسان عبرها فعلى سبيل المثال يذكر رومان جاكبسون Roman Osipovich Jakobson (١٨٩٦-١٩٨٢)م في مخططه للنظام الالسني الذي وضعه ان عملية التواصل تتكون من المرسل destinateur وهو الشخص المتكلّم أو الذي يولّد الوظيفة التعبيرية ، ويتميز بطريقة كلامه ، ويقوم بإرسال (مرسلة) message الى شخص آخر يستمع اليه أي الى المرسل اليه destinataire[٢٢]. ورغم ان احمد القبانجي اقحم نفسه في موضوع الالسنيات وله محاضرة خاصة تحت عنوانها الا ان الظاهر انه لا يفقه من الالسنيات الا اسمها !

نعود الى مباني الهيرمنيوطيقا التي ذكرها احمد القبانجي حيث قال ان المبنى الاول هو "انه لا فصل بين المتكلم والمخاطب والخطاب" ! فزعم اننا موجودون في المتكلم والمتكلم موجود فينا فيتكلم الله فينا مباشرة !! وفي الحقيقة فان فكرته هذه لا علاقة لها بموضوع الهيرمنيوطيقا لأنها مرتبطة بموضوع الوجدان ومزاعمه ان الله يتكلم مع الانسان من خلاله وان الوجدان هو الله الشخصي الى آخر سخافاته ، فقوله باندماج (الله والانسان والخطاب) يكشف عن اضطراب فكري عنده فهي فكرة ليس عليها دليل كما انه موضوع بعيد عن الهيرمنيوطيقا !! ومما يزيد من قوة مظهر اضطرابه انه انتقل وهو يتحدث عن الاندماج المقترح الى ضرب مثال بمقوله منسوبة لعمر بن الخطاب وكيف ان الشيعي يرفضها لكونها من عمر ولكنه لو قيل له انها من الامام الصادق عليه السلام لقبلها وعلل ذلك بان الانسان يجب ان يفهم المخاطب ثم بعد ذلك يفهم ما يقوله ، وقال: "اي المتكلم في وعينا فاذا فهمنا المتكلم فهمنا النص" !! ولكن المتكلم في هذا المثال له وجود خارجي وهو شخص عمر بن الخطاب بينما

[٢٢] المدخل الى علم الالسنية الحديث / الدكتور جرجس ميشال جرجس / المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ـ ص٦٩.

القبانجي يقول باندماج المتكلم مع الخطاب كما اشرنا آنفاً ! ويقول ان الخِطاب هو قضية ذهنية ، فكيف اذن يفسر احمد القبانجي اندماج من له وجود خارجي (عمر بن الخطاب) بمن له وجود ذهني فقط (كلامه اي الخِطاب) !! ان هذا لا يستقيم الا اذا قلنا ان عمر بن الخطاب وجوده ذهني ايضاً باعتبار مقولة كانط التي يستند اليها في ان الحواس الخمسة خائنة وغير امينة !!!!! فلا وجود لعمر بن الخطاب الا في الذهن البشري !!!!! ارأيتم كم هي ضحلة وسخيفة النتيجة التي يقودنا التفكير باسلوب احمد القبانجي !

ومن الواضح ان مثاله عن عمر بن الخطاب وتقبل الشيعي او رفضه لمقولة ما صادرة عنه لا علاقة لها بالمبنى الاول الذي ذكره بخصوص الاندماج !! اما شبهة الربط بين فهم القائل وفهم ما يقول فهو كلام ساذج لا علاقة له بجوهر قضية الفهم لأن فهم الكلام مرتبط بذاتية الكلام وهو مجال علم الالسنيات الذي يعرفه الدكتور جرجس ميشال بقوله انه العلم الذي لا يهمه ماذا يقول النص ولا من قال النص انما يهمه كيف يعبر النص عما يقول[٢٣]. اذن شبهته هذه لم يكن يجدر به ان يتطرق اليها لأنها بالاضافة الى تهافتها فهي تتعارض مع علم الالسنيات ومبانيه !؟ ووفقاً للالسنيات فهذه الشبهة غير مهمة فليس مهما ان نفهم قائل النص لكي نفهم النص لأن علم الالسنيات يتكفل ببيان كيفية تعبير النص عما يريده. وفي نفس السياق روي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) انه قال: (لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال)[٢٤].

وفي المبنى الثاني للهيرمنيوطيقا قال احمد القبانجي انه لإعمالها في النص يجب ان يكون القائم بعملية الفهم (المفسر) ليس لديه مسبوقات فكرية او مسلمات فكرية !! وتحدث عن "وجود مسبوقات فكرية تلقي بظلالها على المفسر للقرآن الكريم" ، وافترض . تحكماً منه بلا سند مقبول . "ان المستشرقين ليس لديهم مسبوقات فكرية او مسلمات ولذلك يفهمون القرآن بشكل مختلف" ! وهذه من مغالطاته لأن المستشرقين لديهم مسبوقات فكرية ومسلمات تتمثل بعدم وحيانية القرآن الكريم وانه ليس كلام الله سبحانه وان الاسلام ليس هو الدين الحق ، كما ان لديهم مسبوقات فكرية تتعلق

---

[٢٣] المدخل الى علم الالسنيات الحديث / الدكتور جرجس ميشال جرجس / المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان – ص١٥١.

[٢٤] شرح مائة كلمة / كمال الدين ميثم بن علي البحراني المتوفى في القرن السادس الهجري / الناشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ـ ص٦٨.

بدورهم المطلوب من اجل نقض الاسلام ولصق الشبهات والعيوب فيه وتشويهه امام انظار الناس. اذن المسبوقات الفكرية لأي شخص هو امر حتمي لأن لكل انسان فكر ديني او لا ديني ، وكل من ينظر لآيات القرآن الكريم سينظر لها من وجهة نظره الدينية او اللادينية.

وحتى بخصوص القائم بالفهم من خلال الهيرمنيوطيقا فإنّه سيفعل ذلك استناداً الى فكره ورؤيته الثقافية والفلسفية وهدفه الذي يسعى اليه والذي بسببه يقوم بعملية الفهم الهيرمنيوطيقي ، ولذلك سوف يُفهَم النص الواحد بطرق متعددة ونتائج مختلفة تبعاً لتعدد القائمين بعملية الفهم ، لأن لكل انسان طريقته الخاصة بالفهم حتى من خلال الهيرمنيوطيقا !

ونفس الامر بالنسبة للمبنى الثالث الذي ذكره وهو ان المفسر يفسر ولديه رغبة معينة ، فمن يؤمن بقضية يبحث في التفسير عما يؤيدها ! فنقول قد ذكرنا آنفاً إنَّ نفس هذه القضية وان لم تكن تامة لجميع المفسرين فيمكن ايضاً ان تشمل المستشرقين الذين يمتلك غالبيتهم رغبة ابطال الاسلام ورغبة تشويهه ورغبة تقليل اهميته وهكذا. اذن لا ميزة لتفسير المستشرقين ونظرتهم للاسلام بخلاف ما يحاول احمد القبانجي الترويج له !

اما المبنى الرابع فيقول ان الكلام اذا تم تدوينه فانه سيموت والذي سيقرأه ويفهمه هو الذي سيحييه ! ولذلك كل من يفهم القرآن بطريقته فله الحق في ذلك لأن القاريء هو الذي اعطى الحياة للقرآن ! وبالتالي تكون جميع التفاسير صحيحة ! ورغم ان هذا الكلام مخالف لما ورد في علم الالسنيات الذي يعتبر ان النص المكتوب له اهمية في معرفة ماذا يريد النص وعلى ماذا يدل ، فان القول بأن النص ميت والعبرة بمن يقرأ ويفهم فيمكن ان يشمل هذا كل التفاسير الاسلامية وتكون كلها صحيحة اذا وافقت العقيدة الصحيحة ، وبالتالي فليس هناك دور واضح للهيرمنيوطيقا في عملية التفسير والفهم !؟ وسبق ان ناقشنا آنفاً موضوع اهمية الكتابة.
اذن بناءاً على هذا الكلام لا يحق لاحمد القبانجي ان يعترض على تعدد التفاسير الاسلامية والاختلافات الموجودة في بعض مواضعها لأن المفسر يفهم النص بطريقته فالنص ميت والمفسر هو الذي يحييه ! وهذا من تناقضات احمد القبانجي الكثيرة جداً !!

كما ان معنى كلام احمد القبانجي اننا لا يمكن ان ننسب لاحد ما مقولةً او فكرة سواء كان فيلسوفاً او مفكراً لأن كلام اولئك المفسرين والمفكرين والفلاسفة انما هو كلام مكتوب ميت ومن يقرأه هو الذي يفهمه ويحييه فيجب ان نقول فهمنا لكلام ارسطو مثلا وفهمنا لكلام اسبينوزا لا كلام ارسطو واسبينوزا نفسه !! وبذلك لم يعد يمكن لأحد ان يمتلك تراثاً وفكراً لأننا لن نعرف افكار الاخرين وفلسفاتهم بل نعرف فهمنا لتلك الافكار والفلسفات ونختلف بيننا في فهمها !! فاي منهج فوضوي هو ابرع من هذا في بث الاختلاف والبلبلة الفكرية بين الناس ؟!

وهذا المنهج نفسه يرد على احمد القبانجي نفسه جميع طعونه في الاسلام لأن جميع الشبهات التي يستند اليها من خلال ايراده لبعض الآيات القرآنية لا سيما في الصفات وفي موضوع الاستواء على العرش فإنما تمثل فهم احمد القبانجي للقرآن ، فالشبهة ناتجة من فهمه هو وليس من القرآن لأن القرآن بحسب تعبيره نص ميت هو الذي يحييه ويثيره بفهمه الذي تنتابه الشبهات وفقاً لفكره ومسلماته ونوازعه الفكرية ، وبذلك لن تكون هناك شبهة حقيقية ضد الاسلام بل الشبهة ناتجة من فهم احمد القبانجي للقرآن !

اما المبنى الخامس للهيرمنيوطيقا فقد تجاهل احمد القبانجي ذكره او نسيه ! فلم يورده في محاضرته !!

لاحظوا ان احمد القبانجي في بداية محاضرته هذه بيّن مفهومه للهيرمنيوطيقا بانها علم فهم النص وحرص على تخطئة نصر حامد ابو زيد في تعريفه لها بأنها علم تأويل النص ! ويبدو ان مشكلة احمد القبانجي مع استخدام مصطلح التاويل عميقة وربما اكتسبها من اقتناعه بأفكار المشبهة الذين كانوا يرفضون التأويل بشدّة كما اسلفنا !

محاضرة الالسنيات:

علم الالسنيات او اللسانيات. هو احد فروع علم الاشارات (السيميائيات Semiotics)[٢٥]. قال سوسور[٢٦]: (فعلم اللغة هو جزء من علم الاشارات العام: والقواعد التي يكتشفها هذا العلم يمكن تطبيقها على علم اللغة ، ويحتل العلم الاخير مكانة محددة بين كتلة الحقائق الانثربولوجية)[٢٧].

وقد تعددت تعاريف مصطلح اللسانيات ، فاللسانيات يُطلق عليها: الألسنة وعلم اللغة ، وهناك من يطلق "لسانيات النص" على: علم لغة النص، أو اللسانيات النصية، أو نحو النص ، وهناك مَن يُسمي "لسانيات النص": لسانيات الخطاب ، ويُطلَق على السيمياء: علم أسرار الحروف ، وعلم العلامات ، والسيميولوجيا ، والسيميوطيقا[٢٨].

ويعتبر العالم السويسري فرديناند دي سوسير ١٨٥٧ - ١٩١٣م مؤسس علم اللسانيات الحديث وذلك في مُحاضراته التي أملاها على طلابه بين عامي ١٩٠٧ - ١٩١٣م ، وهناك من يرى انَّ ولادة هذا العلم الحديث ترجع إلى مائة سنة قبل سوسير، من قبل الألماني فرانز بوب سنة ١٧٩١، ١٨٦٧م[٢٩].

وفي محاضرة احمد القبانجي بعنوان (علم الالسنيات ودوره في انتاج النص) نجده يروّج للالسنيات والتي تسمى ايضاً اللسانيات (السيميوتيكا أو علم السيمياء) ، وترويج احمد القبانجي لعلم الهيرمنيوطيقا مع علم اللسانيات (السيميوتيكا) يضعه في تناقض منهجي ، ويكشف عن اضطراب في الهدف المقصود من التطرق الى هذين العلمين اذ ان هذين العلمين ليسا مكملين احدهما للآخر وربما هو يظن ان اللسانيات تدرس انتاج النص والهيرمنيوطيقا فهم النص المنتج فتكون احداهما مكملة للاخرى الا ان هذا فهم ساذج لهذين العلمين العميقين ! فالهيرمنيوطيقا تتناول النص من جانب

---

[٢٥] موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة في شبكة الانترنيت العالمية ن من خلال الرابط:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D9%85%D9%8A%D9%88%D8%B7%D9%8A%D9%82%D8%A7

[٢٦] يختلفون في ترجمة اسم هذا العالم: (Ferdinand de Saussure) فالبعض يترجمه (سوسور) والبعض يترجمه (سوسير). وكلا الترجمتين لا تطابقان لفظ الكلمة الاصلية !!

[٢٧] علم اللغة العام / فرديناند دي سوسور ، ترجمة د. يوثيل يوسف عزيز ـ ص٣٤.

[٢٨] مقال (لسانيات النص وسيمياء اللغة) بقلم مبروك يونس عبدالرؤوف / منشور في شبكة الانترنيت العالمية من خلال الرابط:
http://www.alukah.net/Literature_Language/0/27546

[٢٩] مقال (لسانيات النص وسيمياء اللغة) بقلم مبروك يونس عبدالرؤوف / منشور في شبكة الانترنيت العالمية من خلال الرابط:
http://www.alukah.net/Literature_Language/0/27546

يختلف عن تناول الالسنيات له. ولكي نتمكن من فهم الفرق بين الالسنيات (السيميوتيكا) والهيرمنيوطيقا لا بد من معرفة مقدمة عن فروع اللسانيات (الالسنيات).

تتفرع الالسنية بحسب الدكتور جرجس ميشال جرجس الى:

1. **علم الاصوات (الفونتيكا).**
2. **علم وظائف الاصوات (الفونولوجيا).**
3. **علم الدلالة (Semantique).**
4. **السيميوتيكا والسيميولوجيا (علم السيمياء). ورائده هو السويدي فرديناند دو سوسور.**
5. **الهرمنيوتيكا.**
6. **الاسلوبية أو علم الاسلوب.**
7. **المورفولوجيا أو علم بنية الكلمة.**
8. **علم المعاجم.**
9. **علم التراكيب.**
10. **علم التفكيك.**
11. **علم تحليل النص.**
12. **علم تحليل الخطبة[٣٠].**

فأحمد القبانجي تناول علم السيميوتيكا واطلق عليه اسم الالسنية (ربما من باب تسمية الفرع بأسم الاصل) وتناول في محاضرة اخرى الهرمنيوتيكا (الهيرمنيوطيقا) ولم يشر الى علاقتها بالالسنية باعتبارها فرع منها ! نعم ربما يرى علماء مختصون آخرون ان الهيرمنيوطيقا علم منفصل عن الالسنيات وليس مكملاً له بخلاف ظن احمد القبانجي الذي ذكره في بداية محاضرته.

نعود الى علم السيميوتيكا (علم السيمياء) والذي لا يهمه ماذا يقول النص ولا من قال النص انما يهمه "كيف يعبر النص عما يقول"[٣١]. اما الهيرمنيوطيقا (الهرمنيوتيكا) فقد ظهرت كرد على السيميوتيكا . كما يقول الدكتور جرجس ميشال . وهي تسعى الى كشف الطرق والوسائل التي تسهم في إدراك معاني النص وفهمه فهماً كاملاً[٣٢]. ومن الملاحظ ان اهتمام علم الهرمينوتيكا (الهيرمنيوطيقا) في ادراك دلالات

---

[٣٠] المدخل الى علم الالسنية الحديث / الدكتور جرجس ميشال جرجس / المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ـ ص(٧٩-٢١٤).
[٣١] المدخل الى علم الالسنية الحديث / الدكتور جرجس ميشال جرجس / المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ـ ص١٥١.
[٣٢] المدخل الى علم الالسنية الحديث / الدكتور جرجس ميشال جرجس / المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ـ ص١٦٤.

النصوص قد اثار موضوعاً مهماً ينحصر في كيفية البحث في آليات الفهم ، حتى بات القاريء يشكل أساس العملية البحثية لأنه هو الذي يفهم النص[٣٣]. فمع الهرمنيوتيكا (الهيرمنيوطيقا) يتم التوجه الى شخص القاريء وقدراته في استيعاب معطيات النص الدلالية والبحث عن الآلية التي ساعدته على إدراك ذلك[٣٤]. اذن الفرق بينهما هو ان السيميوتيكا تبحث في كيفية تعبير النص عما يقول بينما الهرمنيوتيكا (الهيرمنيوطيقا) تبحث في كيفية فهم القاريء للنص. فليس مهما في الهرمنيوتيكا كيفية تعبير النص عما يريد قوله بل المهم كيف يفهم القاريء ذلك النص !! فعلى سبيل المثال اذا اعملنا هذين العلمين في بعض آيات القرآن الكريم نجد ان السيميوتيكا تبحث عن كيفية تعبير الآية الكريمة عما تريده بينما تبحث الهرمنيوتيكا في كيفية فهم القاريء للاية الكريمة !! اذن الاشكاليات في الهيرمنيوطيقا اكبر مما في الالسنيات لأنها تعتمد على الجانب البشري او العامل البشري في الفهم وهذا العامل متغير من شخص لآخر لأنه يعتمد على ثقافة الشخص وبيئته واهدافه وغاياته وبذلك ستكون النتيجة مختلفة من شخص لآخر وسنحصل على عدة تفسيرات هيرمنيوطيقية مختلفة ! اذن ليست التفسيرات الهيرمنيوطيقية هي التفسيرات المثالية التي يمكن ان تعالج موضوع تعدد التفاسير الاسلامية.

وفي خضم ذلك كله نجد ان محاضرة الالسنيات التي القاها احمد القبانجي كانت خالية من ذلك كله ، كما انها خالية من اية مواضيع علمية لها علاقة بعلم الالسنيات (السيميوتيكا) الذي اسسه سوسور!! وبدلاً من ذلك جاء احمد القبانجي بشبهة حاول فيها ايهام المتلقي (المستمع) انها شبهة من نتاج علم الالسنيات مع انها بعيدة عنه لأنها شبهة يتناولها علماء الحوزة منذ مئات السنين وهي موضوع علاقة اللفظ بالمعنى الخارجي ، فالموضوع ليس من نتاج الالسنيات الحديثة ولا علاقة له بسوسور ولا باي عالم آخر من علماء الالسنية ، بل هو موضوع يمتد عميقاً ليخترق الزمن ويرتبط بالفلسفة الارسطية. بل بالضد من احمد القبانجي سنرى ان علم الالسنيات الحديث يجيب عن الاشكالية التي ذكرها احمد القبانجي عن علاقة اللفظ بالمعنى الخارجي بطريق آخر من داخل علم الالسنيات الحديث نفسه مختطاً طريقاً آخر يبعد الشبهة عن الاذهان ولا يجد لها قيمة لان تناول الالسنيات الحديث للموضوع

---

[٣٣] المدخل الى علم الالسنية الحديث / الدكتور جرجس ميشال جرجس / المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ـ ص١٦٥.
[٣٤] المدخل الى علم الالسنية الحديث / الدكتور جرجس ميشال جرجس / المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ـ ص١٦٦.

يختلف عن الفلسفة الارسطية. وسنناقش ذلك تفصيلياً في معرض تفنيدنا لشبهة احمد القبانجي حول علاقة اللفظ بالمعنى الخارجي ، ان شاء الله سبحانه.

ومن المهم العروج الى مقولة الدكتور ميشال جرجس آنفة الذكر بان الهرمنيوتيكا ظهرت كرد على السيميوتيكا ونحن نجد ان هذه المقولة ربما تكون غير صائبة بل معكوسها هو الصواب لأن رائد الهيرمنيوتيكا الحديثة فريدريك شلايماخر (١٧٦٨-١٨٣٤)م قد عاش في فترة تسبق رائد السيميوتيكا فرديناند دي سوسور (١٨٥٧- ١٩١٣)م. اذن السيميوتيكا ظهرت بعد الهيرمنيوتيكا رافضةً لفكرتها في كيفية فهم القاريء للنص لعدم جدواها لوجود سلبيات عديدة فيها سنتطرق اليها لاحقاً إنْ شاء الله سبحانه. ومستبدلة بها بفكرة تعبير النص عما يريده ، حيث يمكن للنص التعبير عن ذاته بينما فهم القاريء له يصطدم بثقافة القاريء ونفسيته وزمنه. ورب قائل يقول بان المهم هو فهو القاريء للنص في زمن القاريء لا في الزمن الموغل في القدم حين ظهور النص بسبب التطور الحاصل في الحياة والذي يتطلب فهماً جديداً للنص ينسجم مع واقع الحياة ! الا ان هذا التوجه غير صحيح وان صح شيء او نص الا انه لا يصح في القرآن الكريم الذي يجب ان نفهمه كما انزله الله سبحانه حيث جاء الاسلام بشريعة كل الازمنة فمن غير المنطقي ان ندعي فهماً للقرآن الكريم لزمن يختلف عن فهم زمنٍ آخر سابق !

علاقة اللفظ بالمعنى الخارجي:

قال احمد القبانجي في محاضرته عن الالسنيات: "في السابق كان كل الكلام يفهم من خلال ركنين هما:

١. اللفظ.

٢. المعنى الخارجي.

فكان أغلب الكلام يفسر ضمن هذين الركنين فحينما نقول (ماء) فإننا نقصد الماء، وقصدنا هنا يتطابق مع لفظ مفردة الماء، ولان الماء له وجود واقعي في الخارج لذا يمكننا معرفته، لكن المشكلة تظهر في الألفاظ التي تخص الأمور الأخلاقية، أو الأمور الحسية، أو كل ما هو ليس له وجود خارجي محسوس مثل الجمال، العدالة، الرحمة، النبوة، أو جبرائيل، وغيرها ....، إذن ليس كل الأشياء لها مدلولات مادية، لهذا يصبح إدراك المعنى في هذه الحالة يعتمد على الذهن البشري، أي يبدأ الاعتماد

أو استخدام المفهوم الذهني للتعامل مع هذا النوع من الألفاظ. فهناك إذن شيء آخر خلف الألفاظ كان يقصدها المتكلم. هذه القضية نلمسها بشدة وبوضوح في نصوص القرآن، لان المتكلم هو في الأساس غير مفهوم بالنسبة إلينا، فالنبي كان يقول (إن الله اختفى عن بني آدم بألف حجاب من النور وألف حجاب من الظلمة). وهو يقول عن الله أيضا (ما عرفتك حق معرفتك)، فكيف يمكن لنا أن نعرف الله لنفهم كلامه؟؟؟؟!!!!. ففي العادة يتم إسقاط المحمولات البشرية على المواضيع الغيبية، ولهذا تظهر لنا مشكلة فهم النص" ... الى ان يقول: (الغربيون ابتكروا طريقة أخرى لحل هذه المشكلة من خلال إسقاط ونسف المعنى عن كل الألفاظ التي ليس لها وجود خارجي واكتفوا ببيان المشاعر، فقضية نزول (جبرائيل) على النبي أمر لا يمكن إثباته لان (جبرائيل) أساسا نزل على شخص واحد هو النبي، وهذه العملية لا تشبه تجربة الجوع أو العطش الذي نعيشه بشكل جماعي ودائمي، لهذا فنحن نفهم ماذا يقصد بالجوع رغم أن الجوع ليس له وجود مادي في الخارج، أما قضية النبوة بهذه الطريقة فلا يمكن لنا فهمه، وهكذا نلاحظ بأن كل الكلام الذي يخص الأخلاق ليس له معنى في الخارج بل إن هناك إحساسات معينة تخص تلك الألفاظ ، كلمة (آه) مثلا تدل على الوجع عادة، لهذا حينما نقول بان الله عادل لا نقصد بالعدل شيء في الخارج بل نقصد إحساسا معيناً يكمن في دواخلنا، لهذا حينما يقول شخص ما إن الله موجود فهو يقصد إحساسه بوجود الله داخليا، وهو يريد أن يعيش بفكرة أن الله موجود، بعكس الشخص الآخر الذي يقول إن الله غير موجود فهو يقصد إحساساً داخلياً أيضا، وهو يريد أن يعيش بفكرة عدم وجود الله، هذا الفهم وبهذه الصيغة يعني لا فرق ولا تنازع بين الإيمان والإلحاد، ويعني قبول التعددية في ظل عدم التنازع، وهو السبب الذي كان يجعل القبانجي يقول (الحداثة تلغي التنازع بين الإيمان والإلحاد). لأنه بهذا المعنى لا يصبح الإلحاد يعني شيئا خارجيا يستوجب العقاب أو الاتهام بالتآمر على الدين، بل يكون فقط منهجا للحياة، تماما مثل الإيمان الذي هو الآخر منهج للحياة أيضا، وكلاهما صحيح)[٣٥].

إنَّ مكمن الخطأ في كلام احمد القبانجي هو اعتباره ان كل ما لا يمكن ادراكه بصورة مادية فهو امر داخل الذهن البشري ! فيقول: "لهذا يصبح إدراك المعنى في هذه الحالة يعتمد على الذهن البشري" على حد تعبيره ! لقد فات احمد القبانجي التمييز بين ان يكون هناك وجود خارجي وبين ان لا يدرك

[٣٥] محاضرة منشورة في الموقع الشخصي لاحمد القبانجي بعنوان: (علم الألسنيات ودوره في إنتاج النص) ، تجدونها عبر الرابط:
http://www.alwjdan.org/index.php?option=com_content&view=article&id=1583:2011-03-13-17-24-35&catid=88:scienc&Itemid=462

الانسان ذلك الوجود. كما فاته ان الموجودات تقسم الى موجودات مادية ونفسية ومنطقية فهي ليست محصورة بالجانب المادي. ولذلك نجد ان هناك امور عديدة في حياتنا موجودة فعلاً ولكن الانسان لا يتمكن من ادراكها. بل يمكن ان يعرفها من خلال اثرها ، مثلاً الجاذبية الارضية التي سبق ان ذكرنا آنفاً انه لا يمكن للانسان ان يراها او يتعامل معها بصورة مادية ، بل ان علاقة الانسان مع الجاذبية تعتمد على الاثر الذي تتركه الجاذبية في حياة الانسان ، اما ماهية الجاذبية فلا يعرفها الانسان ولا يمكن ان يتخيلها !! فهل يريد احمد القبانجي ان يقول لنا ان الجاذبية هي امر ذهني فقط وليس لها وجود خارجي لأن الانسان لا يراها ولا يعرف طبيعتها !

اذن عدم قدرة الانسان على تخيل امور موجودة فعلاً لا يعني انها غير موجودة في الواقع وانها فقط امر ذهني !؟ ولذلك فمن الخطأ مقارنة احمد القبانجي بين وجود جبرائيل عليه السلام الذي لم يره او يدركه سوى النبي (صلى الله عليه وآله) وبين الجوع والعطش الذي يحسه جميع الناس ، فيظن ان اشتراك الناس جميعاً في ادراك قضة غير مرئية مثل الجوع والعطش يعطيه شرعية الوجود الحقيقي بينما اذا ادرك انسان واحد لحقيقة لا يدركها سواه فهذا يعني ان الناس الآخرين لا يمكن ان يأخذوا بها !! لقد فاته ان الاشياء المادية لا تعرف بالادراك والتجربة وحدها بل بالاثر الذي تتركه ايضاً ، كمثال الجاذبية الارضية او انبعاث الطاقة النووية فنحن لا نرى الطاقة النووية بل نرى اثرها على الماديات حولها. وحتى الذرة والالكترون والنواة لا نراها فهل يريد احمد القبانجي ان يقول انها قضية ذهنية وليست حقيقة ذات وجود خارجي لا يراها الانسان وفاته ان الا نسان يدرك ويستفيد من اثرها ! ان هذا المفهوم الذي يروّج احمد القبانجي يجعل اي امر غير مرئي امراً ذهنياً انما يؤثر سلباً على تقدم العلوم ويعيقها لأن كل انسان على سبيل المثال سوف يقول انه ليست هناك جاذبية لأننا لا نراها او ليست هناك ذرة لأننا لا نراها !

فجبريل (عليه السلام) موجود في الواقع وقد عرفنا به من خلال الاثر الذي تركه وهو القرآن الكريم الفريد والمعجز فهو الدليل على صدق النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى وجود جبريل (عليه السلام).

وهنا ننبه على قضية اخرى وهي انه ليس مطلوباً من المسلم ان يعرف شكل جبرائيل (عليه السلام) وماهيته ولا ان يشعر ويعرف كيفية الوحي ، بل المطلوب منه ان يؤمن بحدوث ذلك كله ووجوده ، فالايمان الحقيقي لا يكون عبثياً او وراثياً بل هو ايمان واعي مبني على المعجزة التي تؤيد النبي في ما يدعيه.

اذن فقول القبانجي : "لهذا حينما يقول شخص ما إن الله موجود فهو يقصد إحساسه بوجود الله داخليا" انما هو كلام غير منطقي لما قدمناه آنفاً من ان هناك فرق بيّن بين ان نحس بوجود الشيء وبين ان يدلنا على وجوده اثره. فمن يقول ان الله سبحانه موجود فليس لأنه رأى الله سبحانه . وهذا محال . بل لأنه رأى آثار خلق الله سبحانه ودلائل وجوده من خلال الاعجاز والاتقان في كل مظاهر الحياة. والا فان الاستدلال الذي ذكره احمد القبانجي ينقلب عليه لأن قوله انه يشعر بوجدانه رغم ان الوجدان ليس كالجوع والعطش يشعر به الناس جميعاً بل يكاد يكون شيء مجهول ليس له وجود خارجي ولا حتى ذهني . بل ان احمد القبانجي نفسه يقول ان الوجدان عند الناس متفاوت قوة وضعفاً ! . فلا يمكن لكل الناس ان يدركوا وجود الوجدان لأنه يصبح قضية ذهنية فقط في ذهن احمد القبانجي ، وحتى لو ادعى آخر انه يشعر بوجدانه فلا يمكن ان يثبت ان شعوره بالوجدان مثل شعور احمد القبانجي بالوجدان لأنه ليس له مظهر ووجود خارجي او شعوري عام بين البشر وبذلك يفقد المنهج الوجداني كل قيمته لأنه لم يتمكن ان يصبح مرجعاً للناس بل سيبث البلبلة والاختلاف لأختلافه وتفاوته فيما بينهم. الا اذا سلّم احمد القبانجي بالقول ان الوجدان هو نفسه الضمير وبذلك تنتكس نظريته الوجدانية كلها وتنقلب رأساً على عقب ! لسبب بسيط وهو ان الضمير ليس له علاقة بالعرفان ولا بالكشف العرفاني الذي يدعيه العرفاء حيث ان احمد القبانجي يسمي منهجه بال "عرفانيين الجدد". ومن الجدير بالذكر ان كلمة الوجدان تترجم في بقية اللغات بمعنى (الضمير) وليس لها ترجمة اخرى !!؟ وهذا ما ينسف دعوته الوجدانية كلها.

ان تطرق احمد القبانجي في محاضرة الالسنيات لعلاقة اللفظ بالمعنى الخارجي توهم ان لهذا الموضوع علاقة بالالسنيات الحديثة والواقع غير ذلك ، يقول الدكتور مصطفى غلفان: (يرى دو سوسير ان العلامة اللسانية لا تربط بين شيء ولفظ كما يذهب الى ذلك الاسمويون . وهم القائلين بالربط بين اللفظ بالمعنى الخارجي وفقاً للمنهج الارسطوي – ولكنها تربط بين مفهوم وصورة سمعية. بهذا المعنى فان العلامة اللسانية لا تربط اللفظ بالشيء الموجود في العالم الخارجي ربطاً مباشراً اي انها لا تربط الشيء المسمى بالاسم بل تسند للشيء الموجود في العالم الخارجي صورة مفهومية تقابلها صورة سمعية. ليست الصورة السمعية هي الصورة الصوتية المادية الفيزيائية فحسب ولكنها الانطباع الذي

تثيره الصورة في انفسنا)[٣٦]. فالانطباع هو الذي يصنع الصورة السمعية ، وانطباعنا حول جبرائيل عليه السلام والوحي والجنة والنار هي التي تشكل الصورة السمعية. وانطباعنا لا ينفي حقيقة وجود هذه الاشياء في العالم الخارجي وان كان انطباعنا عنها مختلفاً ، ولا ننسى ان المسلم غير مكلف بان يكون انطباعه عن الجنة والنار مماثلاً لحقيقة وجودها ، ففي الحديث الشريف: (قال الله عز وجل اعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[٣٧]، رغم الصور العديدة المرسومة في القرآن الكريم للجنة.

اذن موضوع علاقة اللفظ بالمعنى الخارجي ليس من اركان علم الالسنيات الحديث وتوهم احمد القبانجي انه منه هو بسبب عدم معرفته عن الالسنيات فيما يبدو الا اسمها !!

كلام الشيخ المظفر حول اللفظ والمعنى الخارجي:

قال الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله في كتابه (المنطق) في مباحث الالفاظ: (إن للأشياء أربعة وجودات: وجودان حقيقيان ووجودان اعتباريان جعليان:

الأول- (الوجود الخارجي) كوجودك ووجود الأشياء التي حولك ونحوها، من أفراد الإنسان والحيوان والشجر والحجر والشمس والقمر والنجوم، إلى غير ذلك من الوجودات الخارجية التي لا حصر لها.

الثاني- (الوجود الذهني) وهو علمنا بالأشياء الخارجية وغيرها من المفاهيم. وقد قلنا سابقاً: أن للإنسان قوة تنطبع فيها صور الأشياء. وهذه القوة تسمى الذهن. والانطباع فيها يسمى الوجود الذهني الذي هو العلم.

وهذان الوجودان هما الوجودان الحقيقيان. لأنهما ليسا بوضع واضع ولا باعتبار معتبر.

الثالث- (الوجود اللفظي) بيانه: أن الإنسان لما كان اجتماعياً بالطبع ومضطراً للتعامل والتفاهم مع باقي أفراد نوعه، فإنه محتاج إلى نقل أفكاره إلى الغير وفهم أفكار الغير. والطريقة الأولية للتفهيم هي

---

[٣٦] في اللسانيالت العامة / الدكتور مصطفى غلفان / دار الكتاب الجديد المتحدة / الطبعة الاولى ٢٠١٠ – ص٢٢٩.
[٣٧] رواه احمد في مسنده والبخاري ومسلم في صحيحيهما.

أن يحضر الأشياء الخارجية بنفسها، ليحس بها الغير بإحدى الحواس فيدركها. ولكن هذه الطريقة من التفهيم تكلفه كثيراً من العناء، على أنها لا تفي بتفهيم أكثر الأشياء والمعاني، إما لأنها ليست من الموجودات الخارجية أو لأنها لا يمكن إحضارها.

فألهم الله تعالى الإنسان طريقة سهلة سريعة في التفهيم، بأن منحه قوة على الكلام والنطق بتقاطيع الحروف ليؤلف منها الألفاظ. وبمرور الزمن دعت الإنسان الحاجة - وهي أم الاختراع - إلى أن يضع لكل معنى يعرفه ويحتاج إلى التفاهم عنه لفظاً خاصاً. ليحضر المعاني بالألفاظ بدلاً من إحضارها بنفسها.

ولأجل أن تثبت في ذهنك أيها الطالب هذه العبارة أكررها لك: (ليحضر المعاني بالألفاظ بدلاً من إحضارها بنفسها). فتأملها جيداً، واعرف أن هذا الإحضار إنما يتمكن الإنسان منه بسبب قوة ارتباط اللفظ بالمعنى وعلاقته به في الذهن. وهذا الارتباط القوي ينشأ من العلم بالوضع وكثرة الاستعمال. فإذا حصل هذا الارتباط القوي لدى الذهن يصبح اللفظ عنده كأنه المعنى والمعنى كأنه اللفظ أي يصبحان عنده كشيء واحد، فإذا أحضر المتكلم اللفظ فكأنما أحضر المعنى بنفسه للسامع، فلا يكون فرق لديه بين أن يحضر خارجاً نفس المعنى وبين أن يحضر لفظه الموضوع له، فإن السامع في كلا الحالين ينتقل ذهنه إلى المعنى. ولذا قد ينتقل السامع إلى المعنى ويغفل عن اللفظ وخواصه كأنه لم يسمعه مع أنه لم ينتقل إليه إلا بتوسط سماع اللفظ.

وزبدة المخض أن هذا الارتباط يجعل اللفظ والمعنى كشيء واحد، فإذا وجد اللفظ فكأنما وجد المعنى. فلذا نقول: «وجود اللفظ وجود المعنى». ولكنه وجود لفظي للمعنى، أي أن الموجود حقيقة هو اللفظ لا غير، وينسب وجوده إلى المعنى مجازاً، بسبب هذا الارتباط الناشئ من الوضع. والشاهد على هذا الارتباط والاتحاد انتقال القبح والحسن من المعنى إلى اللفظ وبالعكس: فإن اسم المحبوب من أعذب الألفاظ عند المحب، وإن كان في نفسه لفظاً وحشياً ينفر منه السمع واللسان. واسم العدو من أسمج الألفاظ وإن كان في نفسه لفظاً مستملحاً. وكلما زاد هذا الارتباط زاد الانتقال، ولذا نرى اختلاف القبح في الألفاظ المعبر بها عن المعاني القبيحة، نحو التعابير عن عورة الإنسان، فكثير الاستعمال أقبح من قليله. والكناية أقل قبحاً. بل قد لا يكون فيها قبح كما كنى القرآن الكريم بالفروج.

وكذا رصانة التعبير وعذوبته يعطي جمالاً في المعنى لا نجده في التعبير الركيك الجافي، فيضفي جمال اللفظ على المعنى جمالاً وعذوبة.

الرابع- (الوجود الكتبي) شرحه: أن الألفاظ وحدها لا تكفي للقيام بحاجات الإنسان كلها، لأنها تختص بالمشافهين. أما الغائبون والذين سيوجدون، فلابد لهم من وسيلة أخرى لتفهيمهم، فالتجأ الإنسان أن يصنع النقوش الخطية لإحضار ألفاظه الدالة على المعاني، بدلاً من النطق بها، فكان الخط وجوداً للفظ. وقد سبق أن قلنا: أن اللفظ وجود للمعنى، فلذا نقول: «إن وجود الخط وجود للفظ ووجود للمعنى تبعاً». ولكنه وجود كتبي للفظ والمعنى، أي أن الموجود حقيقة هو الكتابة لا غير، وينسب الوجود إلى اللفظ والمعنى مجازاً بسبب الوضع، كما ينسب وجود اللفظ إلى المعنى مجازاً بسبب الوضع.

إذن الكتابة تحضر الألفاظ، والألفاظ تحضر المعاني في الذهن، والمعاني الذهنية تدل على الموجودات الخارجية.

فاتضح أن الوجود اللفظي والكتبي (وجودان مجازيان اعتباريان للمعنى) بسبب الوضع والاستعمال.

النتيجة: لقد سمعت هذا البيان المطول - وغرضنا أن نفهم منه الوجود اللفظي، وقد فهمنا أن اللفظ والمعنى لأجل قوة الارتباط بينهما كالشيء الواحد، فإذا أحضرت اللفظ بالنطق فكأنما أحضرت المعنى بنفسه.

ومن هنا نفهم كيف يؤثر هذا الارتباط على تفكير الإنسان بينه وبين نفسه، ألا ترى نفسك عندما تحضر أي معنى كان في ذهنك لابد أن تحضر معه لفظه أيضاً، بل أكثر من ذلك تكون انتقالاتك الذهنية من معنى إلى معنى بتوسط إحضارك لألفاظها في الذهن: فإنا نجد أنه لا ينفك غالباً تفكيرنا في أي أمر كان عن تخيل الألفاظ وتصورها كأنما نتحدث إلى نفوسنا ونناجيها بالألفاظ التي نتخيلها، فنرتب الألفاظ في أذهاننا، وعلى طبقها نرتب المعاني وتفصيلاتها، كما لو كنا نتكلم مع غيرنا.

قال الحكيم العظيم الشيخ الطوسي في شرح الإشارات: «الانتقالات الذهنية قد تكون بألفاظ ذهنية، وذلك لرسوخ العلاقة المذكورة - يشير إلى علاقة اللفظ بالمعنى - في الأذهان».

فإذا أخطأ المفكر في الألفاظ الذهنية أو تغيرت عليه أحوالها يؤثر ذلك على أفكاره وانتقالاته الذهنية، للسبب المتقدم)[٣٨].

فما توهمه احمد القبانجي من ان اللفظ يدل على معنى داخل الذهن فقط وليس له وجود خارجي مثل لفظ (جبرائيل) هو تصور موهوم لأن عدم ادراك ذهن الانسان العادي لجبريل (نتيجة عدم رؤيته) لا يجعل من جبريل عدماً ويجعل قضيته ذهنية فقط ، بل يبقى جبريل (عليه السلام) حقيقة واقعية بدليل الاثر الذي نقله وكان واسطته وهو القرآن الكريم وان لم يره او يعرفه او يحس به كل البشر. عدا الانبياء صلوات الله عليهم . ويصبح لفظ جبريل شديد الالتصاق بمعناه على النحو الذي اشار اليه الشيخ المظفر (رحمه الله).

بين معرفة الله سبحانه وفهم كلامه:

وزعم ان الهيرمنوطيقا تؤيد ان القرآن من محمد (صلى الله عليه وآله) لأنها تمكن من فهم النص ولو كان من الله لما فهمناه لأننا يجب ان نفهم المتكلم قبل ان نفهم النص !! وبما اننا لا يمكن ان نفهم الله لأن صفاته المذكورة هي صفات انسانية وهو لا يملك اي صفات على حد تعبير وزعم احمد القبانجي الذي يقول: (فكيف يمكن لنا أن نعرف الله لنفهم كلامه؟؟؟!!!!) ، فهو يربط بسذاجة بين معرفة الله سبحانه وبين فهم كلامه رغم ان الموضوعين متباينين ، ففهم كلام الله سبحانه يكون وفق قواعد الفهم البشرية ، فالله سبحانه خلق كلامه بلسان عربي مبين لكي يكون مفهوماً وواضح الدلالة عند المتلقين له من البشر. اما معرفة الله سبحانه فتكون عبر معرفة صفاته التي وان اشترك بعضها لفظاً مع بعض الصفات البشرية الا انها لا تماثلها من حيث حقيقتها وابعادها. وهو عزَّ وجل القائل في سورة الشورى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)). ان مغزى كلام احمد القبانجي في الربط بين فهم القائل لفهم كلامه مزاعمه بأن صفات الله تعالى لا يمكن للبشر ادراكها فهي ليست صفات بشرية وكذلك كلامه سبحانه لا يمكن للبشر فهمه لأنه ليس مثل كلام البشر وبذلك ينسف ان تكون هناك كتب سماوية او تشريعات الهية من اجل الترويج لسيادة القوانين الوضعية بين الناس ! ومقتضى

[٣٨] المنطق / الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله / الطبعة الثالثة ، مطبعة النجف الاشرف ١٣٨٨هـ - ج١ ص(٣٢-٣٥).

فكرته الموهومة هذه ان الله سبحانه ليس عظيم القدرة وليس على كل شيء قدير. وحاشاه ربنا . فهم بحسب اوهام احمد القبانجي لا يتمكن من خلق كلام مفهوم للناس وبلغة الناس ! فاذا كان الاله ليس عظيم القدرة فهو اله عاجز فقير وةليس بغني ولا يستحق العبادة ! وبالمناسبة فان احمد القبانجي يصرح بان الناس ليسوا عبيداً لله سبحانه !!

النظرية الرمزية البديلة:

ثم يعرض احمد القبانجي نظرية اخرى تعنى بالرمزية بدلاً من نظرية المعنى الذهني موهماً ان لهذه النظرية علاقة بعلم الالسنيات ؟!! فزعم ان كل ما يصدر عن الله سبحانه هو رموز واشارات وليس حقيقة مثل الجنة والنار والنبوة وجميع صفات الله !! لكنه لم يلاحظ ان هذه الرمزية والاشارات تجعله يسير وفق المنهج الباطني الذي كان معروفاً قديماً وهو منهج منحرف عن الاسلام يجعل لكل شيء معنى مختلف عن حقيقته !!

لقد توهم احمد القبانجي ان علم اللسانيات الذي يعتبر اللغة رموز واشارات . وقد مر عليك آنفاً قول دي سوسور: (فعلم اللغة هو جزء من علم الاشارات العام)[٣٩] . وقال الدكتور جرجس ميشال عارضاً احدى نظريات شارل بالي التي تعتبر احدى الاسس لمدرسة جنيف اللغوية: (اعتبار اللغة نظاماً متناسقاً ذا وظيفة اجتماعية اساسية. وهو نظام من العلامات أوالاشارات أو الرموز لا يعرف سوى قوانينه الخاصة المميزة)[٤٠]. فخلط بين رمزية اللغة وبين رمزية المعنى الذي تعتمده الدراسات الغنوصية (الباطنية) وهو موضوع آخر تماماً لا علاقة له برمزية اللغة وعلم الالسنيات !!!

اذن نقول وبكل ثقة ان احمد القبانجي في محاضرته عن الالسنيات لم يتناول اي موضوع يخص الالسنيات الحديثة !؟

---

[٣٩] علم اللغة العام / فرديناند دي سوسور ، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز ـ ص٣٤.

[٤٠] المدخل الى علم الالسنية الحديث / الدكتور جرجس ميشال جرجس / المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ـ ص١٥.

محاضرة التفسير الوجداني:

في محاضرته حول ما اطلق عليه اسم "التفسير الوجداني" يضرب احمد القبانجي بعلمي الهيرمنيوطيقا والالسنيات عرض الحائط . مع اننا عرفنا مما سبق انه لم يفهمها اصلاً . ويؤسس في التفسير الوجداني لمفاهيم باطنية ناقلاً المتلقي (المستمع او القاريء) الى عالم التفاسير الغنوصية المسيحية والفرق الباطنية الاسلامية البائدة !

التفسير الوجداني تفسير سفسطائي:

يقول غادامير: (يتجلى محور الهيرمينوطيقا القديمة في مشكل التأويل الرمزي والذي هو تأويل قديم جداً. فالمعنى الباطني أو "الهيبونويا" Hyponoia هو لفظ قديم كان يدل على المعنى الرمزي. اذاستعمل هذا التأويل في زمن السوفسطائية وهو ما يؤكده ج. تات وما تثبته مخطوطات البردي الحديثة)[٤١]. فالهيرمنيوطيقا التي يفهمها احمد القبانجي هي الهيرمنيوطيقا القديمة التي كانت في زمن السفسطة (السوفسطائيين) حيث انها تتناول المعنى الباطني والرمزي للالفاظ والنصوص وهو المنهج الذي نراه جلياً في محاضرة (التفسير الوجداني) لأحمد القبانجي ! ففي محاضرته هذه يقول حول قوله تعالى: ((ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها)) يقول: (يمكن ان تفسر بأسلوب آخر اكثر جمالاً واكثر مقبولية فالعرفاء يقولون هذه الآية صحيحة وبما ان الله هم ملك الملوك فإذن ينطبق وصف الآية هذه على الله أيضاً ، فملك الملوك إذا دخل قرية افسدها فأي قرية هذه التي يمكن ان يقصدها الله ؟؟؟؟ القرية في نظر العرفاء في هذه الحالة هو (قلب الانسان) ، (وأهل القرية يقصد بهم (أهل القلب) وهو الأنا ، هذه (الأنا) عادة شيطانية ودائما نراها تقول انا الاجمل انا الافضل ، انا ومن بعدي الطوفان ، فإذا دخل الله (ملك الملوك) قلب المؤمن (القرية) تصبح هذه الانا ذليلة وتختفي جميع الشياطين ، وهذا معنى جميل للآية ، النبي اعطانا كتاب وأضفى فيه جماليات عديدة وعلينا إحياء تلك الجماليات ، علينا ان نقرأ القرآن كنص فني ، ابداع فني ، نلاحظ اليوم الكثير من المثقفين يأخذون مواقف معادية للقرآن لأن الفقهاء لم يأتوا بتجديد لهذا النص)! وكلامه هذا يكشف عن اثارات مهمة منها:

[٤١] فلسفة التأويل / هانس غيورغ غادامير / ترجمة محمد شوقي الزين / الدار العربية للعلوم ، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م – ص٦٤.

. يجعل من العرفاء مرجعاً لتأييد صحة آيات القرآن الكريم مع انهم ليس عندهم خصوصية تؤهلهم لهذه المرجعية فالقرآن الكريم كتاب معجز وهو يدل على صحة نفسه بنفسه. اذن القرآن الكريم صحيح قطعاً ولا يحتاج لرأي العرفاء للشهادة بصحته.

. يقبل وصف الله سبحانه بانه ملك الملوك ولكنه في محاضرة (نقد الاعجاز القرآني) ومحاضرات اخرى ايضاً حينما يتحدث عن العرش يرفض ان يوصف الله سبحانه بانه له عرش كعرش الملوك ، ويقول تلك صفات بشرية لا يجوز وصف الله بها !؟ اذن لماذا يقبل هنا ان يصف الله بوصف بشري وهو"ملك الملوك" !! طبعا المسلمون لا يقولون بان لله عرشاً كعرش الملوك انما يعطون للعرش معاني اخرى كالعلم وغيرها. فتناقض احمد القبانجي في هذه النقطة واضح.

. الآية الكريمة وردت في سورة النمل على لسان ملكة سبأ وهي آية واضحة الدلالة ولا تحتاج لتفسير باطني ليشرحها ، فقد كانت ملكة سبأ تنذر قومها من ان من عادة الملوك اذا غزو ممالك او قرى اخرى فانهم يفسدون تلك القرى والممالك ويتلفونها ويسبون اهلها وكانت تريد بذلك نصح قومها لمسالمة النبي سليمان (عليه السلام) وتجنب دخول الحرب معه. فاحمد القبانجي عمد الى آية واضحة الدلالة ففسرها تفسيراً باطنياً !!

. اقتراف احمد القبانجي للتفسير الباطني لقرآن يماثل تفسير الفرق الباطنية القديمة المنقرضة للقرآن الكريم حينما تعطي لبعض معاني الآيات معاني اخرى ليس عليها دليل انما هي اهواء تتبع.

. في محاضرته نفسها انتقد بعض الروايات عند الشيعة التي تعطي لبعض الآيات القرآنية تفسيراً باطنياً (وهي روايات غير معتبرة عندهم) ولكنه نفسه يعود بعد قليل ليفسر الاية آنفة الذكر تفسيراً باطنياً ايضاً !!؟ فتناقضاته واضحة ...

. يزعم ان التفسير الوجداني الباطني تفسير جمالي ! وقضية الجمال هذه نسبية ، وكما يقال كن جميلاً ترى الوجود جميلا ، فلا يمكن ان يزعم احد ان التفسير الاسلامي لآيات القرآن الكريم خالٍ من الجمال بل هو في القمة منه في جميع آيات القرآن الكريم. انظر لنفس الآية الكريمة كيف تعكس جمال عقل المرأة التي تفهم في السياسة وسيرة الملوك وما يمكن ان يقترفوه من دمار على القرى التي يستولون عليها ، فتتمكن من تجنيب شعبها ويلات عظيمة ، فقالت لهم: ((ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها)) ، فهل تفسيره اكثر جمالية ام التفسير الاسلامي الجمالي الرائع الذي يعطي للمراة مكانة عالية في الوسط الانساني.

. يعترف احمد القبانجي في في تفسيره الوجداني الباطني بوجود الشياطين فيقول ان دخول الله الى القلب يفسد وجود الشياطين في القلب !! يقول انها اناة شيطانية و(هذه الشياطين تختفي في قلبك) بينما هو يقول في محاضرته حول الالسنيات ان ما لا يراه الانسان له وجود ذهني فقط وليس وجود حقيقي .. كما بيناه آنفاً .. وفي محاضرات اخرى يرفض وجود جبريل (عليه السلام) وكذلك الشياطين لأنه لا يراهم ! وهذه تناقضات فكرية عميقة عنده.

. ان تفسيره يخالف سياق الايات الكريمة في قصة الهدهد وملكة سبأ فهل من المعقول ان ملكة سبأ تتحدث مع قومها في شأن سياسي وتهديد النبي سليمان (عليه السلام) ملك مملكة اسرائيل لهم بغزوهم فتقول لهم اطردوا الانا من قلوبكم !! ان هذا التفسير الوجداني فيه استخفاف بعقل المرأة كما هو واضح.

. هو يفسر الآيات تفسيراً باطنياً ثم ينكر ان يكون تفسيره باطنياً ... استخفافاً بعقول مستمعيه !!

الخاتمة:

بينا في بحثنا هذا جانباً مهما من فكر احمد القبانجي البعيد عن المنهج العلمي والمليء بالتناقضات.

ان المدنية والحداثة يمكن ان تتحقق على اسس علمية سليمة ورصينة في حياتنا وبدون ان تتعارض مع الدين والقيم والاخلاق. فليس ملزماً من اجل التطور والتمدن والحداثة ان يتخلى الانسان عن عقيدته واخلاقه ودينه ومبادئه السامية ثم يعتنق افكاراً فوضوية متناقضة كما يفعل احمد القبانجي والذي نجده بعد ان يروج لأفكاره بين الناس يعود ليقول لهم انه ليس عنده دليل على صحة كلامه !!!

قال الله سبحانه وتعالى: ((قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)). صدق الله العلي العظيم

نقد شبهات احمد القبانجي حول الاعجاز البلاغي في القرآن

في محاضرة له بعنوان (نقد الاعجاز البلاغي في القرآن) يدعي احمد القبانجي ان الارهاب الذي يتعرض له المسيحيون اليوم انما سببه وجود آيات في القرآن الكريم تحرض على قتل اهل الكتاب واخذ الجزية منهم وان القاعدة لأنها تتمسك بآية اخذ الجزية من اهل الكتاب فهي تقتل المسيحيين لأنهم لا يدفعون الجزية ، ولكن احمد القبانجي يتناسى ان القاعدة هي اتجاه اسلامي منحرف وان المذاهب الاسلامية لا تقر القاعدة بفعلها هذا ، فلماذا يحمل احمد القبانجي الاسلام جريرة فعل جماعة ضالة خارجة عن شريعته ، الا يعلم احمد القبانجي ان سماحة السيد السيستاني (دامت بركاته) يفتي بان المسيحيين هم من اهل الذمة واموالهم ودمائهم مصانة ، فلماذا لم يقل ذلك ليبين للناس ان الخلل هو في إعراض القاعدة وعموم الفكر السني عن التمسك بالثقلين الذين قال عنهما رسول الله صلى الله عليه وآله ان من تمسك بهما لن يضل ابداً ، والثقلان هما القرآن الكريم والعترة الطاهرة اهل البيت عليهم السلام. فلماذا لا يكون احمد القبانجي صريحاً في قول الحقيقة ومجريات الامور ! لماذا يحاول استثمار الفعل السيء والاجرامي للقاعدة ليضرب به الاسلام بدلاً من الانصاف بالقول بان فكر القاعدة وحده هو الخاطيء والخارج عن الاسلام.

وينكر احمد القبانجي في هذه المحاضرة ضرورة من ضروريات الدين وهي ان القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه مع ان الله عزَّ وجل نفسه يصفه بانه كلامه فهل يعني احمد القبانجي سوى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله ، حيث ان القرآن الكريم الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله يصف نفسه بانه (كلام الله) بينما احمد القبانجي يقول لا هذا ليس كلام الله !!

الم يقرأ احمد القبانجي قوله تعالى: ((وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ)) وهو نص صريح في تسمية القرآن الكريم بكلام الله سبحانه.

ويقول احمد القبانجي : (وان من المستحيل عقلا ان ينزل الله احكام وحلول لمشاكل غير موجودة في ذلك المجتمع لمشاكل سوف تأتي بعد الف عام) ! فهل يعجز الله تعالى عن ذلك ، اليس الله سبحانه على كل شيءٍ قدير ، ام ان احمد القبانجي لا يعتقد بذلك فينسب العجز لله تعالى !! اليس هذا خروجاً عن العقيدة الاسلامية ؟!

بل ان احمد القبانجي في هذه المحاضرة ينكر رسالة النبي صلى الله عليه وآله وانه مرسل من قبل الله سبحانه حيث يقول: (وكما قلنا في حقيقة الوحي ان الوحي ليس معارف منزلة من الله ، هي المعارف والثقافة السائدة هي نفسها كانت لدى النبي ولكنت الدوافع هي دوافع انسانية ووجدانية والهية من جهة حب الخير للناس وحب تطويرهم ورفض البدع والظلم والجهل الذي كانوا يعيشونه اهل الجاهلية) ، فهو كلام صريح في انه لا يعتقد بأن النبي صلى الله عليه وآله مرسل من قبل الله سبحانه ليخرج الناس من الظلمات الى النور كما نص على ذلك القرآن الكريم بل نسب الوحي الى معارف انسانية كانت عند النبي صلى الله عليه وآله وان دوافعه الانسانية المبنية على حب الخير ورفع الظلم هي التي جعلته يقول الوحي !!

فكر احمد القبانجي مستند لشبهات !

من الواضح ان احمد القبانجي يؤسس فكره على القاء الشبهات حول الاسلام يبني افكاره واستنتاجاته استناداً لتلك الشبهات ، فما اشد جهل من بنى عقيدته على الشبهات !!

ففي هذه المحاضرة وعموم محاضراته يسرد احمد القبانجي كلامه المليء بالمغالطات والكاشف عن مساحة كبيرة من نقص المعلومات المتسبب بتولد الشبهات في فكره فجعلها اساس عقيدته وفكره. نعم فعقيدة احمد القبانجي عموماً هي مبنية على شبهات وافتراضات مخالفة للعقل والمنطق السليم وليست مبنية على ادلة ، بل الادلة المعتبرة تفندها وتكشف ضعفها.

القول بالصرفة:

نسب احمد القبانجي للسيد المرتضى والشيخ المفيد انهما لا يقولان بان في القرآن اعجاز بلاغي بل يقولان بالصرفة ظاناً انه بقوله هذا قد وجد شبهة قوية ضد القرآن الكريم ! ولا يدري هذا المسكين ان القول بالصرفة لا يمثل اي شبهة ضد القرآن الكريم ولو كانت تمثل شبهة ما لذكرها الملحدون والنصارى في مواقعهم التي تشتم الاسلام ليلاً ونهاراً ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك لأن القول بالصرفة لا

يمثل اي طعن بالقرآن الكريم ، وحاشا لعلماء الشيعة الامامية ان يطعنوا بالقرآن الكريم فهم اتباع آل البيت عليهم السلام وهم المتمسكون بالثقلين الكتاب والعترة الطاهرة.

ومعنى الصرفة الذي ذهب اليه السيد المرتضى ان العرب في زمان النبوة لم يتمكنوا من قبول التحدي بالاتيان بمثل القرآن الكريم او بمثل سورة واحدة منه لأن الله سبحانه صرفهم بصورة اعجازية عن الاتيان بالتحدي وليس بسبب الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم. وكما ترون فالنتيجة واحدة وهي ان وراء القرآن الكريم قوة الهية منعت العرب من الاتيان بمثل القرآن الكريم سواء بسبب اعجازه البلاغي او بسبب اعجاز الصرفة فالنتيجة واحدة وهي ان القرآن المعجز اثبت صدق النبوة وانه كلام الله سبحانه واثبت صدق النبي صلى الله عليه وآله وصدق جبرائيل عليه السلام الذي بلغه بكل امانة للنبي صلى الله عليه وآله. وسواء كان القول بالصرفة هو الحق او عدم القول بالصرفة هو الحق فكلا الامرين لا ينفعان منهج احمد القبانجي ، ومن المستغرب ان يقوم بايرادهما اللهم الا لغرض التشويش على القرآن الكريم وعظمته ، فالقرآن معجزة سواء كان معجزة بلاغية او معجزة بالصرفة ، والاعجاز هذا كما ذكرنا آنفاً دليل على صدق نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ، وهذا الاعجاز يدل على انه كلام الله سبحانه وليس من كلام الجن ولا من كلام الملائكة ولا من كلام جبريل عليه السلام لأن هؤلاء لا يتمكنون من الاتيان بالمعجزات.

ومن الجدير بالذكر ان معظم علماء الشيعة خالفوا السيد المرتضى رضوان الله عليه ولم يقولوا بالصرفة بل قالوا بالاعجاز البلاغي للقرآن الكريم. والنتيجة كما اسلفنا واحدة.

ومن المناسب ان ننبه الى بعض الامور منها ان الاعجاز القرآني غير محصور في الاعجاز البلاغي بل هناك اعجازات اخرى منها اعجازه في الاخبار بالغيبيات مثل انتصار الروم بعد هزيمتهم ومثل اخباره بموت ابي لهب وموت الوليد بن المغيرة كافرين. كما ان من معالم اعجاز القرآن الكريم المعارف الاجتماعية والاخلاقية التي اتى بها والتي تفتقر اليها الشرائع التي سبقته وكذلك تفتقر اليها بيئة شبه الجزيرة العربية.

صفات الله عزَّ وجل:

ويقول احمد القبانجي حول نسبة اليد والوجه لله سبحانه بأنها صفات غير معقولة ويجب ان يتعامل معها المسلمون على نحو المجاز وان المعتزلة هم اول من قال بالمجاز بخصوصها ، وزعم انه في القرن الاول للهجرة لم يتطرق اي عالم من علماء بالمسلمين لهذه القضية اي قضية المجاز. وكلامه هذا بعيد عن الحقيقة لأن معظم عقائد المسلمين تتعامل مع هذه الالفاظ على نحو المجاز لا الحقيقة واخص بها عقيدة مدرسة آل البيت عليهم السلام والعقيدة الاشعرية عند اهل السنة. فليس المعتزلة وحدهم من رفض الالتزام بظواهرها بل ان مذهب آل البيت عليهم السلام منذ القرن الاول الهجري هو تأويل الآيات القرآنية التي تحوي على نسبة اليد والوجه لله تعالى ورفض استخدامها كوصف حقيقي.

الهيرمنيوطيقا:

يقول احمد القبانجي ان "علم الهرمنيوطيقا يختص بفهم النصوص وعلماء الاسلام غافلين عنه". والهرمنيوطيقا هي طريقة لفهم النصوص الدينية بصورة الحادية من خلال سلبها صفة القدسية واعتبارها منتج ثقافي فقط ! فهي (نظرية غربية مادية تنكر الخالق وتؤول الوحي الإلهي على أنه إفراز بيئوي أسطوري ناتج عن المعرفي التاريخي الغارق في الأسطورة ومصطلح الهرمنيوطيقا مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني « الكتاب المقدس » .. يشير المصطلح إلى « نظرية التفسير » ويعود قدم المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام ١٦٥٤م وما زال مستمرًا حتى اليوم خاصة في الأوساط البروتستانتية، وقد اتسع مفهوم المصطلح في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعًا تشمل كافة العلوم الإنسانية ؛ كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجى وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفلوكلور). ويعتبر نصر حامد ابو زيد ابرز الذين نادوا بالاخذ بهذا الاتجاه الالحادي في فهم النصوص ويبدو ان احمد القبانجي يريد ان يقلده في هذه المسألة. وبلا شك فان المسلمين يرفضون هذا العلم الالحادي ولا يمكن ان ينخدعوا باقوال خصومهم وخصوم الاسلام

العظيم لأن موضوع قدسية النصوص القرآنية هي مما لا شك فيه وقد دل على اصله الالهي عجز الانس والجن عن الاتيان بمثله.

اثبات إلاهية القرآن الكريم:

يقول احمد القبانجي: "كيف يمكن اثبات ان القرآن من الله ، حيث يمكن ان يكون من الجن ويمكن ان يكون من الملائكة فكيف السبيل لأثبات ان هذا القرآن من الله". وجواب كلامه هو ان القرآن وهو كتاب معجز سواء ببلاغته او بالصرفة فإنَّ اعجازه هذا يعني انه ليس من كلام الجن ولا الملائكة لأنها لا تتمكن من صنع المعجزات فليس لديها القدرة على هذا حتى تتمكن ان تفتري قرآناً بليغاً معجزاً وتنسبه زوراً الى الله سبحانه كما انها للا تتمكن ان تختلق قرآناً ثم تصرف العرب عن معارضته بحسب مفهوم الصرفة ، فالملائكة لا تتمكن من الصرفة الا بإذن الله سبحانه ، واذا فعلت ذلك بإذن الله عز وجل فهذا يعني انها مامورة منه تعالى بفعل ذلك فليس هناك اي اختلاق من قبل الملائكة ولا من قبل الجن بل هو قرآن كريم وما فيه هو كلام الله سبحانه. والقرآن الكريم المعجز سواء ببلاغته او بالصرفة يصف نفسه بانه كلام الله سبحانه في العديد من آياته الكريمة ، هذه قوله تعالى: ((وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ)).

ولو كانت للجن قدرة على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لفعلوا ذلك منذ ١٤٠٠ سنة بل لفعلوا ذلك مراراً عبر العصور لا سيما وان ابليس وجنوده قد تعهدوا بإضلال الناس ، فما هو سبب انهم لم يفعلوا ذلك سوى انهم لايتمكنون من ذلك اصلاً.

احمد القبانجي يجيز الكذب !

يقول احمد القبانجي: يمكن ان يكون القرآن من جبرائيل وانه كذب وقال انه من الله سبحانه ، وكل العقلاء يقولون بجواز الكذب اذا كان به مصلحة ؟ ولا ندري من اين جاء احمد القبانجي بفرية اجازة العقلاء للكذب اذا كان فيه مصلحة ، فهل يجوز للتاجر ان يكذب اذا كان الكذب فيه مصلحة تجارية له ، وهل يجوز للمؤرخ الكذب اذا كان في كذبه مصلحة عامة يظنها ، وهل يجوز للسياسي ان يكذب اذا كان فيه مصلحة خاصة او عامة !! الا يرى احمد القبانجي ان في تاسيسه لثقافة جواز الكذب اذا كان فيه مصلحة فيه مضار ومساويء كبيرة للمجتمع. فما ادرانا والحال هذه ان احمد القبانجي لا يكذب تحت ذريعة ان هناك مصلحة في كذبه ، وبهذا تسقط كل اعتبارات الثقة بكلامه !!

ومن المعلوم انه في الشريعة الاسلامية يجوز الكذب في حالتين فقط هما دفع الضرر عن النفس او عن مؤمن والاصلاح بين المؤمنين ، فقط في هاتين الحالتين يجوز الكذب اذا لم يمكن التورية فيهما. فما يزعمه احمد القبانجي من جواز الكذب لجلب مصلحة فهو امر مخالف للشريعة الاسلامية وللعقل كما هو معلوم.

اما كلام احمد القبانجي حول مجهولية الواسطة بين النبي صلى الله عليه وآله وبين الله سبحانه وان الواسطة المجهولة قد تكون تكذب وتدعي انها جبريل عليه السلام او ان يكون جبريل نفسه يكذب وحاشاه فهو كلام ساقط من اساسه بدليل الاعجاز القرآني سواء الاعجاز البلاغي او الاعجاز بالصرفة ، فالقرآن المعجز يثبت ان الواسطة المجهولة هي واسطة امينة وانها كما ذكرها القرآن المعجز اسمها وهو الملاك جبرائيل عليه السلام. فدعوى اننا لا نعرف الواسطة بين الله عزَّ وجل وبين نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله هي دعوى واضحة التهافت.

وكذلك مزاعم احتمال ان يكون جبرائيل كاذباً فيما نقله من وحي هي مزاعم ساقطة يفضحها اعجاز القرآن الكريم سواء كان اعجازه بالصرفة او اعجازه البلاغي.

ومن المفيد معرفة انَّ الشيطان لا يمكنه ان يتلبس بلباس الملائكة لأن اتصال الملائكة مع النبي انما يكون من خلال سموه الروحي ووصوله الى مقام الكمال بينما الشياطين تريد شخصاً قد انحطت نفسه لتصل به الى درجة الدنائة والخسة والوقوع في الظلمة فتتصل به وتلقي اليه الافكار المنحطة

والتعاليم الفاسدة والمخادعة. فلا يمكن للشياطين ان تتصل بالنبي قطعاً ولا ان تظهر له بمظهر الملاك. وبمناسبة هذا القول يتضح لنا ان بولس حينما كان يهودياً ساعياً في اضطهاد المؤمنين اتباع المسيح عليه السلام وقد تلطخت يداه بدمائهم ويطاردهم من مدينة الى اخرى للبطش بهم والفتك بهم فضلاً عن انه كان معاصراً للمسيح عليه السلام ورفض الايمان به رغم ما عرفه من معجزاته ، فبولس هذا وقد وصلت نفسه الى درجة متسافلة من القذارة والانحطاط بولوغه بدماء المؤمنين وسفكه لها في تلك الحالة ظهر له شيطان بصورة نور وهو في طريقه الى دمشق وقال له "انا ربك يسوع الذي انت تضطهده" !! وكان سبباً في تركه دينه اليهودي واعتناقه عقيدة الربوبية في المسيح عليه السلام والتثليث بسبب اغواء الشيطان الذي ظهر له بمظهر النور. ولو كانت نفس بولس طيبة وصالحة لم يكن الشيطان يتمكن ان يظهر له او يتصل به بهذا النحو. مع ان يسوع نفسه ظهر لتلاميذه بعد حادثة الصلب من جديد ولم يكن هناكط نور ولا اي شي بل ظهر له بصورة طبيعية بدون مظاهر النور التي يخدع بها الشيطان اتباعه !

ومن جهة اخرى لو كانت الواسطة المجهولة التي ذكرها احمد القبانجي هي من الجن فهي حينئذٍ من الشياطين بسبب كذبها واغوائها للنبي صلى الله عليه وآله ، فإن كانت من الشياطين فكيف تاتي بكلام تقول عنه انه كلام الله ثم تملئه بآيات الهداية والارشاد والاصلاح والتقوى مع ان هدفها هو الافساد والضلال للبشر ، فهذا غير معقول وغير ممكن لأن الشيطان لا يهدم مملكته ، فلو كان القرآن ليس كلام الله سبحانه بل كلام شيطان لكان مليئاً بالحث على المعاصي والفجور من اجل تحقيق غايته لا ان يكون بالضد منها. ولذلك فإن كلام احمد القبانجي بعيد عن الواقع ومخالف للعقل والمنطق ولا يمكن قبوله.

اثبات صدق جبرائيل (عليه السلام):

يقول احمد القبانجي: "جبرائيل قال عن نفسه انه صادق وهذا غير جائز لأنه يجب ان يثبت بدليل خارجي ان جبرائيل صادق". وجواب شبهته هذه من اوضح ما يكون لأن جبرائيل عليه السلام لو كان كاذباً لكان من جنود ابليس بسبب كذبه واغوائه للناس وحينئذٍ سوف يطرد من الملكوت ويعيش مع الشياطين ويتسافل معهم . وحاشاه – ولا يتمكن حينئذٍ من الاتصال بالنبي صلى الله عليه وآله للاسباب الآنفة الذكر نفسها. كما ان اعجاز الصرفة اثبت عناية الله سبحانه بالقرآن الكريم مما يعني ان جبريل عليه السلام كان صادقاً في نقل الوحي ولم يغير فيه شيء من تلقاء نفسه وان العناية الالهية شملت نفس القرآن الذي بلّغه جبرائيل عليه السلام.

الاعجاز البلاغي وتحدي الانس والجن:

يقول احمد القبانجي: "القرآن نفسه يبطل الاعجاز البلاغي لانه يتحدى الجن والانس ، فهذا التحدي العام لا معنى له اذا كان الاعجاز بلاغي ، فاذا كان معجز بلاغيا فيجب ان يتحدى العرب فقط ، اما ان يقول للتركي والفارسي والانكليزي ان يتحدون بالاتيان بكلام عربي بليغ فهو تحدي يكون باطل".

وفي الحقيقة فإن احمد القبانجي قد اخطأ هنا حيث انه يظن ان المسلمين يقولون ان الاعجاز في القرآن الكريم انما هو اعجاز بلاغي فقط بينما الصواب غير ذلك فالمسلمون يقولون ان الاعجاز في القرآن هو اعجاز بلاغي واعجاز غيبي (يتعلق بالاخبار بالمغيبات والحوادث المستقبلية) واعجاز بالاتيان بالنظم الاجتماعية ومسببات الهدى والصلاح والرشاد مما لا يتمكن احد من الاتيان بها ، فالاية تتحدى الانس والجن ومن الانس العرب والعجم ، فما كان تحدياً بلاغيا فهو يخص العرب منهم وما كان تحدياً بنظمه واسلوبه ومعارفه فهو يخص العرب والعجم. وفي هذا الصدد يقول السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان ، ج١ ص٥٩: (فجميع التحديات الواقعة في القرآن نحو استدلال على كون القرآن معجزة خارقة من عند الله ، والآيات المشتملة على التحدي مختلفة في العموم والخصوص ومن أعمها تحديا قوله تعالى : (قل لئن إجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الاسراء - ٨٨ ، والآية مكية وفيها من عموم

التحدي ما لا يرتاب فيه ذو مسكة . فلو كان التحدي ببلاغة بيان القرآن وجزالة اسلوبه فقط لم يتعد التحدي قوما خاصا وهم العرب العرباء من الجاهليين والمخضرمين قبل اختلاط اللسان وفساده ، وقد قرع بالآية أسماع الانس والجن . وكذا غير البلاغة والجزالة من كل صفة خاصة إشتمل عليها القرآن كالمعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة والاحكام التشريعية والاخبار المغيبة ومعارف اخرى لم يكشف البشر حين النزول عن وجهها النقاب إلى غير ذلك ، كل واحد منها مما يعرفه بعض الثقلين دون جميعهم ، فإطلاق التحدي على الثقلين ليس إلا في جميع ما يمكن فيه التفاضل في الصفات . فالقرآن آية للبليغ في بلاغته وفصاحته ، وللحكيم في حكمته ، وللعالم في علمه وللاجتماعي في اجتماعه ، وللمقنين في تقنينهم وللسياسيين في سياستهم ، وللحكام في حكومتهم ، ولجميع العالمين فيما لا ينالونه جميعا كالغيب والاختلاف في الحكم والعلم والبيان . ومن هنا يظهر أن القرآن يدعي عموم إعجازه من جميع الجهات من حيث كونه اعجازا لكل فرد من الانس والجن من عامة أو خاصة أو عالم أو جاهل أو رجل أو امرأة أو فاضل بارع في فضله أو مفضول إذا كان ذا لب يشعر بالقول ، فان الانسان مفطور على الشعور بالفضيلة وإدراك الزيادة والنقيصة فيها ، فلكل إنسان أن يتأمل ما يعرفه من الفضيلة في نفسه أو في غيره من أهله ثم يقيس ما أدركه منها إلى ما يشتمل عليه القرآن فيقضي بالحق والنصفة ، فهل يتأتى القوة البشرية أن يختلق معارف إلهية مبرهنة تقابل ما أتى به القرآن وتماثله في الحقيقة ؟ وهل يمكنها أن تاتي بأخلاق مبنية على أساس الحقائق تعادل ما أتى به القرآن في الصفاء والفضيلة ؟ وهل يمكنها أن يشرع أحكاما تامة فقهية تحصي جميع أعمال البشر من غير اختلاف يؤدي إلى التناقض مع حفظ روح التوحيد وكلمة التقوى في كل حكم ونتيجته ، وسريان الطهارة في أصله وفرعه ؟ وهل يمكن أن يصدر هذا الاحصاء العجيب والاتقان الغريب من رجل امي لم يترب إلا في حجر قوم حظهم من الانسانية على مزاياها التي لا تحصى وكمالاتها التي لا تغيا أن يرتزقوا بالغارات الغزوات ونهب الاموال وأن يئدوا البنات ويقتلوا الاولاد خشية إملاق ويفتخروا بالآباء وينكحوا الامهات ويتباهوا بالفجور ويذموا العلم ويتظاهروا بالجهل وهم على أنفتهم وحميتهم الكاذبة اذلاء لكل مستذل وخطفة لكل خاطف فيوما لليمن ويوما للحبشة ويوما للروم ويوما للفرس ؟ فهذا حال عرب الحجاز في الجاهلية . وهل يجتري عاقل على أن يأتي بكتاب يدعيه هدى للعالمين ثم يودعه أخبارا في الغيب مما مضى ويستقبل وفيمن خلت من الامم وفيمن سيقدم منهم لا بالواحد والاثنين في أبواب مختلفة من القصص والملاحم والمغيبات المستقبلة ثم لا يتخلف شئ منها

عن صراط الصدق ؟ . وهل يتمكن إنسان وهو أحد أجزاء نشأة الطبيعة المادية ، والدار دار التحول والتكامل ، أن يداخل في كل شأن من شئون العالم الانساني ويلقي إلى الدنيا معارف وعلوما وقوانين وحكما ومواعظ وأمثالا وقصصا في كل ما دق وجل ثم لا يختلف حاله في شئ منها في الكمال والنقص وهي متدرجة الوجود متفرقة الالقاء وفيها ما ظهر ثم تكرر وفيها فروع متفرعة على أصولها ؟ هذا مع ما نراه أن كل إنسان لا يبقى من حيث كمال العمل ونقصه على حال واحدة . فالانسان اللبيب القادر على تعقل هذه المعاني لا يشك في أن هذه المزايا الكلية وغيرها مما يشتمل عليه القرآن الشريف كلها فوق القوة البشرية ووراء الوسائل الطبيعية المادية وان لم يقدر على ذلك فلم يضل في انسانيته ولم ينس ما يحكم به وجدانه الفطري أن يراجع فيما لا يحسن إختباره ويجهل مأخذه إلى أهل الخبرة به).

هل تحدى الجن القرآن ؟!

يقول احمد القبانجي: "ممكن ان يكون الجن قد قبلوا التحدي واتوا بمثل هذا القرآن ولكننا ليس لدينا اتصال مع الجن لنعرف ذلك. فكيف سنعرف ان الجن اتوا او لم ياتوا بمثله". فهنا يزعم احمد القبانجي انه لا اتصال بين الانس والجن وهي مزاعم بعيدة عن الصحة لأن الجن يتصل مع الانس من خلال الوسوسة وكذلك كان عندهم في الجاهلية الكهان الذين يتصلون بالجن والشياطين عبر طرقهم الخاصة. ولو كان الجن والشياطين قد تمكنوا من تحدي القرآن لوسوسوا به الى كفار قريش والى الكهان الذين بداوا يفقدون مكانتهم بسبب الاسلام فينشروه ضد الاسلام ويعارضوه ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك.

التحدي البلاغي جماعي:

يقول احمد القبانجي: "الاعجاز البلاغي اعجاز فردي لا يمكن ان يتحدى الجميع ، فالتحدي يجب ان يكون لكل واحد على حدة لا ان يتحداهم جميعاً ، فالبلاغة عند الشعراء لكل واحد منهم رؤية خاصة ، لا يمكن للبلغاء ان يجتمعوا وياتوا بقصيدة لأن القريحة الشعرية لشاعر لا يمكن ان تختلط مع القريحة الشعرية لشاعر آخر". وهذا الكلام عجيب فاحمد القبانجي يخلط بين القريحة الشعرية

وبين بلاغة القصيدة واستعمال الالفاظ الفخمة حيث ان الشاعر يمكنه ان يستعين بآخر من اجل تحسين قصيدته وتبديل بعض الفاظها وتحسين شاعريتها وبعض معانيها.

عظمة نهج البلاغة دون عظمة القرآن:

يقول احمد القبانجي: "كلام للامام علي بن ابي طالب في نهج البلاغة ، جميع علماء الشيعة يقولون فوق كلام المخلوق. يعني الامام علي يمكن ان يتحدى جميع البلغاء العرب ولا يستطيعون الاتيان بمثله فهل يعني هذا ان كلام الامام علي معجزة بلاغية". ولكن احمد القبانجي لم يكمل المقال الذي نسبه لعلماء الشيعة بخصوص نهج البلاغة فهم يقولون انه فوق كلام المخلوق ولكنه دون كلام الخالق ، أي دون القرآن الكريم ، فلا احد من الشيعة يقول ان بلاغة نهج البلاغة يمكن ان تنافس بلاغة القرآن الكريم. ولو كانت بلاغة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام يمكن ان تنافس القرآن الكريم لتذرع بذلك خصوم الاسلام بينما نجدهم وقد فشلوا في تحدي بلاغة القرآن الكريم طيلة القرون الماضية رغم انتشار كتاب نهج البلاغة عند جميع الناس ! والبلاغة كما يقول صاحب تفسير الميزان ثلاث طبقات اعلاها معجز وادناها واوسطها ممكن. ولذلك نجد ان بلاغة نهج البلاغة هي في الطبقة دون المعجز وفي قمة طبقة الممكن.

ان ادعاء احمد القبانجي أنَّ نهج البلاغة هو اكثر بلاغة من القرآن الكريم هي دعوى لم يكن ليتجرّأ عليها لولا "عدم معرفته" بأصول البلاغة وقواعدها ، لأن اولئك العلماء الذين يعرفون فنون البلاغة لا يقولون هذا الكلام الركيك والبعيد عن الصواب ، وحتى علماء اللغة العربية من المسيحيين واليهود والصابئة عبر العصور لا يقولون ذلك ، ولو كانت هذه الدعوى صحيحة لأظهروها وانشدوها في كتبهم ودواوينهم ولكان ذلك ابرز ذريعة عندهم لمعارضة القرآن الكريم وابطاله ! ولكن احداً منهم لم يفعل ذلك ليس خوفاً من المسلمين وخوفاً من اضطهادهم كما قد يدعي البعض بل لأنهم يعلمون انهم انْ قالوا ذلك فقد كشفوا عن ضعف علمهم فضلاً ان هذا القول يحتاج لدليل ولا دليل عليه ، وحتى احمد القبانجي ذكر هذه الدعوى ولم ياتِ بنموذج من نهج البلاغة فيشرح معانيه وبيانه وبديعه بحيث تكون اكثر بلاغة من معاني وبيان وبديع القرآن الكريم !! ولو كانت ذريعة الخوف من المسلمين

هي التي منعت علماء اهل الكتاب عن اعلانهم علو نهج البلاغة في بلاغته على القرآن الكريم كما زعم فما اسهلها عليهم ان يلجأوا الى اوربا المسيحية المتعصبة للمسيحية في القرون الوسطى وما بعدها ليعيشوا في هناء تحت حماية البابوات او بعض المراكز الدينية ويعلنوا ما وجدوه من مزاعم تنقض القرآن الكريم ، هذا الكتاب العظيم الذي لم تتمكن كل الحروب الصليبية من انتاج اي منتج ثقافي حقيقي ضده وضد الاسلام يقوي عزيمة ومعنويات الصليبيين في قتال المسلمين. ولو كانت هذه الدعوى صحيحة لأنتشرت انتشار النار في الهشيم.

والظاهر اننا نحتاج لبعض الشرح هنا لبيان معنى البلاغة وعلومها ، لكي لا ياتي شخص مثل احمد القبانجي فيحاول خداع الناس بهذا الكلام مستغلاً عدم معرفتهم بعلوم اللغة العربية وفنونها البلاغية. واستغلال عدم معرفة الناس بعلوم البلاغة وعلوم اللغة العربية هو المنطلق الثاني الذي احتملنا آنفاً أنَّ احمد القبانجي يعمل من خلاله.

يقول ابراهيم شمس الدين في مقدمة تحقيقه لكتاب (الايضاح في علوم البلاغة) للخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩هـ ان البلاغة علم له قواعده وفن له اصوله وادواته كما لكل علم وفن ، وهو ينقسم الى ثلاثة اركان اساسية:

علم المعاني.
علم البيان.
علم البديع.

فاما علم المعاني فهو علم يُعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال مع وفائه بغرض بلاغي يُفهم ضمناص من السياق وما يحيط به من قرائن او عو علم يبحث في الجملة بحيث تاتي معبرة عن المعنى المقصود. واحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال هي: الحذف والذكر والتعريف والتنكير والتقديم والتاخير والفصل والوصل والمساواة والايجاز والاطناب ، وما الى

ذلك. واحوال اللفظ العربي تارةً تكون احوالاً لمفرد وتارةً يكون احوالاً لجملة. وعلم المعاني يتألف من المباحث التالية:

أ. الخبر والانشاء.
ب. احوال الاسناد الخبري.
ت. احوال متعلقات الفعل.
ث. القصر.
ج. الفصل والوصل.
ح. المساواة والايجاز والاطناب.

وذلك لأن الكلام العربي نوعان: أما خبر أو انشاء ، ولابد له من اسناد ، مسند ومسند اليه. والمسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلاً او في معناه كأسم الفاعل وكل من التعلق والاسناد أما قصر او غير قصر. والجملة اذا قرنت بأخرى فالثانية إما معطوفة على الاولى او غير معطوفة وهما الفصل والوصل. ولفظ الكلام البليغ إما مساوٍ لأصل المراد وهو المساواة وإما ناقص عن المراد وهو الايجاز او زائد عن اصل المراد لفائدة وهو الاطناب.

واما علم البيان فهو علم يبحث في الطرق المختلفة للتعبير عن المعنى الواحد ، والبيان لغة هو الظهور والوضوح ، تقول بأن الشيء يبين اذا ظهر. وعلم البيان يتالف من المباحث التالية:

أ. التصريح والمداورة.
ب. التشبيه.
ت. المجاز والمجاز المرسل.
ث. الاستعارة.
ج. الكناية.

واما علم البديع فهو علم يبحث في طرق تحسين الكلام وتزيين الالفاظ والمعاني بالوان بديعة من الجمال اللفظي او المعنوي. ومن اهم اساليب علم البديع:

أ. الجناس.
ب. الطباق.

ت. السجع.
ث. المقابلة.
ج. التورية.
ونضيف بان كل مبحث من هذه المباحث فيه تفريعات ومباحث اخرى ، فهو علم ضخم وليس من الصحيح تسطيح تناوله بالطريقة التي عرضها احمد القبانجي مستخفاً بعقول سامعيه. والمكتبات العربية تحتوي على مئات الكتب والبحوث التي تم تأليفها حول البلاغة عامة وبلاغة القرآن الكريم خاصة.

شبهات احمد القبانجي حول سورة الهمزة:

وعمد احمد القبانجي لأسلوب مسرحي فانتخب نصاً من نهج البلاغة ومدحه ونصاً قرآنياً فذمه ، ليؤثر بأسلوب نفسي على المُشاهد بأن تمجيده لنص نهج البلاغة وذمه للنص القرآني هو نقد صحيح بينما الحق بخلاف ذلك ، ومن سوء حظه ان احمد القبانجي انتخب سورة الهمزة لذمها رغم ما فيها من شواهد بلاغية عديدة !

وسور الهمزة هي قوله تعالى:

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)))
صدق الله العليّ العظيم

فابتداءاً من استخدام الله سبحانه للفظ (همزة) في هذه السورة المباركة بينما استخدم لفظ (همّاز) في سورة اخرى ، وكِلا الاستخدامين بليغ لأنهما وردا في مناسبتين مختلفتين تبعاً للمراد منهما. والسورة تتحدث عن صنف من الكافرين الذين يدفعهم التكبر المستند الى الغنى وحب المال الشديد الى الانتقاص من الاخرين وذمهم والعيب عليهم وحبهم الجم للمال دفعهم للاسراف في عدّه ونسيان امر

آخرتهم فادخلهم حب المال في التعالي والتوهم ان المال هو سبيلهم الى الخلود في الحياة فغاب عن ذهنه حقيقة الموت والفناء وتوهم انه خالد فيها ! كما هو اصناف اخرى من الكافرين والناس الذين ينسون امر آخرتهم فيسرفون بالمعاصي حتى لو تقدم بهم العمر. واحمد القبانجي ينكر ان هناك من يملك المال وينسى امر آخرته وهو انكار عجيب يكشف عن عدم معرفته بالناس وتفكيرهم ونفسياتهم والمجتمع واحواله ومجريات الحياة.

وتتحدث سورة الهمزة ايضاً عن عقوبة اولئك الكفار المتكبرين فتكشف ان مكانهم في جهنم اسمه الحطمة وما ادراك ما الحطمة ، هي نار مغلقة مؤصدة لا مخرج للكافر منها ، وحيث ان عقوبة المفسد في الارض هو السجن وهو ما كان ذلك الصنف من الكافرين يقوم به من خلال الهمز واللمز والاستكبار ونسيان الاخرة فكذلك تكون عقوبتهم في الآخرة هو مثال السجن في جهنم اسمه الحطمة ، وهي النار المؤصدة ، بينما نجد ان احمد القبانجي يعترض على تسميتها بالحطمة ويقول انها مجرد نار كباقي جهنم !! رغم انه يقرأ انها نار موقدة تطلع على الافئدة وهي على الكافرين مؤصدة في عمد ممددة. ولكن احمد القبانجي لم يفهم معنى وسبب كونها مؤصدة ولم يعرف لماذا هي مؤصدة حيث يقول مستهزءاً انهم في جهنم فما فائدة كونها مؤصدة ام لا !! يا للعجب ، فهو لا يتمكن من استيعاب الصورة الذهنية التي ترسمها هذه الآية المباركة حيث يكون اولئك الكافرون المستكبرون في غرفة مغلقة في جهنم تكون نارها في عمد ممددة ، وقد تعددت تفاسير قوله تعالى: (في عمد ممددة) ، فقيل ان المقصود بها كما في تفسير (كنز الدقائق وبحر الغرائب) للشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (من مشاهير القرن ١٢هـ) قال: (في عمد ممددة ، أي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص).

وفي تفسير (مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر) لمير سيد علي الحائري الطهراني (المتوفى ١٣٤٠هـ): ((في عمد ممددة) اي حال كونهم موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر بها اللصوص واوتاد لشدهم بها تفتح عليهم باب ولا يدخل لهم روح قال الكلبي: في عمد مثل السواري ممدودة مطولة مربوطين بها كالشطار خشبة فيها خروق يدخل فيها ارجل المحابيس).

وفي التفسير الامثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي قوله: (و«مؤصدة» من الإيصاد، بمعنى الأحكام في غلق الباب. ولذلك تسمى الغرف الكائنة في داخل الجبال المخصصة لجمع الأموال «الوصيد». هؤلاء في الحقيقة يقبعون في غرف تعذيب مغلقة الأبواب لا طريق للخلاص منها، كما كانوا يجمعون أموالهم في الخزانات المغلقة الموصدة. و«العمد» جمع عمود و«ممددة» تعني طويلة. جمع من المفسّرين قال إنّها الأوتاد الحديدية العظيمة التي تغلق بها أبواب جهنّم حتى لم يعد هناك طريق للخروج منها أبداً، وهي بذلك تأكيد على الآية السابقة التي تقول: (إنّها عليهم مؤصدة). وقيل إنّها إشارة إلى نوع من وسائل التعذيب والجزاء تشبه تلك التي يُغَلّ بها الشخص في رجله فيفقد قدرة الحركة وهذا جزاء ما كانوا يمارسونه من تعذيب للناس الأبرياء في هذه الدنيا).

وتفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ١٠ ص ٤٤٠ : (في عمد ممددة) وهي جمع عمود . وقال أبو عبيدة : كلاهما جمع عماد . قال : وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار . وقال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ، ثم شدت بأوتاد من حديد من نار ، حتى يرجع إليهم غمها وحرها ، فلا يفتح عليهم باب ، ولا يدخل عليهم روح . وقال الحسن : يعني عمد السرادق في قوله : (وأحاط بهم سرادقها) فإذا مدت تلك العمد ، أطبقت جهنم على أهلها ، نعوذ بالله منها . وقال الكلبي : في عمد مثل السواري ، ممددة مطولة ، تمد عليهم . وقال ابن عباس : هم في عمد أي في أغلال في أعناقهم ، يعذبون بها).

فهي تفاسير متعددة وقد تكون جميعها صحيحة لوجود جميع عناصرها في واقع جهنم نستجير بالله العظيم منها. اذن اولئك الصنف من الكفار يعذبون في غرف مغلقة محكمة الاغلاق عليهم وقد يكونون مقيدين هم ايضاً داخلها كما هو مذكور في هذه التفاسير.

واذا كانت هناك آيات قرآنية مباركة اخرى تتحدث عن ارادة الخروج من جهنم لصنف آخر من الكافرين واعادتهم اليها كما في قوله تعالى: ((وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ)) بينما في سورة الهمزة لا يكون هناك اي محاولة في هذا السجن المخصص لصنف آخر من الكافرين حيث تكون النار مؤصدة عليهم. فما اقسى الصورة الذهنية التي ترسمها سورة الهمزة حول مصير هذا الصنف من الكافرين.

انها تعابير بلاغية عديدة تناولها علماء اللغة بالشرح والتفصيل كاشفين عن الاعجاز البلاغي الموجود في هذه السورة المباركة ، ويمكن لمن يريد الاطلاع على تلك التعابير البلاغية مراجعة مختلف كتب البلاغة ومنتدياتها.

ثم يطلع علينا احمد القبانجي ليستهزأ عن جهل بسورة الهمزة ويتهمها بانعدام البلاغة ويستخف بها !! بل ويفضل نصاً بشرياً عليها هو نص من كتاب نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ! وبدون ان يقدم احمد القبانجي اي شرح بلاغي لذلك النص من نهج البلاغة !!

ولكي نكون منصفين سوف نذكر نصوصاً من نهج البلاغة تحتوي على آيات قرآنية لكي يطلع القاريء الكريم بوضوح على الفرق المتميز للآيات القرآنية على كلام البشر حتى ان لم يكن القاريء الكريم على ثقافة جيدة بعلوم اللغة العربية. انها عظمة القرآن الكريم كلام الله سبحانه.

* قال امير المؤمنين عليه السلام في صفة خلق آدم(عليه السلام): {ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا ، تُرْبَةً سَنَّهَا بالمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا بِالبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ ، فَجَبَلَ مِنْها صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاء وَوُصُول، وَأَعْضَاء وَفُصُول: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ ، لِوَقْت مَعْدُود، وَأَجَل مَعْلُوم، ثُمَّ نَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْساناً ذَا أَذْهَان يُجيلُهَا، وَفِكَر يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا ، وَأَدَوَات يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَة يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، والأَذْوَاقِ والمَشَامِّ، وَالأَلْوَانِ وَالأَجْنَاس، مَعْجُوناً بطِينَةِ الأَلْوَانِ المُخْتَلِفَةِ، وَالأَشْبَاهِ المُؤْتَلِفَةِ، وَالأَضْدَادِ المُتَعَادِيَةِ، والأَخْلاطِ المُتَبَايِنَةِ، مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ، وَالبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمَساءَةِ وَالسُّرُورِ، وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ المَلائكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، في الأَذْعَانِ بالسُّجُودِ لَهُ، وَالخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ عزَّمِن قائِل: ((اسْجُدُوا لِادَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ)) وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمُ الحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ تَعالَى النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْماماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: ((إِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ)) }.

* وقال عليه السلام: {وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، وَيأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الحَمَامِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتِهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بمَلاَئِكَتِهِ المُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلإِسْلامِ عَلَماً،

وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ((وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ)) }.

* وقال عليه السلام: { فَإِسْلاَمُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لاَ تُدْفَعُ ، وَكِتَابُ اللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ((وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْض فِي كِتَابِ اللهِ)) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ((إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤمِنِينَ)) ، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ }.

* وقال عليه السلام: { لاَ تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هذِهِ الأُمَّةِ عَذَابَ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالى: ((فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)) وَلاَ تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هذِهِ الأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللهِ ، لِقَوْلِهِ سبحانه وتَعَالَى: ((إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)) }.

* وقال له بعض اليهود: ما دَفَنْتُم نَبِيَّكُم حتّى اختلفتم فيه ! فقال(عليه السلام) له: { إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ، وَلكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: ((اجْعَلْ لَنَا إِلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)) }.

وهذه النصوص التي ذكرناها من نهج البلاغة تغنينا عن اي شرح وبيان فهي تثبت نفسها بنفسها وتشهد لكتاب الله سبحانه بعلو البيان والبلاغة بما لا قياس معه.

مزاعم التقديس الموروث:

ونسب احمد القبانجي الى سوروش ان المسلمين يقدسون القرآن الكريم من باب التعويد حيث انهم وهم اطفال يرون اهلهم يقدسون القرآن الكريم فيقبلونه ويضعونه على رؤوسهم ولذلك لا يجرؤون على التفكير في حقيقة قدسيته ، وهو كلام متهافت فلماذا لم يقدس هو نفسه القرآن الكريم وبدأ بالطعن فيه ، ألم يرَ احمد القبانجي اهله وهم يقدسونه ويقبلونه فلماذا شطح عنهم وبدأ يتناول القرآن الكريم بالشطط من القول !؟ ولماذا لم يتمكن عموم المستشرقين من الطعن بالقرآن الكريم

او الطعن ببلاغته او تفضيل بلاغة نهج البلاغة عليه مع انهم لم يولدوا في عوائل مسلمة ولم يروا اهلهم وهم يقدسون القرآن الكريم !!

فلنقرأ ماذا يقول احد المستشرقين المنصفين وهو موريس بوكاي في كتابه (دراسة الكتب المقدسة) ، يقول في صفحة ١٤٥: (لو كان كاتب القرآن انساناً كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي ان يكتب ما اتضح انه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة ؟). وفي ص٢٧٧ يقول: (وهكذا يتقرر لدينا من جديد ان حقائق القرآن العلمية كما شرحناها في محلها سابقاً ، تدل جميعها على ان نصوص القرآن نصوص لا دخل ليد البشر فيها ، وانها وحي لا شك فيه).

ويقول في ص٢٨٥: (ان القرآن ، وقد استانف التنزيلين الذين سبقاه لا يخلو فقط من متناقضات الرواية وهي السمة البارزة في مختلف صياغات الاناجيل بل هو يظهر ايضاً – لكل من يشرع في دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم – طابعه الخاص وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة. بل اكثر من ذلك ، وكما اثبتنا ، يكتشف القاريء فيه مقولات ذات طابع علمي من المستحيل تصور ان انساناً في عصر محمد (صلى الله عليه وآله) قد استطاع ان يؤلفها ، وعلى ذلك فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الان).

موريس بوكاي الذي كتب كلامه هذا لم يولد في عائلة مسلمة ولم يرَ والديه وهما يقبلان القرآن الكريم ويقدسانه ولم يتعلم ذلك منهما بل قاده البحث العلمي الرصين والانصاف الى ان يكتب الحق الذي قرأناه آنفاً. وبذلك تسقط نظرية سوروش وكلام احمد القبانجي عن الاعتبار.

مقارنة بلاغية بين القرآن ونهج البلاغة:

ادعى احمد القبانجي دعوى سخيفة بقوله: (التهافت البلاغي موجود في القرآن وغير موجود في نهج البلاغة) ، وهو يستند في دعواه هذه الى افتقاره لفهم النصوص القرآنية بالادعاء انها غير بليغة !! وسنرى في ردنا الرابع هذا انه يتهم آيات قرآنية معينة بعدم البلاغة نتيجة عدم فهمه الشخصي لها فالامر لا علاقة بالبلاغة العربية وفنونها. ولو اتعب احمد القبانجي نفسه قليلاً في دراسة البلاغة

واستيعاب مطالبها ومراجعة تفاسير المسلمين المتضلعين بالبلاغة وعلوم اللغة العربية لما ركبه التوهم في آيات القرآن الكريم.

ان نهج البلاغة هو ثمرة من ثمرات الاسلام ، فلولا الاسلام والنبوة لم يكن نهج البلاغة ليظهر الى الوجود ، ولا يخفى ان تفضيل بلاغة نهج البلاغة على بلاغة القرآن الكريم هي قضية تتضمن جانبين الاول الجهل بالبلاغة العربية بمختلف فنونها والجانب الثاني ان هذا القول هو علامة للغلو والمغالين ويبدو ان احمد القبانجي بدأ بسلوك هذا المضمار حتى انتهى به المطاف الى انكار الاسلام كلياً !! فاما موضوع الجهل بالبلاغة العربية فهي سمة واضحة عند احمد القبانجي سنطلع عليها بصورة واضحة في هذه الحلقة الرابعة.

القرآن الكريم هو كتاب هداية للناس وفيه اسس الحكمة ، وكما في الحديث الشريف: (رأس الحكمة مخافة الله) ومخافة الله سبحانه هي التي نتعلمها من القرآن الكريم ، فنهج البلاغة هو ثمرة من ثمرات القرآن الكريم. وفي القرآن الكريم من الحكم والمواعظ ما لا توجد في كتاب آخر الا على سبيل الاقتباس منه والاستناد اليه.

فمن الحكم والمواعظ التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى: ((أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ)).
وقوله تعالى: ((وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ)).
وقوله تعالى: ((وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ)).
وقوله تعالى: ((وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)).
وقوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)).
وقوله تعالى: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)).
وقوله تعالى: ((وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)).
وقوله تعالى: ((وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ)).
وقوله تعالى: ((وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)).
وقوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)).
وقوله تعالى: ((وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً)).

وقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)).
وقوله تعالى: ((لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً)).

فهذه نماذج من الحكم والمواعظ والسنن التاريخية التي اشتمل عليها القرآن الكريم والتي تبني المجتمعات الانسانية وتقدم الانسانية خطوات عظيمة لو عملت بها. ومن الواضح ان السنن التاريخية الموجودة في القرآن الكريم هي من الحكم العالية والفريدة التي امتاز بها القرآن الكريم والتي لم تصدر عن مصدر حكيم آخر.

انظر لقول نهج البلاغة الذي جعله احمد القبانجي دليلاً على البلاغة وهو: (ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم) ، وقارنه مع قوله تعالى: ((وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)) ، ستجد البلاغة والمعاني القرآنية العميقة التي لا ترقى اليها بلاغة ومعاني نهج البلاغة.

وانظر الى المفردات القرآنية التي وردت في كلام الامام عليه السلام في نهج البلاغة مثل (الحميم والجحيم والسعير والزفير) ومثالها قوله في الخطبة المعروفة بالغراء: (واعظم ما هنالك بلية نزول الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير وسورات الزفير). فنهج البلاغة استعار من القرآن العديد من مفرداته.

ومن نماذج مواكبة نهج البلاغة لما ورد في القرآن الكريم قول الامام عليه السلام: (واعلموا عباد الله انه لم يخلقكم عبثاً) وهو ماخوذ من قوله تعالى: ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ)) ومن الواضح ان البلاغة القرآنية اعلى واتم.

وقوله عليه السلام في نهج البلاغة: ((اوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها الزمام والقوام) وهي من قوله تعالى: ((وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)).

شبهات احمد القبانجي حول سورة الايلاف:

ثم يوجه احمد القبانجي سهامه للقرآن الكريم عموماً ولسورة الايلاف خصوصاً مرتكزاً على جهله ببلاغة هذه السورة الكريمة ودلالاتها العميقة ، فيتهم السورة بالافتقار الى البلاغة وهو لا يفقه معانيها ولا دلالاتها ولا يفقه كيف انها بكلمات قليلة اختصرت تاريخ اكثر من ٢٠٠ سنة تقريباً واختصرت بكلماتها القليلة اسلوباً دعوياً مختصاً بقريش هذه القبيلة التي كانت الركن الاساسي في مقاومة الاسلام في بدايته وحاربته ورصدت ضده الاموال والطاقات للقضاء عليه دون جدوى.

سورة الايلاف تتحدث عن السلالة الهاشمية ودورها في استقرار قريش في مكة ، مكة هذا الوادي في عمق الصحراء العربية وادٍ غير ذي زرع ليس فيه من مغريات الحياة شيء فلا هو سوق تجاري ولا هو مثل يثرب او الطائف بساتين وعيون ، ولا مناخها في الصيف مثل بلاد الشام المعتدلة في حرارتها ولا في الشتاء مثل اليمن المعتدل في برودته ، مكة التي تفتقر الى الكثير من مقومات السكن والمدنية التي ترغب اليها الانفس ، هذه المدينة المباركة كل مقوماتها انها تحتوي على الكعبة المشرفة التي بناها آدم عليه السلام ورفع قواعدها ابراهيم الخليل عليه السلام ، فهي الكعبة المقدسة التي يحج اليها العرب الاحناف والمشركون. وكانت قريش في الجاهلية بطون متوزعة بين القبائل العربية او تعيش في جبال مكة وضواحيها حينما كانت قبيلة خزاعة تعيش في مكة وبيدها سدانة الكعبة. ثم ظهر قصي بن كلاب (٤٠٠-٤٨٠)م واستطاع ان يطرد خزاعة من مكة لتحل محلها قبيلته قريش وتصبح سدانه الكعبة بيده وبيد اولاده من بعده. واصبحت قريش تعيش في مكة وتعاني من ضيق العيش نتيجة انعدام الزراعة والتجارة فيها حتى ظهر هاشم بن عبد عبد مناف بن قصي بن كلاب فأسس لقريش نظاماً تجارياً وعقد معاهدات تجارية مع الامبراطوريات المجاورة وهي الرومانية والحبشية ، وأسس لقريش رحلتين تجارية لقوافلها الاولى في الصيف الى بلاد الشام والثانية في الشتاء الى بلاد اليمن. وهاتان الرحلتان كان لهما اثر كبير في رفع المستوى المعاشي العام لقريش وظهرت فيها طبقة غنية وتطور المستوى المعاشي العام لأفرادها بعدما كانت تعانيه سابقاً من جوع ونقص في الثمرات وشحة في السلع الغذائية. فكان تحقق الامن الغذائي لقريش بجهود هاشم بن عبد مناف.

ثم ظهر عبد المطلب بن هاشم والذي تمكن بتوفيق الهي من اعادة حفر بئر زمزم والذي يشكل مورداً مائياً مهماً لقريش ، وارتفعت مكانة عبد المطلب بن هاشم بين قريش خاصة والعرب عامة بما عرف عنه من كياسة وحنكة وبركة.

وفي سنة ٥٧٠م ايام عبد المطلب بن هاشم تقدم ابرهة الحبشي بجيشه لهدم الكعبة وهذا يعني تهديد امن قريش بالاعتداء على اقدس مقدساتها أي الكعبة المشرفة التي تعطي لقريش مكانتها المتميزة بين العرب والتي من خلال سدانتها لها ولشعائرها تبرز بين العرب الذين يحجون اليها ويشترون من البضاعة التي تجلبها قريش لهم برحلتي الايلاف في الشتاء والصيف من بلاد اليمن وبلاد الشام. فكان النصر الالهي بالطير الابابيل على جيش ابرهة الحبشي وتعززت مكانة قريش وزاد شعورها بالامن في زمن عبد المطلب ، كيف لا والاله الذي بعبدونه قد انقذ كعبتهم من يد اعدائها.

فالعائلة الهاشمية كان لها دور كبير ومهم في تاريخ قبيلة قريش ، وقريش كلها تشعر بالامتنان والخضوع لها في الجاهلية وعلى اقل تقدير تشعر بدورها المهم وعزها الذي لا يمكن ان تناله في المدى المنظور. ومن عمق هذا التاريخ المشرف للعائلة الهاشمية ظهر رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) ودعا قريش للايمان بالله سبحانه وعبادته وحده ونبذ عبادة الاصنام فجائهم بالشريعة الصافية السمحة التي لا تمتلكها امة اخرى في العالم كله في ذلك اليوم ، ورغم ان قريش تعرف انه لم يصدر من هذه العائلة الهاشمية الا الخير والبركة لقريش الا انها عموماً بدأت تعارض الدعوة الجديدة وتسعى في خذلانها ودحرها ، فأنزل الله سبحانه سورة الايلاف بكلماتها القليلة وبلاغتها العظيمة التي تذكر قريش بهذه الحقائق فذكرهم بالايلاف وهي رحلتي الشتاء والصيف التي حققت لهم الامن الغذائي ، وذكرهم كيف تصدى لجيش ابرهة وحقق لهم الامن السياسي وابعد عنهم الخوف من ضياع مكانتهم المتميزة بين القبائل العربية وما تحقق كل ذلك الا في ظل العائلة الهاشمية التي ظهر منها النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والذي دعاهم الى التوحيد الخالص والاسلام لله عزَّ وجل. فما جاء لقريش من العائلة الهاشمية الا الخير والبركة ، والسورة الكريمة تذكر قريش بالبركة التي حلت عليهم من الله سبحانه من خلال هذه العائلة الهاشمية والنبي الصادق الامين الذي ظهر فيها والذي يدعوهم لعبادة الله سبحانه.

فهل هناك بلاغة اعظم من بلاغة سورة الايلاف التي اختصرت كل هذه الافكار والمعاني والابعاد الدعوية بكلماتها قليلة.

شبهات احمد القبانجي حول سورة الرحمن (سبحانه وتعالى):

ثم ينتقل احمد القبانجي ليتهم سورة الرحمن بالافتقار الى البلاغة مع انها كسابقتيها سورتي الهمزة والايلاف في بلاغتها العظيمة وكلماتها القليلة المعبرة عن الافكار الكبيرة.

يبدأ احمد القبانجي اعتراضه وطعنه في بلاغتها بسبب تسرعه وعدم تدقيقه في معانيها وعدم تدبره لمقاصدها فيقول: "لماذا ابتدأت السورة بذكر (علم القرآن) قبل (خلق الانسان) والمفروض ان يذكر خلق الانسان قبل تعليم القرآن لأن القرآن لمن علمه؟ هل علمه للجن اليس علمه للانسان فكان يتوجب ان يذكر خلق الانسان قبل تعليم القرآن" ! واعتراضه هذا قد يصح لو ان الآية الكريمة تتحدث عن مراحل وتسلسل الخلق للكون ولكنها لا تتحدث عن هذه الناحية ليكون التسلسل مطلوباً بل ان سورة الرحمن تتحدث بشكل اساسي عن نعم الله سبحانه على خلقه ووجوب عبادتهم له عزَّ وجل ، ولذلك ابتدأت بأسم (الرحمن) والذي هو من الاسماء الحسنى المختصة بالله سبحانه فلا يقال لأحد او يوصف احد بأنه رحمان سوى الله عزَّ وجل بخلاف كلمة (الرحيم) التي يمكن ان يوصف بها بعض الاشخاص ، وذلك لأن اسم (الرحمن) كما يقول السيد الطباطبائي في تفسير الميزان هي (صيغة مبالغة تدل على كثرة الرحمة ببذل النعم ولذلك ناسب ان يعم ما يناله المؤمن والكافر من نعم الدنيا وما يناله المؤمن من نعم الآخرة ، ولعمومه ناسب ان يصدر به الكلام لاشتمال الكلام في السورة على انواع النعم الدنيوية والاخروية التي ينتظم بها عالم الثقلين الانس والجن). فابتدات السورة المباركة بأسم (الرحمن) ثم ذكر الله سبحانه النعم الالهية التي انعم بها على الانسان فابتدأها بذكر تعليمه للقرآن الكريم والسبب في ذلك كما يقول الزمخشري (عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد ان يقدم اول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلاءه واصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثراً وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها ، واخر ذكر خلق

الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم أنه انما خلقه للدين وليحيط علماً بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله ، وكأن الغرض في انشائه كان مقدماً عليه وسابقاً له)) ، ومصداق قول الزمخشري هذا هو قوله تعالى في سورة الذاريات: ((وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ)) ، فانظر الى هذه الآيات المباركة التي تنص على ان خلق الانس والجن لغرض العبادة فكان تقديم ذكر تعليم القرآن الكريم على خلق الانسان في سورة الرحمن هو لهذا الغرض. وانظر الى قوله تعالى في سورة الذاريات ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ)) ، فربط فيها بين عبادة الله سبحانه وبين رزقه لعباده كما في سورة الرحمن حيث ربط بين عبادة الله سبحانه وبين نعمه سبحانه التي رزقها لعباده. وانظر الى هذه الآية المباركة كيف اشارت الى الانس والجن في موضوع العبادة وموضوع نعم الله سبحانه وما يرزقه لعباده وقارنه مع سورة الرحمن التي ذكرت نفس العناصر اي خطابها للانس والجن وتاكيدها على اهمية العبادة ووتذكيرها بنعم الله سبحانه عليهم. انها البلاغة القرآنية العظيمة في سورة الرحمن وسورة الذاريات وكل سور القرآن الكريم والتي تتناول نفس الافكار والاسس والاهداف بأساليب بلاغية متنوعة واعجازية في نفس الوقت ، ولكن احمد القبانجي وامثاله من الذين وصفهم الله سبحانه بمرضى القلوب ... ((وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً)) ، هؤلاء لا يمكن ان يعرفوا هذه النقاط البلاغية العظيمة في القرآن الكريم وهذا الترابط بين آياته وصدق الله العليّ العظيم القائل ((أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)).

واعتراض آخر يعترضه احمد القبانجي وهو ايضاً اعتراض عن قلة تدبر وعدم معرفة حيث قال: "لماذا ذكر الله ((والنجم والشجر)) والنجم هو النبات الصغير فلماذا ذكر النبات الصغير والشجر بينما الكون كله يسجد لله سبحانه" ! ويظن احمد القبانجي ان سجود النباتات هو كسجود بقية مخلوقات الكون متناسياً ان النبات هو كائن حي يولد وينمو ويموت وليس كبقية الجوامد التي تسجد ايضاً لله سبحانه ولكن بطريقة مختلفة ، فمعنى السجود المذكور كما قال الزمخشري في الكشاف: (وسجودهما : انقيادهما للّه فيما خلقا له ، وأنهما لا يمتنعان ، تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده) ، وسبب اختصاص هذه السورة المباركة بذكر النباتات هو ان النباتات تشكل الاساس لغذاء الانسان بصورة مباشرة او غير مباشرة ، فالانسان يتغذى عليها كما يتغذى على الحيوانات التي

تتغذى عليها ايضاً. ونحن نعلم ان ازمة الغذاء العالمية اليوم لا ترتبط بنقص اللحوم الحمراء او البيضاء بل ترتبط بنقص الحبوب المختلفة كالحنطة والشعير والرز ، ولذلك فإن اهمية ذكر النباتات كغذاء للانسان وتركيز القرآن الكريم عليه يؤكد ان هذا الكلام هو صادر عن الله سبحانه العليم بكل شيء ، والا فإن مكة ليست بلداً زراعياً لكي يركز النبي صلى الله عليه وآله على الزراعة بطبيعة الحال بل هي بلد تجاري في عمق الصحراء العربية. فناسب ذكر النباتات ضمن النعم الالهية اكثر من غيرها في هذه السورة المباركة التي تركز على ذكر النعم الالهية على الانسان. وحيث ذكر الله سبحانه ان الشمس والقمر بحسبان فناسب بعدها ان يذكر سجود النباتات والمزروعات وسجودها هو هو انقيادها لله سبحانه بالنمو والاثمار ولا يحدث ذلك الا في مواسم محددة لكل نوع من الزروع والنباتات ، انه التناغم في السجود لله سبحانه وطاعته ، فالشمس والقمر في طاعة الله سبحانه بدورانها في افلاكها فلا يمكنها ان تخالفه منتجة حسبان الشهور والمواسم التي تقوم بها النباتات بالسجود لله عزَّ وجل وطاعته من خلال نموها واثمارها. فهل هناك بلاغة اعظم من هذه ، بكلمات قليلة يصف القرآن الكريم اعاظم نعم الله سبحانه على البشر ((الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)) انه الارتباط وتنظيم الكون وتنظيم الحياة ، فالشمس والقمر تحسبان المواسم والنباتات تنمو وتثمر فكل له دوره وحركته التي تصب كلها في مصلحة الانسان. ولكن الانسان ماذا يفعل ازاء هذه النعم العظيمة ؟ انه يطغى في الميزان فجاء النهي ((أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ)) ، يطغى في الميزان بإفساده في الارض ، رغم ان الله سبحانه خلق الكون بنظام موزون فقال تعالى: ((وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ)) ، ووضع الميزان يعني ان السماء والكون كله مخلوق بنظام دقيق ويدل عليه قوله تعالى في سورة الحجر: ((وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ)) وقوله تعالى في نفس الموضع: ((وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)) ، ومع ذلك يعترض احمد القبانجي على تعبير رفع السماء وينكره دون سبب وجيه !!! فلا هو عنده علم يستند اليه في رفضه لخلق السماء ورفعها ولا هو سكت عما يجهله ليقي نفسه السقوط في التهلكة.

عموماً فسورة الرحمن تبين لنا بكلام بليغ نعم الله سبحانه والنظام الكوني الذي وضعه للانسان وفي خدمة الانسان ثم تذكر السورة المباركة بعد نهيها الانسان عن الطغيان في الميزان تذكر وجوب اقامة الوزن بالقسط فقال تعالى: ((وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)) ، يقول الشيخ ناصر مكارم

الشيرازي في تفسيره (الامثل) : (ويؤكّد مرّة أُخرى على مسألة العدالة والوزن حيث يقول سبحانه: (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)). ويضيف: (والنقطة الجديرة بالذكر هنا أنّ كلمة «الميزان» ذكرت ثلاث مرّات في هذه الآيات، وكان بالإمكان الإستفادة من الضمير في المرحلة الثانية والثالثة، وهذا ما يدلّل على أنّ كلمة (الميزان) هنا قد جاءت بمعان متعدّدة في الآيات الثلاث السابقة، لذا فإنّ الإستفادة من الضمير لا تفي بالغرض المطلوب، وضرورة التناسب للآيات يوجب تكرار كلمة «الميزان» ثلاث مرّات، لأنّ الحديث في المرحلة الأُولى، كان عن الموازين والمعايير والقوانين التي وضعها الله تعالى لكلّ عالم الوجود. وفي المرحلة الثانية يتحدّث سبحانه عن ضرورة عدم طغيان البشر في كلّ موازين الحياة، سواء كانت الفردية أو الإجتماعية. وفي المرحلة الثالثة يؤكّد على مسألة الوزن بمعناها الخاصّ، ويأمر البشر أن يدقّقوا في قياس ووزن الأشياء في التعامل، وهذه أضيق الدوائر. وبهذا الترتيب نلاحظ الروعة العظيمة للإنسجام في الآيات المباركة، حيث تسلسل المراتب وحسب الأهمية في مسألة الميزان والمقياس، والإنتقال بها من الدائرة الأوسع إلى الأقل فالأقل. إنّ أهميّة الميزان في أي معنى كان عظيمة في حياة الإنسان بحيث إنّنا إذا حذفنا حتّى مصداق الميزان المحدود والصغير والذي يعني (المقياس) فإنّ الفوضى والإرتباك سوف تسود المجتمع البشري، فكيف بنا إذا ألغينا المفهوم الأوسع لهذه الكلمة، حيث ممّا لا شكّ فيه أنّ الإضطراب والفوضى ستكون بصورة أوسع وأشمل). وبذلك لا يبقى لاعتراض احمد القبانجي معنى حينما اعترض على سبب ذكر النهي عن الطغيان في الميزان وبعدها الامر باقامة الوزن بالقسط.

ويعترض احمد القبانجي على قوله تعالى: ((مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ)) ، فيقول القبانجي: " وبينهما برزخ لا يبغيان لحد الان محد يعرف وين والعلم تطور والاقمار الصناعية ولحد الان مشافوا بحر مالح وبحر عذب واذا اكو فعلا فاين هي النعمة بالموضوع ولحد الان محد يعرف اين صايرة " !! بهذا الكلام الساذج يتحدى البلاغة القرآنية العظيمة !!؟ الامر يا احمد القبانجي لا يحتاج لأقمار صناعية لكي تعثر على البرزخ بين البحرين احدهما عذب والاخر مالح ، فالامر منتشر في العديد من دول العالم ويكمن في مصبات الانهار في البحار فماء النهر يكون اكثر عذوبة واقل ملوحة من ماء البحر الاكثر ملوحة والاقل عذوبة ، ومنطقة مصب النهر في البحر هي احد مصاديق الآية الكريمة ، فلا ماء البحر يطغى على ماء النهر ولا ماء النهر يطغى على ماء البحر ، واما تساؤله عن النعمة من ذلك فهو

تنوع الكائنات الحية التي تعيش في البحار والكائنات الحية التي تعيش في الانهار ، الا تنظر الى وجود اسماك نهرية لا تخرج الى البحار ولا تتمكن من العيش فيها كما ان هناك اسماك بحرية لا تنتقل من البحر الى النهر بل تبقى كل الكائنات الحية في محيطها الذي نشأت فيه. فالتنوع في الكائنات البحرية بين المياه المالحة والمياه العذبة هو نعمة اخرى من نعم الله سبحانه. وهذه نعمة لم تكن ملحوظة من قبل شخص يعيش في اعماق صحراء الجزيرة العربية وهذه المعارف هي من الدلائل الواضحة على صدق النبوة.

واعترض احمد القبانجي على استعمال مفردتي الصلصال والفخار في قوله تعالى: ((خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)) فقال: "ان الصلصال هو نفس الفخار" !! وهذا من جهله بلغة العرب ، فالصالصال هو (الطين اليابس الذي يتردد منه الصوت إذا وطئ ، والفخار الخزف). وشتان بين الطين اليابس والخزف ، ام ترى احمد القبانجي لا يميز بينهما !!

ويعترض احمد القبانجي على ورود تعبير ((رب المشرقين ورب المغربين)) ويقول لماذا هنا رب المشرقين وفي مورد آخر استخدم رب المشارق ! وسؤاله هذا يدل جزماً بعدم معرفته بفنون البلاغة العربية التي تقتضي التفنن في التعبير تبعاً للمعنى والغاية.

يقول السيد الخوئي في كتابه البيان في تفسير القرآن: (ومن الاسرار التي كشف عنها القرآن قبل أربعة عشر قرنا : وجود قارة اخرى . فقد قال سبحانه وتعالى : " رب المشرقين ورب المغربين ٥٥ : ١٧ " . وهذه الاية الكريمة قد شغلت أذهان المفسرين قرونا عديدة ، وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى . فقال بعضهم : المراد مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرباهما ، وحمله بعضهم على مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما . ولكن الظاهر أن المراد بها الاشارة إلى وجود قارة اخرى تكون على السطح الاخر للارض يلازم شروق الشمس عليها غروبها عنا . وذلك بدليل قوله تعالى : " يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ٤٣ : ٣٨ " . فإن الظاهر من هذه الاية أن البعد بين المشرقين هو أطول مسافة محسوسة فلا يمكن حملها على مشرقي الشمس والقمر ولا على مشرقي الصيف والشتاء ، لان المسافة بين ذلك ليست أطول مسافة محسوسة فلا بد من أن يراد بها المسافة التي ما بين المشرق والمغرب . ومعنى ذلك أن يكون المغرب مشرقا لجزء آخر من الكرة الارضية ليصح هذا التعبير ، فالاية تدل على وجود هذا الجزء الذي لم يكتشف إلا بعد مئات من السنين من نزول القرآن . فالايات التي ذكرت

المشرق والمغرب بلفظ المفرد يراد منها النوع كقوله تعالى : " ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ٢ : ١١٥ " . والايات التي ذكرت ذلك بلفظ التثنية يراد منها الاشارة إلى القارة الموجودة على السطح الاخر من الارض . والايات التي ذكرت ذلك بلفظ الجمع يراد منها المشارق والمغارب باعتبار أجزاء الكرة الارضية كما نشير إليه . ومن الاسرار التي أشار إليها القرآن الكريم كروية الارض فقال تعالى : " وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها ٧ : ١٣٧ . رب السماوات والارض وما بينهما ورب المشارق ٣٧ : ٥ . فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون ٧٠ : ٤٠ " . ففي هذه الايات الكريمة دلالة على تعدد مطالع الشمس ومغاربها ، وفيها إشارة إلى كروية الارض ، فإن طلوع الشمس على أي جزء من أجزاء الكرة الارضية يلازم غروبها عن جزء آخر ، فيكون تعدد المشارق والمغارب واضحا لا تكلف فيه ولا تعسف . وقد حمل القرطبي وغيره المشارق والمغارب على مطالع الشمس ومغاربها باختلاف أيام السنة ، لكنه تكلف لا ينبغي أن يصار إليه ، لان الشمس لم تكن لها مطالع معينة ليقع الحلف بها ، بل تختلف تلك باختلاف الاراضي . فلا بد من أن يراد بها المشارق والمغارب التي تتجدد شيئا فشيئا باعتبار كروية الارض وحركتها).

فما اشد بلاغة القرآن الكريم وما اشد بلاغة سورة الرحمن.

فالقاريء الكريم يرى بوضوح ان اعتراضات احمد القبانجي على بلاغة القرآن الكريم ناتجة جميعها من جهله بالبلاغة العربية وفنونها ! وليته حينما جهل سكت بدلاً من الخوض بمواضيع لا يحسن علمها او تعلمها !!

ويعترض احمد القبانجي على قوله تعالى: ((يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) ، ويقول ان اللؤلؤ والمرجان "مال ملوك والعرب الجاهليين اصلا ما شايفين لؤلؤ ، اللؤلؤ والمرجان بس للملوك ، انت خاطب الملوك" بحسب تعبيره ، وهذا وهم منه لأن تجارة اللؤلؤ والمرجان كانت منتشرة في السواحل العربية والعرب كانوا يعرفونه ، نعم قد يكون ضئيل الاقتناء من قبل العرب بسبب حالة الفقر العامة ولكن هذا لا يعني ان من لا يقتني شيء لا يعرفه !! ومن المعلوم ان اشهر مناطق استخراج اللؤلؤ والمرجان في العالم هي منطقتا الخليج قرب البحرين والبحر الاحمر. وهي سواحل عربية كما هو معلوم.

ويعترض احمد القبانجي على مخاطبة القرآن الكريم للجن بنعمة اللؤلؤ والمرجان فيقول: " والجن ممعلوم انهم يلبسون اللؤلؤ والمرجان ، هذه اشياء مادية" ، وقد فات احمد القبانجي بأنَّ الجن مخلوقين من مادة حيث ان الله سبحانه يخبرنا بأنهم مخلوقين من مارج من نار ، فإخبار الله عزَّ وجل بان اللؤلؤ والمرجان هو من النعم الالهية على الجن يحسم كونهم فعلاً يستفيدون منهما وانهما نعمة عليهما اذ لا مانع عقلي يحول دون القول بانهما نعمة عليهم.

ولنفترض ان الجن لا يستفيدون من اللؤلؤ والمرجان ، فمن المعلوم ان مجمل النظام الكوني هو نعمة الهية على الانس والجن معاً وانه لولا الحياة البشرية على الارض لما بقي الجن فيها ولحدث الفناء لأن وجودهم مرتبط بوجود البشر فيها فكل نعمة على البشر هي نعمة عليهم بصورة غير مباشرة.

ويعترض احمد القبانجي على قوله تعالى: ((سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) ، ويقول: " يهدد سنفرغ لكم ايها الثقلان ، ومع ذلك يقول فبأي آلاء ربكما تكذبان" ! عجباً لأحمد القبانجي أليس التهديد لمن يخالف القانون هو اسلوب صحيح لردع المخالفة والخروج على القوانين ولذلك وضعت العقوبات في القوانين ، وهكذا فان الله سبحانه يهدد ويتوعد خلقه بالعذاب اذا خالفوا اوامره وفي ذلك اصلاح لهم وردع لهم عن الافساد في الارض ، وهي نعمة الهية عظيمة اي نعمة وضع القوانين ونعمة العقاب للمفسدين.

ويقول احمد القبانجي عن قوله تعالى: ((يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) ، يقول ان المسلمين يقولون بان لالآية تدل على الاعجاز العلمي حيث تخبر ان الانس والجن لا يتمكنون من يسافروا في السماء الا بسلطان اي بالطائرات والصواريخ ثم يزعم ان المسلمين لم يلتفتوا الى الاية التي تليها وهي ((يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ)) فيقول:" الآية تقول مستحيل توصلون للقمر والجماعة وصلوا وتحدوا رب القرآن ورجعوا سالمين " ! وهذا فهمه فيه اخطاء كثيرة ، فمن جهة فهو يؤكد ان البشر وصلوا للقمر بسلطان كما ذكرت الآية الكريمة. ولكنه فاته ان ارسال الشواظ من نار ونحاس انما يكون في حال العقوبة الالهية ومن سافر في الفضاء الى القمر لم يقترف ما يوجب العقوبة الالهية بل إنَّ كل ما وصل اليه الانسان في الفضاء انما كان بإذن الله سبحانه. فلا معنى لقول احمد القبانجي ان رواد

الفضاء وصلوا الى القمر وتحدوا رب العزة لأن ذلك لم يحدث حقيقة اي ان رواد الفضاء لم يتحدوا الله سبحانه فلماذا يفتري عليهم. هو يظن انه بمجرد ان يخرج الانسان من جو الارض الى الفضاء يكون محكوماً بإرسال الشواظ عليه وهذا الامر لم تدل الآية الكريمة عليه بل هو محض افتراء وهراء.

ان هذه الآية الكريمة المتضمنة ارسال شواظ من نار ونحاس تدل على ان الانس والجن مهما تقدم بهم العلم ومهما حصلوا عليه من سلطان فإنهم لا مهرب لهم من يد العدالة الالهية ان تنكروا لنعم الله سبحانه وافسدوا في الارض. فلا فرار من قدرة الله سبحانه ولا مهرب من حكومة العدل الالهي العظيمة.

وينتقل احمد القبانجي في سلسلة شبهاته لقوله تعالى: ((فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) ، ويبدا بالتطاول على بلاغة القرآن فيزعم ان التشبيه المذكور في الآية القرآنية غير معقول ويتمادى فيزعم ان امثال القرآن الكريم غير معقولة !! فيعترض على وصف انشقاق السماء ووصفها بانها تصبح وردة كالدهان فيقول: " انشقت السماء كالوردة وين التشبيه ، تشبيه السماء وانشقت السماء صارت كالوردة ، هل هذا تشبيه معقول هل هذا تشبيه بلاغي ، هذا وردة تشبه السموات المنشقة ، اي مثال بلاغي لا يستطيع البشر ان يأتوا بمثله شوف هاي المصيبة" ! بل المصيبة في الجهل المركب الذي يكتنف احمد القبانجي ، فعلماء البلاغة العربية يعرفون هذه التشبيهات البلاغية الواردة في هذه الآية الكريمة ويستشهدون عليها بكلام العرب بينما احمد القبانجي يفضح نفسه بأنه لا يعرف لغة العرب وبلاغتهم ولا يعرف اسلوبهم ولا فصاحتهم فكيف سمح لنفسه ان ينتقد آيات كريمة هي بلسان عربي مبين ثم يتطاول عليها ويصفها بالتهافت البلاغي ظلماً وعدواناً !! ما لا يعلمه احمد القبانجي ان العرب في الجاهلية كانت تصف لون السماء في مناسبات عدة ، وهذا عبد الله بن الحسين بن ناقيا (المتوفى سنة ٤٨٥هـ) يقول في كتابه (الجمان في تشبيهات القرآن) ما نصّه: (تشبيه آخر من هذه السورة: ((فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)) الانشقاق انفكاك ما كان على شدة الالتئام فالسماء تنشق وتصير حمراء كالوردة ثم تجري كالدهان وقيل قوله: ((فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)) أي كلون فرس ورد ، والكميت الورد يتلون فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف والدهان جمع دهن كقرط وقراط أي يتلون من الفزع الاكبر كما تتلون الدهان المختلفة ودليل قوله تعالى: ((يوم تكون السماء كالمهل)) أي كالزيت الذي قد أغلي وهم

يذكرون تغير السماء في شدة الامر صعوبته وما يعهدونه من أحوالهم مثل الجدب والحرب ونحو ذلك مثله قال الشاعر:

ومحمرّة الاعطاف مغبرّة الحشا خفاف رواياها بطاء عهودها

يعني سنة مجدبة اقطار السماء بها محمرة والارض مغبرة ورواياها يعني سحابها والعهود أول المطر قال بعض العرب أيضاً يذكر سنة مجدبة:

وجاءتك يا لهف لا أرى فيه وقد سود الشمس فيه القمر
كأنَّ النجوم عيون الكلاب تنهض في الافق او تنحدر

أي قد حال الغبار دونها وكملت الوانها كما قال ذو الرمة:

وحيران ملتهج كأنَّ نجومه وراء القتام الاغبر الاعين الخُزرُ
تعسفتهُ بالركب حتى تكشفت عن الصهب والفتيان أوراقها الخضرُ

واما التقرير بالنعمة في قوله تعالى: ((فبأي آلاء ببكما تكذبان)) وليس في انشقاق السماء نعمة يقع التقرير بها وإنما التقرير وقع من جهة الزجر والتخويف بإنشقاق السماء فوق بالسبب وإنما يجب الزجر بالضرر المحض لا بما يقع فيه النفع ولكن بسبب النفع الذي هو الزجر به في دار الدنيا).

وقال بن منظور في (لسان العرب) ج٣١ ص١٦٢ : (وقال الفراء في قوله تعالى : فكانت وردة كالدهان ، قال : شبهها في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه ، قال : ويقال الدهان الأديم الأحمر أي صارت حمراء كالأديم ، من قولهم فرس ورد ، والأنثى وردة ، قال رؤبة يصف شبابه وحمرة لونه فيما مضى من عمره : كغصن بان عوده سرعرع ، كأن وردا من دهان يمرع لوني ، ولو هبت عقيم تسفع . أي يكثر دهنه ، يقول : كأن لونه يعلى بالدهن لصفائه ، قال الأعشى : وأجرد من فحول الخيل طرف ، كأن على شواكله دهانا . وقال لبيد : وكل مدماة كميت ، كأنها سليم دهان في طراف مطنب . غيره : الدهان في القرآن الأديم الأحمر الصرف . وقال أبو إسحق في قوله تعالى : فكانت وردة كالدهان ، تتلون من

الفزع الأكبر كما تتلون الدهان المختلفة ، ودليل ذلك قوله عز وجل : يوم تكون السماء كالمهل ، أي كالزيت الذي قد أغلي).

اذن هذا التعبير (وردة كالدهان) هو تعبير بليغ ومعروف معناه ومستعمل في لغة العرب في الجاهلية واعتراض احمد القبانجي عليه نابع من عدم معرفة بكلام العرب وجهل بفنون البلاغة.

ويقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره الامثل: (وعلى كلّ حال فإنّ هذه التشبيهات تجسّد لنا صورة من مشهد ذلك اليوم العظيم. حيث أنّ حقيقة الحوادث في ذلك اليوم ليس لها شبيه مع أيّة حوادث أُخرى من حوادث عالمنا هذا. فهذه المشاهد لا نستطيع إدراكها إلاّ إذا رأيناها. ولأنّ الإخبار بوقوع هذه الحوادث المرعبة في يوم القيامة . أو قبلها . تنبيه وإنذار للمؤمنين والمجرمين على السواء، ولطف من ألطاف الله سبحانه، يتكرّر هذا السؤال: ((فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان))).

ويعترض احمد القبانجي على قوله تعالى: ((يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) ، فيقول: " يعرف المجرمون بسيماهم فياخذ ... هذا تهديد بالعذاب بعد ليش تقول فبأي آلاء ربكما تكذبان" ! واشرنا قبل قليل الى ان (التذكير بيوم القيامة هو لطف منه تعالى) كما في التفسير الامثل ، لأن التنبيه والانذار بوقوع هذه الحوادث وتذكير الانسان بها ليتجنبها هي من نعم الله سبحانه ولذلك قال تعالى بعد ذكرها: ((فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان)).

ونفس الامر ينطبق على اعتراض احمد القبانجي على ذكر نعيم الجنة والحور العين حيث قال: "ان الانسان لم يحصل على هذه النعم الى الان فكيف يمن بها عليه ويقول فبأي آلاء ربكما تكذبان" ! واعتراضه هذا مردود لما اسلفناه من ان التذكير بهذه النعم الالهية هو بحد ذاته نعمة ليرغب اليه الانسان ويترك معصية رب العزة تعالى عما يصفون.

ويعترض احمد القبانجي على قوله تعالى: ((حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) ، ويقول: " حور مقصورات في الخيام ، الان منو يتمنى عندة مرة بالخيمة ، اكو الفيلات اكو القصور ، جاي تمن عليه بالجنة اكو خيام" ! وهو من جهله بلغة العرب ظن ان مفردة الخيمة العامية التي نستعملها اليوم هي نفس المفردة القرآنية بينما القرآن الكريم نزل بلسان عربي فصيح. فالخيمة هي بيت مصنوع من الاشجار وليس من القماش كما توهم.

. قال الجوهري في الصحاح ج٥ ص١٩١٦: (الخيمة : بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر ، والجمع خيمات).

. وقال ابن منظور في لسان العرب ج٢١ ص١٩٣: (الخيمة : بيت من بيوت الأعراب مستدير يبنيه الأعراب من عيدان الشجر ، قال الشاعر : أو مرخة خيمت (قوله أو مرخة خيمت كذا بالأصل ، والشطرة موجودة بتمامها في التهذيب وهي : أو مرخة خيمت في أصلها البقر) . وقيل : وهي ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها في الحر ، والجمع خيمات وخيام وخيم وخيم ، وقيل : الخيم أعواد تنصب في القيظ ، وتجعل لها عوارض ، وتظلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية... وقيل : الخيم ما يبنى من الشجر والسعف ، يستظل به الرجل إذا أورد إبله الماء . وخيمه أي جعله كالخيمة . والخيمة عند العرب : البيت والمنزل ، وسميت خيمة لأن صاحبها يتخذها كالمنزل الأصلي . ابن الأعرابي : الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام ولا تكون من ثياب ، قال : وأما المظلة فمن الثياب وغيرها ، ويقال : مظلة . قال ابن بري : الذي حكاه الجوهري من أن الخيمة بيت تبنيه الأعراب من عيدان الشجر هو قول الأصمعي ، وهو أنه كان يذهب إلى أن الخيمة إنما تكون من شجر ، فإن كانت من غير شجر فهي بيت ، وغيره يذهب إلى أن الخيمة تكون من الخرق المعمولة بالأطناب) ، والثمام هو الشجر ، والاطناب هو عروق الشجر.

. وقال محمد بن عبد القادر الرازي في مختار الصحاح: (ي م الخيمة بيت تبنيه الاعراب من عيدان الشجر والجمع خيمات وخيم).

. وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط ج٤ ص١١٠: (الخيمة : أكمة فوق أبانين وكل بيت مستدير أو ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها في الحر أو كل بيت يبنى من عيدان الشجر).

. وقال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: ج١ ص٧٢٢: (والخيم بحذف الهاء لغة . والجمع خيام كسهم وسهام . قال ابن الاعرابي - نقلا عنه - : لا تكون الخيمة عند العرب من ثياب بل من أربعة أعواد ثم تسقف).

بينما مصطلح (الخيمة) العامي يسمى في الفصيح (الخباء) ، قال ابن الاثير في (النهاية في غريب الحديث) ج٢ ص٩: (الخباء : أحد بيوت العرب من وبر أو صوف ، ولا يكون من شعر . ويكون على

عمودين أو ثلاثة . والجمع أخبية). وقال ابن منظور في لسان العرب ج٤١ ص٢٢٣: (خبا : الخباء من الأبنية : واحد الأخبية ، وهو ما كان من وبر أو صوف ولا يكون من شعر ، وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت . وقال ابن الأعرابي : الخباء من شعر أو صوف ، وهو دون المظلة).

اذن قوله تعالى: ((حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ)) ، يعني حور في الخيام وهي بيوت واماكن مصنوعة من الشجر ، ويمكن تقريبها بأنها كالخيام المصنوعة من الشجر والنباتات في الاماكن السياحية في مختلف دول العالم. ولا يخفى ان خيام الجنة ليست كخيام الارض. فما ا روعها من صورة ذهنية شاعرية بليغة هذه الموصوفة في هذه الآية الكريمة.

ويعترض احمد القبانجي على قوله تعالى: ((لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ)) ، فيقول: " باكرات لم يطمثهن انس افتهمنة ، الجن شلون ، هو صايرة بالدنيا رجال من الجن يواقعون نساء الانس. ما عدنة رجال جن يواقعوهن ، مسوي منية في الجنة ان رجال الجن لم يطمثوهن خو الان في الدنيا ايضا لا يقربوهن " ! وما لم يلتفت اليه احمد القبانجي ان الجن هم مخلوقات مادية لأنهم مخلوقين من مارج من نار فهم ليسوا كالملائكة ، فلا مانع من ان يتمكن الجن من مواقعة الانسيات والجنيات من مواقعة الرجال في الدنيا ولا يمكن لأحمد القبانجي ان ينكر شيء لمجرد انه لا يعرفه. غاية ما في الامر انه امر غير شائع بين الناس وهناك حوادث فردية هنا او هناك لا ترقى لمرتبة الدليل ولا يمكن الاستشهاد اليها كأمر يقيني ، ولكن اليقين ان القرآن الكريم يخبرنا ان الحور لم يطمثهن الجان مما يعني انهم يمكن ان يطمثوا غيرهن.

وعالم الجن وعلاقتهم بالانس هو من الامور التي يكتنفها الكثير من الغموض ، وبخصوص علاقة اناث الجن برجال الجن والعكس هناك قصص وتجارب يرويها بعض من خبروا هذا الامر وخاضوا تجارب معهم يمكن تلخيصه في اطارين:

. يمكن للجن ان يواقع المراة الانسية من خلال التلبس بجسد الرجل الانسي الذي يواقعها.
. يمكن للجن ان ياتي المراة في المنام فتحلم المراة برجل يواقعها وفي الحقيقة يكون الجن هو الذي يفعل ذلك وهي لا تعلم.

وهذه الحالات كلها وغيرها ان وجدت لا تتعرض لها الحور في الجنة ، ولذلك اخبر الله سبحانه بان الحور العين ((لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ)).

شبهات احمد القبانجي حول قوله تعالى ((الله نور السماوات والارض)) الآية:

وينتقل للتطاول على آية اخرى هي المذكورة في سورة النور قوله تعالى: ((اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)). فيحاول احمد القبانجي التهوين من الوصف العظيم للآية الكريمة ويدعي ان هذا المثل ليس ابلغ من الممثل له والمفروض ان يكون المثل ابلغ من الممثل له ويقصد ان معنى قوله تعالى ((اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)) اكثر فهماً من الممثل له وهو المصباح والزجاجة والمشكاة .. والمشكلة ليست في المثل بل في فهم احمد القبانجي ، فالصورة الذهنية التي ترسمها الاية الكريمة لنور الله سبحانه هي صورة عظيمة وملخصها ان نور الله وهدايته للسماوات والارض هي مثل نور مصباح ذو زجاجة درية متقدة بزيت صافي موضوعة في مشكاة بيت من بيوت الله سبحانه حيث تنير للمؤمنين رؤيتهم وطريقهم. وهذه البساطة في فهم الآية القرآنية عرفها العرب ولم يعترض عليها احد لنه مثال واضح وبليغ ولكن احمد القبانجي يعتم على دلالات هذا المثل القرآني بإسلوب الاشاعة ضده ، فهو اما لم يفهمه فعلاً او انه يتظاهر بإشاعة عدم فهمه ! والنتيجة هي انه يستند الى الجهل في تأسيس حججه. وفيما يلي بعض التفصيل لهذا المثل القرآني العظيم:

فقوله تعالى: ((اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)) يعني انه هو سبحانه منورهما وخالق اسباب الهداية فيهما فهو تعالى نور السماوات والارض ولكن ليس هذا النور المادي الذي نراه ، والا فهل يظن احمد القبانجي ان الله سبحانه له نور مادي . وحاشاه تعالى . حتى يتصور ان معنى ((نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)) اوضح من مثل المشكاة !!؟

وتستمر الآية الكريمة بقوله تعالى: ((مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ)) ، والمشكاة هي الكوة غير النافذة في الجدار. اي ان نور الله سبحانه وهدايته هي كالمصباح الذي توقده في الظلام الدامس ، اليس كل

من يجد نفسه في مكان مظلم يشعل شمعة او مصباحاً ليهتدي به ، فهداية الله سبحانه هي كذلك بالنسبة للانسان الذي يعيش في عالم الكفر المظلم. فهل هذا المثل صعب على احمد القبانجي استيعابه ؟!!

ثم تنتقل الآية الكريمة لبيان المصباح فتقول: ((المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)) ، فالمصباح يحتاج الزجاجة لتحميه من الرياح ومن حركة الهواء لئلا ينطفيء ، وهذه الزجاجة كأنها كوكب دري (أي : تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضئ الذي يشبه الدر في صفائه ونوره ونقائه) على حد تعبير الشيخ الطوسي في تفسيره. والزجاجة كما هو معلوم تزيد من تلألوء الضوء ولها دور مهم في ذلك فإذا كانت درية كالكوكب الدري فهذا يعني ان ضوئها سيكون فريداً في اشراقه ونصاعته.

فما هو حال الكوكب الدري ، يخبرنا الله سبحانه: ((يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ)). فوقود هذا الكوكب الدري المشرق المضيء والمنير هو زيت الزيتون وهو انقى انواع الوقود المستعمل للاضاءة. هذه الشجرة لا شرقية ولا غربية بل هي شجرة ترمز لبعدها عن كل الانحرافات الفكرية التي قد توجد في الحياة ولذلك فنورها مرتبط بالهداية الحقيقية. كما انها لو كانت شرقية لقال جماعة من الناس انها لو كانت غربية لكان زيتها افضل ولو كانت غربية لقال الاخرون ان الشرقية زيتها افضل ، فيسود النزاع ويزداد الطعن والاختلاف في نوعيته وفي صفاء النور المنبعث منه ولذلك كان النص بأنها لا شرقية ولا غربية بل جامعة للصفات المثلى جميعها وزيتها ونوره ايضاً كذلك.

وقوله تعالى: ((يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ)) ، اذن زيت الزيتون الذي يضيء هذا المصباح هو نفسه يكاد يضيء فضلا عن ايقاده وانارته للزجاجة ، فنور زيت الزينون ونور الايقاد والزجاجة درية كلها ادت الى ان يكون النور الصادر عن المصباح والزجاجة الدرية نور مضاعف ليس له مثيل ، وهذا النور موجود في بيوت خاصة ، هي البيوت المذكورة في الآية التي تتلوها وهي قوله تعالى: ((فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ، رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)). وهذا معناه ان هذا النور يهدي ويفيد المؤمنين مثلما ان الله سبحانه نور السموات والارض بمعنى انه مصدر النور

والهدايو كما اسلفنا ، وكما ان نور الله سبحانه لا يهتدي به الا المؤمنون بالله عز وجل فكذلك نور المصباح الموضوع في المشكاة لا ينتفع به ولا يهتدي به الا المؤمنون الداخلون في حوزة الله سبحانه في بيوته التي وضعت لعبادته.

اذن المثل المذكور في القرآن الكريم بسيط وواضح جداً كما اسلفنا وهو ان الله سبحانه منور السماوات والارض بالهداية كما المصباح ينور المساجد التي يقصدها المؤمنين. فهل هو مثال صعب لا يمكن لأحمد القبانجي ان يعرفه ويستوعبه ؟!

شبهات احمد القبانجي حول آية ((إنا احللنا لك ازواجك)):

يوجه احمد القبانجي سهام الطعن والحقد على القرآن الكريم وبالتحديد على قوله تعالى في سورة الاحزاب: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً)).

وملخص طعنه ان النبي يعرف ان ازواجه حلال عليه فكيف يخبر بذلك القرآن الكريم ، كما ان اي انسان بالاضافة الى النبي يعرف ان بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته هن حلال عليه ويجوز له الزواج منهن ، فكيف يذكر القرآن هذه الامور الواضحة ويزعم المسلمون ان القرآن بليغ وان لا احد يمكنه الاتيان بمثله ! هذا هو ملخص طعنه !!

ومن الواضح أنَّ احمد القبانجي يستخف بذهنية المتلقي لمحاضراته اذ انه يلقي شبهات في امور هي من الواضحات ، فهذه الآية المباركة تبين سبعة اصناف من النساء اللواتي يجوز للنبي صلى الله عليه وآله الزواج منهن ، قال السيد الطباطبائي في الميزان: (قوله تعالى : (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) إلى آخر الاية ، يذكر سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاحلال سبعة أصناف من النساء).

وقوله تعالى: ((وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ)) ، والذي استخف به احمد القبانجي بقوله ان كل مسلم يعرف ان بنات عمه وعماته وخاله وخالاته حلال فلا فائدة من ذكرها ولا بلاغة فيها بحسب زعمه !! وهو اذ يذكر هذه الشبهة فانما استند فيها الى بتر النص حيث انه لم يذكر النص كاملاً وهو قوله تعالى: ((وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ)) حيث بيَّن الله سبحانه ان ذكر بنات العم والعمة والخال والخالة هو بقصرهم على شرط الهجرة اي ان يكن مهاجرات فيصبحن مؤهلات ليكن زوجات للنبي صلى الله عليه وآله ، اما غير المهاجرات من بنات عمه وعماته فلا يحق له الزواج بهن وان كان هذا الامر حلالاً لبقية المسلمين.

واستهزا احمد القبانجي بقوله تعالى: ((قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ)) نتيجة جهله بمعنى هذه الآية المباركة ومقاصدها وما تضمنته من بلاغة ، فيقول ان اي انسان يعلم ما يفرض فأين البلاغة ! فهو يجهل ان معنى الاية الكريمة هو ان الله سبحانه عندما احل الاصناف السبعة المذكورة للنبي صلى الله عليه وآله واباح له نكاح نسائه وقد بلغن تسعة نساء في رواية فإنَّ الله سبحانه يؤكد انه يعلم انه فرض خلاف هذا على بقية المسلمين اي حصر عدد زوجاتهم الدائميات على اربع فقط.
وتعبير(قد علمنا) هو تعبير شائع في لغة العرب ويستعملونه في لغتهم ولكن احمد القبانجي اما انه لا يعلم ذلك او انه لا يريد ان يعلمه فهو انما يفسر القرآن برأيه فهلك واهلك من يتبعونه في افكاره الضالة.

قال السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: (قوله بعده : (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) تقرير لحكم الاختصاص . وقوله : (لكيلا يكون عليك حرج) تعليل لقوله في صدر الاية : (انا أحللنا لك) أو لما في ذيلها من حكم الاختصاص والاول أظهر وقد ختمت الاية بالمغفرة والرحمة).

وقال ابن جرير الطبري في جامع البيان: (قوله : قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم يقول تعالى ذكره : قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك ، وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك).

وقال النحاس في معاني القرآن: (وقوله جل وعز قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم أي قد علمنا ما في ذلك من الصلاح وهذه كلمة مستعملة يقال أنا أعلم مالك في ذا وروى زياد بن عبد الله عن أبي بن كعب في قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم قال مثنى وثلاث ورباع).

احمد القبانجي يدافع عن مسيلمة الكذاب:

وعمد احمد القبانجي الى ممارسة دور محامي الشيطان حينما انبرى فجأة ليدافع عن مسيلمة الكذاب ومن المعلوم ان المسلمين يروون ان مسيلمة جاء بكلام متهافت ليعارض به القرآن الكريم مثل قوله: (الفيل ما الفيل له ذنب طويل) الخ !! فانبرى احمد القبانجي ليدافع عن مسيلمة وينكر ان مسيلمة قال كلاماً متهافتاً وأن الكلام المنسوب اليه انما نسبه المسلمون له ولم يقله !! ولم يذكر احمد القبانجي اي دليل يسند كلامه انما هي رغبات شيطانية في تشويه تاريخ االقرآن الكريم والتاريخ الاسلامي عموماً والحقائق المتعلقة به.

شبهة احمد القبانجي حول آية ((ليس على الاعمى حرج)):

وانتقل احمد القبانجي الى مهاجمة آية قرآنية كريمة اخرى هي قوله تعالى في سورة النور: ((لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تعْقِلُونَ)).

واهم اعتراضات احمد القبانجي عليها يتلخص في التكرار لذكر الاقارب (اخوانكم واخواتكم واعمامكم وعماتكم) الخ وقال لماذا لم يذكر كلمة اقربائكم بدلاً من هذا التعداد !! كما اعترض على ان ليس كل من يعطي مفتاحه لشخص آخر يرتضي ان ياكل من بيته !! واعترض على ان يقوم الله سبحانه بتحية

الانسان فقال بلهجته العامية: (هسة آني دا اسلم عليكم ، جا الله شو دخله ، الله همات يشاركك بالسلام والتحية) ، وكما يرى القاريء فإنَّ عموم اعتراضات وانتقادات احمد القبانجي لآيات القرآن الكريم هي اعتراضات وانتقادات غير مؤدبة وغير علمية ، واستغرب ان البعض ينخدع بكلامه ممن يحسبون انفسهم مثقفين ، ينخدعون بهذا الاسلوب المتهافت والضحل.

افلا يعقل احمد القبانجي ان كلمة الاقارب اذا ذكرت مجردة قد تشمل جميع الارحام ولا يقتصر امرها على العم والخال والعمة والخالة بل يمتد الى اولاد العم واولادهم والى اولاد الخال واولادهم واولاد العمة واولادهم واولاد الخالة واولادهم وارحام آخرين وهم خارج مطلب الآية الكريمة ومقاصدها. كما ان السيد الطباطبائي يقول ان معنى كلمة مفاتحه اي مخازنه فيكون مقصد الاية الكريمة هو اعطاء مفتاح مخزن الطعام.

ومن اجل معرفة تفسير الاية الكريمة نورد ما جاء بصددها في تفسير الميزان للسيد الطباطبائي رضوان الله عليه حيث قال: (قوله تعالى : " ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم - إلى قوله - أو صديقكم " ظاهر الآية أن فيها جعل حق للمؤمنين أن يأكلوا من بيوت قراباتهم أو التي ائتمنوا عليها أو بيوت أصدقائهم فهم مأذونون في أن يأكلوا منها بمقدار حاجتهم من غير إسراف وإفساد . فقوله : " ليس على الاعمى حرج - إلى قوله - ولا على أنفسكم " في عطف " على أنفسكم " على ما تقدمه دلالة على أن عد المذكورين ليس لاختصاص الحق بهم بل لكونهم أرباب عاهات يشكل عليهم أن يكتسبوا الرزق بعمل أنفسهم أحيانا وإلا فلا فرق بين الاعمى والاعرج والمريض وغيرهم في ذلك . وقوله : " من بيوتكم أو بيوت آبائكم " الخ ، في عد " بيوتكم " مع بيوت الاقرباء وغيرهم إشارة إلى نفي الفرق في هذا الدين المبني على كون المؤمنين بعضهم أولياء بعض بين بيوتهم أنفسهم وبيوت أقربائهم وما ملكوا مفاتحه وبيوت أصدقائهم . على أن " بيوتكم " يشمل بيت الابن والزوج كما وردت به الرواية ، وقوله : " أو ما ملكتم مفاتحه " المفاتح جمع مفتح وهو المخزن ، والمعنى : أو البيت الذي ملكتم أي تسلطتم على مخازنه التي فيها الرزق كما يكون الرجل قيما على بيت أو وكيلا أو سلم إليه مفتاحه . وقوله : " أو صديقكم " معطوف على ما تقدمه بتقدير بيت على ما يعلم من سياقه ، والتقدير أو بيت صديقكم . قوله تعالى : " ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا " الاشتات جمع شت وهو مصدر بمعنى التفرق استعمل بمعنى المتفرق مبالغة ثم

جمع أو صفة بمعنى المتفرق كالحق ، والمعنى : لا إثم عليكم إن تأكلوا مجتمعين وبعضكم مع بعض أو متفرقين ، والآية عامة وإن كان نزولها لسبب خاص كما روي . وللمفسرين في هذا الفصل من الآية وفي الفصل الذي قبلها اختلافات شديدة رأينا الصفح عن إيرادها والغور في البحث عنها أولى ، وما أوردناه من المعنى في الفصلين هو الذي يعطيه سياقهما . قوله تعالى : " فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة " الخ ، لما تقدم ذكر البيوت فرع عليه ذكر أدب الدخول فيها فقال : " فإذا دخلتم بيوتا " . فقوله : " فسلموا على أنفسكم " المراد فسلموا على من كان فيها من أهلها وقد بدل من قوله : " على أنفسكم " للدلالة على أن بعضهم من بعض فإن الجميع إنسان وقد خلقهم الله من ذكر وأنثى على أنهم مؤمنون والايمان يجمعهم ويوحدهم أقوى من الرحم وأي شئ آخر . وليس ببعيد أن يكون المراد بقوله : " فسلموا على أنفسكم " أن يسلم الداخل على أهل البيت ويرد السلام عليه . وقوله : " تحية من عند الله مباركة طيبة " أي حال كون السلام تحية من عند الله شرعها الله وأنزل حكمها ليحيي بها المسلمون وهو مبارك ذو خير كثير باق وطيب يلائم النفس فإن حقيقة هذه التحية بسط الامن والسلامة على المسلم عليه وهو أطيب أمر يشترك فيه المجتمعان . ثم ختم سبحانه الآية بقوله : " كذلك يبين الله لكم الآيات " وقد مر تفسيره " لعلكم تعقلون " أي تعلموا معالم دينكم فتعملوا بها كما قيل).

وكما يظهر من تفسير هذه الآية القرآنية فان احمد القبانجي نتيجة ضعف لغته وعلميته ببلاغة العرب حاول ان يفتري على الآية الكريمة وينسب لها معاني غير موجودة فيها.

احمد القبانجي يفتري على القرآن انه معجزة وجدانية:

ثم ينتقل احمد القبانجي للمزيد من شططه فيقول انه يثبت للقرآن معجزة ولكن ليست هذه المعجزات التي يقولها المسلمون كالمعجزة البلاغية والعلمية والتشريعية والاخبار بالمغيبات فهو ينكر ذلك ويقول ان للقرآن معجزة وجدانية ومعنى قوله بالمعجزة الوجدانية ان وجدان النبي صلى الله عليه وآله هو الذي ابتدع القرآن وانه لا علاقة للقرآن بالوحي ولا هو كلام الله سبحانه ، وان المعجزة في القرآن تكمن في كيفية ترقي وجدان النبي ليختلق مثل هذا الكلام المعجز ، فالمعجزة الوجدانية في

حقيقتها طعن في النبوة واتهام للنبي صلى الله عليه وآله بانه افترى القرآن الكريم ونسبه لله سبحانه !! واحمد القبانجي يحاول تغليف هذا المعنى وتزويقه لكي لا يثير مشاعر الناس بحديثه المباشر ضد نبيهم بهذه الصراحة الشديدة ، ولذلك عمد الى اختلاق فكرة ان الوجدان هو اله صغير وانه مرتبط بالله سبحانه كما ترتبط اشعة الشمس بالشمس ورغم ما في هذا التعبير من تهافت وقياس باطل فهو يبرر وجود اله صغير متأنسن . على حد تعبيره . بانه ليس اله في عرض الله بل في طوله !!! ناسياً ان المشركين ايضاً كانوا يعبدون الاصنام لتكون الهةً في طول الله تعالى وليس في عرضه فقالوا كما وصفهم بذلك الله سبحانه في القرآن الكريم في سورة الزمر: ((أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)).

والوجدان الذي ينادي احمد القبانجي به ويعتبره الهاً في داخل كل انسان لم يبين معناه حيث لم يرد في لغة العرب مصطلح اسمه الوجدان والعرب لا يعرفون الوجدان الا كمصدر للفعل وجد ، واما استعماله الاصطلاحي لوصف شيءٍ ما داخل الانسان فلم يرد في لغة العرب وكلامهم ابداً والظاهر انه كلمة عامية وجدت طريقها الى ذهن احمد القبانجي ليستعملها ويخترع منها الهاً دون ان ينتبه الى عاميتها !!

وحينما طالبنا احمد القبانجي ان يثبت وجود الوجدان المزعوم الهه الذي يعبده وهو الذي يبشر بان القرآن هو كلام الوجدان وليس كلام الله سبحانه !!! هو نفسه لم يتمكن ان يثبته واكتفى بالقول: (من لا يوجد في قلبه وجدان فمن المحال ان نثبت له وجود الوجدان). عجيب امره فهو يعجز ان يعرّفنا معنى الوجدان الذي يقصده ويعجز عن اثبات وجود الوجدان بالمعنى الذي يقصده ثم يطلب من الناس الايمان الاعمى بالوجدان ، يطلب الايمان بالمجهول !! يطلب من الناس الايمان بشيء لا يعرفونه ولسان حاله: من لا يؤمن بهذا المجهول فلا يمكن ان نثبته له !! اذن ما هو دور العقل في كل هذا ، كيف اصبح العقل جامداً فجأة عند احمد القبانجي وليس له دور في اثبات الوجدان الهه الصغير الذي يعبده !؟

وإضافة الى ضحالة فكرة "الوجدان - الاله" التي لا تصمد امام النقد نجد ان احمد القبانجي بدا متناقضاً في عرضه لها ، ففي بداية عرضه لفكرته هذه في ما اسماه الاعجاز الوجداني قال بأن نهج

البلاغة وان كان ابلغ من القرآن الا ان من يقرأه يجد انه كلام الامام علي وليس كالقرآن الذي يتسم بان صفة الخطاب فيه هي صفة العلو لأنها نابعة من الاله الصغير في داخل الانسان والذي يسمى الوجدان !!؟ بينما نهج البلاغة هو كلام انسان !!

فلماذا لم ينطق وجدان الامام علي بنهج البلاغة كما نطق وجدان النبي بالقرآن رغم انه يزعم ان لكل انسان اله صغير في داخله هو الوجدان !! لماذ نطق وجدان النبي وحده بالقرآن من دون العالمين !!؟ ولماذا يعجز وجدان البشرية كلها متفرقة او مجتمعة على ان ينطقوا بمثل القرآن الذي نطق به وجدان النبي محمد صلى الله عليه وآله !!؟ اليس يكشف هذا كله عن ضحالة فكرة الوجدان وضحالة فكرة أنَّ القرآن هو من وحي الوجدان ؟!

ومن جهة اخرى فإنَّ كلام احمد القبانجي هذا صريح في انه ينكر ان يكون القرآن وحياً من الله سبحانه وانه ليس كلام الله سبحانه ! اذن حينما تقول آيات القرآن الكريم انه كلام الله فمعنى ذلك ان احمد القبانجي يكذب النبي وحاشاه من الكذب ، لأن الله سبحانه يقول في القرآن الكريم انه هو الذي يوحي للنبي صلى الله عليه وآله كما في قوله تعالى في سورة الشورى: ((كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ)). الله العزيز الحكيم هو الذي اوحى للنبي صلى الله عليه وآله القرآن الكريم فيما احمد القبانجي يرفض هذا ويقول ان القرآن هو كلام الوجدان المزعوم !!؟

وهكذا يتبين لنا ان الوجدان هو شيء مجهول لا يمكن تعريفه ولا يمكن اثبات وجوده لا بالدليل العقلي ولا بالدليل النقلي. الوجدان مجرد وهم وسراب يلهث وراءه من فقد طريق الحق والصواب.

شبهة احمد القبانجي حول آية ((ثم خلقنا النطفة علقة)):

يستمر احمد القبانجي في سلسلة طعنه في آيات القرآن الكريم بلا علم ، فينتقد قوله تعالى: ((ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ)) ، فيقول ان الآية الكريمة ليس فيها اعجاز علمي لأن النساء عندما يصبن بإسقاط الجنين يتبين شكل الجنين في المراحل المختلفة التي ذكرها القرآن وهي العلقة والمضغة والعظام ، وزعم ان قوله تعالى ((فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً)) ليس فيه اعجاز بل هو امر خاطيء لأن اللحم ينبت قبل العظام !!!

فأما قوله بأن النساء كن في الجاهلية يسمين السقط بأسماء متعددة تبعاً لحاله وشكله فيسمين العلقة والمضغة فهو كلام يفتقر للدليل حيث لم يرد الينا اي نص جاهلي يدل على ان النساء كن يعرفن هذه التسميات ، وهذه المصطلحات (العلقة والمضغة) التي اطلقها القرآن الكريم فيما يبدو ولم يكن لاهل الجاهلية معرفة بهذه المعلومات العلمية ومراحل تطور الجنين التي ذكرها في آياته الشريفة. بل وحتى في زماننا هذا والازمنة المتصلة قبله لم يعرف الموروث الثقافي والاجتماعي ان تطلق النساء اسماء العلقة والمضغة على الجنين السقط.

واما ما زعمه احمد القبانجي بان الايات الكريمة تبين خطا القرآن وانها ضد القول بانه معجزة علمية لأن اللحم يكون قبل العظام وليس بعده بخلاف ما مذكور في القرآن ، فهو يبين شدة جهله بعلم الاجنة وعدم اطلاعه على مراحل تكوين الجنين. وننصح احمد القبانجي بان يرجع للمصادر الطبية التي تجمع بان العظام تنبت قبل اللحم والعضلات ، وهذا موريس بوكاي الطبيب الفرنسي الذي اعلن اسلامه بعد تعمق ودراسة لهذا الدين العظيم يقر في كتابه (دراسة الكتب المقدسة) بإعجاز هذه الاية القرآنية الكريمة.

وقد أُلقِيَت هذه الآيات العظيمة في مؤتمر الإعجاز الطبي السابع للقرآن الكريم عام ١٩٨٢ وكانت سبباً في اعلان العالم التايلاندي (تاجاس) المتخصص بعلم الأجنة اسلامه ، كما حضر المؤتمر البروفيسور الشهير (كيث مور) و هو أستاذ كبير في الجامعات الأميركية و الكندية ومؤلف كتاب (أطوار خلق الإنسان The Developing Human) ، وقال في ذلك المؤتمر: (لقد اسعدني جدا ان اشارك في توضيح هذه الايات والاحاديث التي تتحدث عن الخلق في القرآن الكريم والحديث الشريف ، ويتضح لي ان هذه الادلة حتماً جاءت لمحمد بن عبد الله من عند الله لأن كل هذه المعلومات لم تكتشف الا حديثاً وبعد قرون عدة وهذا يثبت لي ان محمداً رسول الله).

فاحمد القبانجي الذي يستهزيء بهذه الايات العظيمة لجهله المفرط بحقائق تكوين الجنين اثبت جلياً قيمة الاختصاص في الحياة لأن الانسان المختص بمجال معين يدرك ويحيط عادة بمجال اختصاصه ولذلك يكون مفيداً للآخرين الذين يقصدونه للعون والمعرفة في مجال اختصاصه ، بينما نجد أن احمد القبانجي قد اخفق اخفاقاً فاحشاً في تقييم هذه الآيات الكريمة واستهزأ بها لأنها ليست من اخصاصه وايضاً هو لم يرجع لذوي الاختصاص ليسألهم ويستشيرهم ، بينما نجد انَّ ذوي الاختصاص

انبهروا بها وآمنوا بها لأنهم يعلمون صدقها وصدق من جاء بها قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة في عصر جاهلي مليء بالجهل والتخلف والانغلاق.

ومن نفس المنطلق نقول إنَّ الفقه هو مجال علمي تخصصي لا يحسن اي انسان ان يخوض فيه وان من يخوض فيه بغير علم ودراسة وتخصص سوف يسيء اليه ويسيء فيه. وهكذا يتضح خطأ اولئك الذين يستهزؤون بقيمة رجل الدين ويحرضون الناس على عدم الرجوع للعلماء وعدم اخذ الفقه والاحكام الشرعية منهم.

التخصص ضرورة:

يتحدث احمد القبانجي عن بالتخصص وصف نفسه بأنه متخصص ، يقول: (انا رجل دين مهمتي اطرح الدين بشكل معقول ومفيد) ، ويضيف: (الان الفكر الديني مضر وغير عقلاني) ! ومعنى اعترافه بالتخصص يقود الى الاعتراف بحاجة الناس الى الفقهاء باعتبار الفقه علم تخصصي لا يصح ان يتدخل به اي انسان الا من تخصص في دراسة العلوم الفقهية. ورغم انه يعترف بالتخصص الا انه يناقض كلامه هذا عملياً لأنه يتكلم بالبلاغة العربية وهو غير متخصص بالعلوم البلاغية كما انه يتحدث في التفسير وهو غير متخصص بالتفسير ! وحتى الهرمنيوطيقا التي يمكن ان تستعمل لفهم النصوص غير الالهية فهي تخصص لا يتمكن كل انسان من فهمها وفهم متطلباتها لغرض اعمالها في النصوص الشعرية والنثرية لأن ما تنتجه من فهم يختلف من شخص لآخر وفقاً لذهنية الشخص.

ومن الجدير بالذكر ان زعم احمد القبانجي ان الفكر الديني غير مفيد انما يعكس محاولته تجيير بعض السلوكيات العنفية المرفوضة التي تقوم بها بعض الفرق كالوهابية وتنظيم القاعدة لمصلحة تشويه الاسلام بقوله ان الاسلام هو هذا الارهاب وان الاسلام هو رفض الاخر وان الاسلام بصيغته هذه لا يصلح لزماننا ، وهو بذلك يخلط بين العقيدة والسلوك فيحاول ضرب العقيدة من خلال السلوك الخاطيء لبعض المنتسبين للاسلام وهو اسلوب غير منصف كما انه بذلك يهمل اهمية الدين في تنظيم العلاقات الاجتماعية والبناء الروحي والاخلاقي للانسان وهي اهمية كبرى لا يصح غض النظر عنها من قبل اي انسان منصف.

فوضى الوجدان:

وبعد ان وجد احمد القبانجي نفسه محاصراً بقضية مجهولية الوجدان وسرابيته وانه يروّج لتعبير غارق في الوهم ، حاول ان يجد تطبيقاً يستدل به على صحة وجود الوجدان الالهي بعد ان عجز عن الاتيان بدليل يثبت به وجوده بعد ان زعم انه داخل كل انسان وان لكل انسان وجدانه فيكون عالمنا مليء بالالهة التي يتحتم على كل انسان ان يطيع من يخصه منها (وجدانه الاله !) راسماً بذلك اجواء قريبة من اجواء الاساطير اليونانية في محاولة منه لاخراج مفهوم الوجدان الالهي مما يحيطه من وهم حاول ان يأتي بمثال ليستدل من خلاله على تثبيت فكرة الوجدان الالهي دون جدوى ! فقال ان اعلان حقوق الانسان هو نموذج لنتاجات الوجدان الالهي وهي نتاجات مقبولة من جميع الناس والشعوب رغم انها لم تنطلق من الاديان بل من الوجدان ، وهنا يقع احمد القبانجي في اخطاء عديدة ، وتناقضات كبيرة ، فما هو سبب تخلف الوجدان كل تلك القرون الكثيرة من المسيرة البشرية دون ان يتوصل الى اقناع البشر باعلان حقوق الانسان الا بعد آلاف السنين !! كما انه على احمد القبانجي ان يفسر للناس كيف قبل الوجدان الامريكي ان يضرب قنبلتين نوويتين ويبيد آلاف البشر ويشوه آلاف اخرى في نفس فترة اعلان حقوق الانسان !! وعلى احمد القبانجي ان يوضح للناس كيف قبل الوجدان الامريكي ان يسلب ارض ووطن شعب (فلسطين) ويعطيهما لشعب آخر في نفس وقت اصدار اعلان حقوق الانسان !! اي وجدان هذا الذي يتحدث عنه في ظل غياب الضمير العالمي المتفرج على الظلم احياناً والداعم له احياناً اخرى !! ولماذا لا يُخضِع احمد القبانجي الاعلانَ العالمي لحقوق الانسان لقواعد الهرمنيوطيقا لكي يتمكن من فهمه بصورة معاصرة بعيداً عن تعقيدات الماضي وظروف صدوره !

ومن الجدير بالذكر ان طريقة كتابة الاعلان العالمي لحقوق الانسان واللجنة التي انبثقت بعد مقترح الرئيس البنمي ريكاردو الفارو صاحب تقديم مقترح ايجاد لائحة حقوق الانسان والذي قدمه الى الامم المتحدة سنة ١٩٤٥م وانبثقت عنه لجنة متخصصة لدراسته وكتابته ، توضح ان الاساس في كتابته هو اساس فلسفي وليس اساس "وجداني الهي" موهوم كما ظن احمد القبانجي ، حيث انقسمت الآراء حينئذٍ في كتابة الاعلان بين مؤيد لكتابته وفق فلسفة الحقوق الطبيعية وبين مؤيد لكتابته وفق المبادئ الكونفوشية. ومن جهة اخرى نجد ان الاعلان العالمي لحقوق الانسان غفل عن قضايا كثيرة

مما جعل الامم المتحدة تلجأ بعد سنوات كثيرة الى ابرام وثائق حقوقية اخرى مكملة له وهذا يعني انه لو كان اعلان حقوق الانسان مستند الى ركيزة "وجدانية الهية" كما يدعي احمد القبانجي فهو يكشف عن ان "الوجدان الالهي" لا يصلح لأن يكون المستند القانوني لتشريع القوانين بسبب عدم قدرته على ابرام القوانين التامة والكاملة والشاملة مما يضطر الناس لتشريع المزيد من القوانين بعد تفاقم المشكلات نتيجة ضعف الوجدان في تغطية كل احتياجات البشر !!! وايضا هو يكشف عن ان "الوجدان الالهي" المزعوم لا يصلح لأن يكون معيارا للبشر في جميع الازمنة اذ ان لكل زمان "وجدانه الالهي" المزعوم والذي سيتغير بعد فترة من الزمن نتيجة التطور الحاصل ! وبالتالي فما هي الفائدة من الارتكاز الى "الوجدان الالهي" وهو لا يحل المشاكل الانسانية بل يزيدها نتيجة الصراع الذي سيظهر بين القوانين الوجدانية القديمة والحديثة وبين انصار كل فريق منها !! وظهور الحاجة الى قراءة القوانين الوجدانية قراءة وفق علم الهرمنيوطيقا !!

ثم ما هو الحد في التمييز بين القوانين التي توضع بدافع "وجداني الهي" وتلك التي توضع بدافع انتفاعي لصالح ثلة من الناس اذ ان الجميع يمكن ان يزعم وجدانية قوانينه !! وحيث ان احمد القبانجي عجز عن وضع ضابط لتمييز نتاج "الوجدان الالهي" المزعوم عن نتاج هوى النفس ورغباتها فحينئذٍ سوف ينقلب الامر الى صراع ليس له ضابط يحكمه فتسود الفوضى في كافة مفاصل الحياة !

وحينما يزعم احمد القبانجي ان "الوجدان الالهي" مختلف بين الناس قوة وضعفاً فمعنى ذلك انه حينما تكون المباديء العامة لأعلان حقوق الانسان مقبولة بصورة عامة من البشر جميعهم فهو مؤشر على ان مقبوليته تعود لمرتكزات اخرى غير "الوجدان الاله" المزعوم !!

كما ان احمد القبانجي يقول بأن كل انسان يجب ان يعمل بوجدان نفسه وعليه فلا سلطة لوجدان على آخر وسيؤدي سيادة الفكر الوجداني الى انتشار الفوضى بين الناس بسبب غياب مفهوم الوجدان واختلاف الناس فيه واختلاف الناس في مستواهم الوجداني وعدم تمييزهم بين الوجدان ورغبات النفس والاهواء والشهوات ويستند كل ذلك الى غياب مرجعية وجدانية يعود الناس اليها في اختلافاتهم وسينقلب الامر الى فوضى وجدانية يترتب عليها احداث فوضى اخلاقية عارمة !! وهذا يدل على ان الفكر الوجداني هو فكر فوضوي منقلب على الحياة والمدنية.

ويقول احمد القبانجي ان اليابانيين اصبحوا افضل منا لأنهم اعتمدوا على وجدانهم الالهي بينما الوجدان عند المسلمين ضعيف وربما ميت بسبب الشريعة ! وهذا الكلام فيه مغالطات عديدة لأن نظرته الى الواقع انتقائية ومشوشة ، فبماذا اصبح اليابانيون افضل ؟! هل يقصد تقدمهم العلمي فهذا ليس مقياس المفاضلة بين الامم ، وان كان بالتقدم المدني فهو ليس مقياس لصحة العقيدة ، وقد كان زمان فيه الحضارة الاسلامية متقدمة على اوربا وعلى غيرها من الحضارات ، فهل يمكن ان يخبرنا احمد القبانجي اين كان وجدان اليابانيين مختفياً حينذاك ام اين كان مختفياً قبل هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية حيث لم يكونوا معروفين لا بتقدم علمي ولا بتقدم مدني وعمراني ! واين كان مختفياً ايام غزوهم للصين واقترافهم الجرائم التي يندى لها جبين الانسانية من مذابح وقتل جماعي لآلاف الصينيين المدنيين وشنهم الهجمات الجرثومية ضد المدنيين الصينيين المسالمين !!

ونتيجة لتهافت بدعة "الوجدان الاله" وعدم وجود اي ملامح حقيقية ملموسة لها ولا اي دليل او برهان على وجوده بالمفهوم الذي ابتدعه احمد القبانجي نجد انه اخذ يستعير بعض القضايا العقلية وينسبها للوجدان للتغطية على الضعف في فكرة "الوجدان الاله" الخاوية ، فنسب ان قبح الظلم وحسن العدل وقبح الخيانة هي قضايا وجدانية بينما هي في حقيقتها احكام عقلية وقد اخذت هذه القضايا مساحة واسعة في الفكر العقائدي عند المسلمين عبر التاريخ ولحد الآن.

منع احمد القبانجي لحرية العبادة:

وتحدث احمد القبانجي عن المخيلة وقال انها ليست امراً سيئا او مرفوضاً انما هناك قضايا مخيلة مضرة بحسب تعبيره ذكر منها الارهاب وبناء المساجد والحسينيات ويفترض ان الافضل بناء المدارس والمستشفيات !! وكلامه هذا عجيب يكشف عن انتقائية عقيمة حيث ان بناء المساجد والحسينيات يتم عادةً من قبل اشخاص متبرعين باموالهم الخاصة فهي قضية تدخل ضمن الحريات الشخصية ورغم ان احمد القبانجي يزعم انه ليبرالي وان الفكر الليبرالي يدافع عن الحريات الشخصية نجده هنا يتدخل في احد امور القضايا الشخصية وهي حرية تصرف الانسان بماله الخاص فيحاول منع الناس من بناء المساجد والحسينيات باموالهم الخاصة وهذا تناقض خطير. فليس من حق احمد القبانجي

ولا غيره ان يحاسب الناس على بناء المساجد والحسينيات. كما ان ذريعة صرف الاموال على الفقراء والمدارس والمستشفيات ليست مبرراً كافياً للحد من حرية الناس في التصرف بأموالهم مع العلم ان مساعدة الفقراء وبناء المستشفيات هي مسؤولية الدولة بالدرجة الاولى ولا يمكن اجبار شخص على بناء مستشفى مجانية او مساعدة الفقراء !! ومن الملاحظ انه لم يعترض على بناء الكنائس وانما اقتصر فقط على بناء المساجد والحسينيات ! وكلامه هذا يكشف عن نوايا فرض دكتاتورية ليبرالية من نوع جديد !؟

نظرية احمد القبانجي والنظرية الاسلامية:

وحاول احمد القبانجي ان يذكر فكرة ظن انها تدعم موقفه العدائي ضد الاسلام فقال انه يطرح نظرية وعلماء الاسلام يطرحون نظرية فاي النظريتين هي التي تحل اكثر اشكالات هي التي ستكون النظرية المقبولة !! وذكر مثالاً لذلك ان انيشتاين جاء بنظرية حلت الكثير من الاشكالات التي لم تجد قوانين نيوتن لها حلاً !! ومثاله هذا هو ضمن سلسة اخطاء التي يرتكبها نتيجة تدخله في قضايا ليست من اختصاصه وعزوفه عن الرجوع لأهل الاختصاص ليبينوا له حقيقة وقواعد الامور التي يريد تناولها ، وهو يرتكب هذا الخطأ في غالبية القضايا التي يتناولها في التفسير والبلاغة وغيرها ، حيث لا يرجع لفنون التفسير ولا الى المفسرين المختصين بالتفسير ولا الى المختصين بالبلاغة العربية بل يصدر احكاماً من عند نفسه بدون الاستناد الى اسس صحيحة فيرتكب المزيد من الاخطاء بصورة مستمرة.

وفي الحقيقة فان النظريتين النسبيتين الخاصة والعامة لأينشتاين تتناول مواضيع تختلف عن المواضيع التي تناولتها قوانين نيوتن الثلاثة ، ولا يصح القول ان اينشتاين نقض قوانين نيوتن او انه جاء بحلول لقضايا لم تحلها قوانين نيوتن بل علمياً نجد ان نيوتن جاء بقوانين علمية معترف بها لا تقبل الخطأ ولذلك اطلقوا عليها اسم (قانون) بينما اينشتاين جاء بـ (نظرية) صحت جوانب منها وما زالت بعض جوانبها تحت اطار البحث العلمي والاخذ والرد ، ولذلك لم يقل احد من العلماء ان اينشتاين جاء بقوانين.

ومن جهة اخرى فإن اينشتاين ونظريتيه لم تاتيان من فراغ بل هما امتداد لبحوث علمية ونظريات سبقته ، والعلوم تتطور وتنمو بصورة عامودية وليست افقية اي ان كل عالم ياتي بنظرية مستند الى نظريات اخرى سبقتها او قوانين رياضية اكتشفها ووضعها علماء آخرون ، وهكذا تتطور العلوم ونظريتا اينشتاين هما في نفس هذا السياق ولذلك يقول علماء الفيزياء ان اينشتاين استند في نظريتيه النسبيتين الى معادلات لورنتز وهو من علماء الفيزياء المعاصرين له والمتوفى سنة ١٩٢٨م ، (توفي اينشتاين سنة ١٩٥٥م).

نعم ان قوانين نيوتن جاءت بامور محددة ولذلك فهي لم تستطع ان تفسر حركة الاجسام التي تسير بسرع كبيرة لأن هذا ليس المجال الذي تناولته. واينشتاين نفسه لم يقل اني جئتكم بتفسير لكل قوانين الفيزياء ولم يقل انه نقض قوانين نيوتن او وجد حلولاً لمشاكل اوجدتها قوانين نيوتن ! فهو لا يقول مثل هذا الكلام الساذج وغير العلمي ! اذن لقوانين نيوتن مساحتها التي تصلح لها ، ولنظريتا اينشتاين مساحتاهما اللتان تصلحان لها.

اما احمد القبانجي فيزعم نتيجة نظرته المشار المنوه عنها آنفاً غير التخصصية لقضايا الحياة انه جاء بحلول لمشاكل نتجت بسبب الدين الاسلامي الخاتم ! وهو من خلال نظره القاصر يزعم ان ما جاء به من نظرية فوضوية فانه بذلك يقدم حلولاً لمشاكل الحياة اكثر مما يقدمه الاسلام العظيم !! وزعم ان العلم بين ان الجبال ليست اوتاد !! ولا ندري اي علم هذا الذي يتحدث عنه ؟! ما لا يعرفه احمد القبانجي ان العلم الحديث وفي القرن العشرين الميلادي اكتشف ان الجبال لها امتدادات داخل الارض بحوالي ٥و٤ اضعاف طولها فوق سطح الارض ، فهي فعلاً كالاوتاد التي تغرز غالبيتها تحت سطح الارض. ولكن كما هو معتاد نجد ان احمد القبانجي لم يرجع للمصادر العلمية وانما اراد معارضة القرآن الكريم باسلوب الانكار فقط وهو اسلوب غير علمي حيث لا يقيم دليلاً على كلامه انما مجرد الانكار فهو لم يأتِ بدليل على ان العلم توصل الى ان الجبال ليست اوتاد بل فقط انكر ذلك !! وبكل تاكيد هو لا يتمكن من الاتيان بدليل علمي على ادعائاته لأن العلم يناقض افكاره ويتفق مع القرآن الكريم.

ايضاً هو انكر ان تكون هناك سبع سموات متجاهلاً ان العلم الحديث بكل تطوره لم يأتِ باي شيء يمكن ان يعارض فكرة وجود سبع سموات ، كما ان العلوم ما زالت في طور التطور والاكتشاف ولا

يمكن الجزم بانه لن يظهر اكتشاف يؤيد وجود سبع سموات. اذن من المجازفة انكار وجود سبع سموات بدون دليل لأن هذا الاسلوب يكشف عن ذهنية مرتبكة وبعيدة عن الاستدلالات المنطقية والعقلية والعلمية.

شبهات احمد القبانجي حول العذاب الجماعي:

وتطرق احمد القبانجي لعذاب قوم النبي صالح (عليه السلام) بعدما عقروا الناقة وقال انه من الظلم ابادة النساء والاطفال بهذه الطريقة !! ويبدو ان احمد القبانجي لم يكون فكرة صحيحة عن هذه الحادثة ومجرياتها ! حيث قال تعالى في سورة الاسراء: ((وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً)) ، حيث ارسل الله سبحانه نبيه صالح (عليه السلام) الى قبيلته ثمود لينذرهم فكذّبَ قومُه وطلبوا منه آية ، قال تعالى في سورة الشعراء: ((مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ، وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ)). فخلق الله سبحانه الناقة بصورة اعجازية اذعن لها قوم صالح كلهم ، وفرض الله سبحانه عليهم ان لها يوم ولهم يوم في الحصول على الماء من مصدره ، وامرهم ان يتركوها تاكل من البراري وان لا يمسوها بسوء ، قال تعالى في سورة الاعراف: ((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) ، فأبلغهم الله سبحانه من خلال نبيه الكريم (عليه السلام) بأن مس الناقة بسوء سيجلب عليهم العذاب الاليم ، ورغم الاعجاز في خلق الناقة ويقينهم انها آية من آيات الله عزَّوجل ومع ذلك فقد تجرأوا على الله سبحانه فأنكروا نعمته وعقروا الناقة ، فجحدوا نعمة الله سبحانه التي انعمها عليهم والتي بينها بقوله تعالى في سورة الشعراء: ((أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ، وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ)) ، ومع ذلك لم يكن كل قوم النبي صالح (عليه السلام) كافرين وجاحدين بل كان منهم المؤمنين ، يتبين ذلك من قوله تعالى في سورة الاعراف : ((قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ)) ، وقوله تعالى في سورة هود: ((فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ ، وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) ، فالآيات الكريمة تبين وجود مؤمنين مع النبي صالح (عليه السلام) لم يمسهم العذاب ، بل ان الآية الكريمة المذكورة في سورة هود تؤكد ان العذاب مس الذين ظلموا ولم تذكر انه عذاب جماعي لجميع قوم النبي صالح (عليه السلام) فقال تعالى: ((وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)).

اذن يتبين من كل ما سبق الملحوظات التالية بخصوص قصة النبي صالح عليه السلام:

. القرآن الكريم يبين ان العذاب نال الظالمين من قوم النبي صالح عليه السلام

. لو فرضنا ان العذاب نال الظالمين وعوائلهم من اطفال ونساء فذلك نظير ان يقبض الله سبحانه ارواح الناس ، فالله سبحانه لم يعطِ ضماناً لأحد انه لن يميته طفلاً او لن يميت النساء بل كل من عليها فان فالانسان يمكن ان يموت في اي لحظة سواء الرجل او المراة او الشيخ او الطفل ، الكل خاضع لقانون واحد ، ولا فرق في ذلك بين ان يكون موتهم فردياً او جماعياً ، بسبب جسدي كالمرض او حواث او نتيجة كوارث طبيعية او عذاب الهي. فلا يوجد مانع عقلي من ان يموت مجموعة من الاطفال بصورة جماعية او اطفال ونساء مجتمعين ، فما وجه الغرابة في ذلك والحوادث تحصل في اغلب الايام بذلك وفيها حوادث موت جماعي. فإنْ قال قائل وما ذنبهم وهم لم يرتكبوا جريرة فنقول لهم ان الموضوع ليس موضوع ذنب او جريرة بل هم في حالتهم هذه خاضعون لسنة كونية وهي الموت فجأة لأي سبب خارجي ، لأن نفس السؤال يتوجه لحوادث الموت الجماعي مثل حوادث السيارات او القطارات او الزلازل والبراكين. فلا ظلم في ذلك لأن الله سبحانه لم يعد احد من البشر ضامناً له ان ابنه لن يموت الا بعد عمر معين.

وبما ان احمد القبانجي يزعم انه ياتي بنظرية في مقابل النظرية الاسلامية ، وان الناس سيرون اي النظريتين تحل مشاكل اكثر نظريته ام النظرية الاسلامية ، نجد ان النظرية الاسلامية معروفة في مبانيها ومعطياتها ، فعقائد الاسلام مبنية على الادلة العقلية والنقلية الصحيحة ، والفقه الاسلامي ينظر الى كل جوانب الحياة وينظمها ، والاخلاق الاسلامية تبني الفرد والمجتمع وتنظم العلاقة بين

الانسان واخيه الانسان وبين الانسان ومجتمعه كما انها تنمي العلاقة بين الانسان وخالقه على نحو صحيح ، فالاخلاق الاسلامية تنشر الفضيلة والحب بين الناس ، فالاسلام دين لكل الحياة فهو يبنيها على اساس توحيدي صحيح.

سمات افكار احمد القبانجي:

اما الافكار التي جاء بها احمد القبانجي فابرز سماتها:

١. أنها أفكارغير واضحة المفاهيم ، فهو اتى بمفهوم غريب لد "وجدان الاله" لم يعرفه المسلمون ، وجعله معصوماً ومنتجاً للقرآن وله قدرة على الايحاء للانسان ولا يمكن للانسان ان يفهمه بصورة تامة دائماً !! فلم يوضح فائدة وجود "الوجدان الاله" المنقطع عن الاتصال بالانسان !!
٢. أنها أفكار بعيدة عن البديهية ومخالفة له ، حيث انه يزعم بديهية معرفة الناس لد "وجدان الاله" !؟
٣. أنها أفكار لا تجد لها قبول من الناحية العلمية.
٤. أنها أفكار لا تجد لها قبول من الناحية المنطقية.
٥. أنها أفكار خالية من اي اسس عقائدية او عبادية.
٦. أنها أفكار خالية من الاسس الاخلاقية.
٧. أنها أفكار تعتمد الفوضوية بين الناس فعلى كل انسان ان يعمل بوجدانه الشخصي. ونحن نعرف ان ضمائر الناس مختلفة كما بينا آنفاً مما يعني ان اسس حياتهم ستعمها الفوضى.
٨. أنها أفكار تهيء لدكتاتورية "العرفانيين الجدد" ن حيث يسمي نفسه بانه يؤسس لعرفانية جديدة ، ويزعم ان يسمع صوت الله في داخله افضل من الاخرين ، وبالتالي سيفرض على الناس وجدانه اذا سادت الناس فوضى العمل بالوجدانات الشخصية. وقد برز ذلك جلياً حينما ذكر منعه للناس من بناء المساجد والحسينيات والتي ذكرناها آنفاً ، فهو يحاول فرض رؤيته ووجدانه المزعوم على الناس لدرجة ان يسلبهم حرياتهم الشخصية التي تتشدق الليبرالية بالمحافظة عليها ! ونموذج آخر من نماذج تدخله بالحريات الشخصية هو منعه وجود المدارس غير المختلطة فهو يريد ان يتربى الاناث والذكور سوية في المدارس بمختلف فئاتهم العمرية !! وايضاً هو يمنع تدريس الدين في المدارس ، مع ان منع الاختلاط في المدارس بين الاناث والذكور هو بالاضافة الى ايجابياته التي اثبتت الدراسات الاجتماعية

والنفسية الحديثة صحتها فهو قضية شخصية تتعلق بولي الامر ، وحتى قوانين حقوق الانسان العالمية اعطت للاب الحق في تربية ابنه في المدرسة التي يرى انها تلبي التربية الدينية وفقاً لقناعة آبائهم حيث تنص المادة (١٣-٣) من (العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) لذي تم توقيعه سنة ١٩٦٦م على التالي: (تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد باحترام حرية الأباء أو الأوصياء عند وجودهم، في اختيار مدارس لأولادهم غير المدارس الحكومية شريطة تقيد المدارس المختارة بمعايير التعليم الدنيا التي قد تفرضها أو تقرها الدولة وبتامين تربية أولئك الأولاد دينيا وخلقيا وفقا لقناعاتهم الخاصة). والمادة (٥- ١ – ب) من (الاتفاقية الخاصة بمكافحة التمييز في مجال التعليم) والمعتمدة سنة ١٩٦٠م تنص على : (من الضروري احترام حرية آباء التلاميذ أو أولياء أمورهم الشرعيين، أولا، في أن يختاروا لأبنائهم أية مؤسسات تعليمية غير تلك التي تقيمها السلطات العامة بشرط أن تفي تلك المؤسسات بالحد الأدنى من المستويات التعليمية التي تقررها أو تقرها السلطات المختصة، وثانيا في أن يكفلوا لأبنائهم، بطريقة تتفق والإجراءات المتبعة في الدولة لتطبيق تشريعاتها، التعليم الديني والأخلاقي وفقا لمعتقداتهم الخاصة. ولا يجوز إجبار أي شخص أو مجموعة من الأشخاص علي تلقي تعليم ديني لا يتفق ومعتقداتهم). بينما احمد القبانجي الذي يزعم ان قوانين حقوق الانسان هي قوانين وجدانية الا انه يخالفها كما بينا آنفاً رغم انه يزعم رفع شعار الوجدان !! وهذا ليس تناقضه الوحيد.

٩. أنه يؤسس لنقض مفهوم خاتمية النبوة والرسالة ، وبالتالي يمكن ان يظهر انبياء ورسل كذابون كثيرون كل يدعي انه يعمل بوجدانه الالهي ويؤسس له الاتباع وينشر الفوضى والاختلاف والبلبلة والفتنة بين الناس.

١٠. تقول مجمل فكرة "الوجدان الاله" ان الله سبحانه خلق الخلق ثم تركهم عبثا بدون ان يرسل لهم الانبياء ، بل هم يتصلون بالله تعالى عن طريق "الوجدان الاله" الموجود داخلهم رغم انهم لا يفهمونه بصورة صحيحة دائماً !!

١١. إنَّ أفكاره تنكر المعاد والحساب في اليوم الاخر وعلى ذلك فهي تشجع على الجريمة لأن الانسان الذي يقترف جريمة ويتمكن من الافلات من عقوبة القوانين الدنيوية فلن يحاسبه احد وسيفلت بفعلته تلك. فهي تشجع على الجريمة المبنية القائمة على الامل في الافلات من العقاب وهو حال جميع

المجرمين عادةً !!وليست تغري على الجريمة فحسب بل تغري على الفساد الاخلاقي وشرب الخمر والزنى وادمان المخدرات والانتحار وامتهان الدعارة وزنى المحارم والسكن بلا زواج والشذوذ والتفكك العائلي والاجتماعي والتجارة بالرقيق الابيض ، فحيث لا حساب اخروي يصبح كل شيء مباحاً وممكناً !!!

١٢. إنَّ أفكاره تتضمن التمييز ضد فئة من المجتمع مع ان التمييز مرفوض وفق قوانين حقوق الانسان العالمية التي يزعم "وجدانيتها الالهية" ويزعم انه ينطلق من منطلقات "وجدانية الهية" ! فهو يستعمل التمييز ضد رجال الدين ويطالب بمنعهم من الدخول في البرلمانات والمؤسسات الحكومية والتنفيذية والقضائية ، مع انهم وفق ابسط وصف مواطنون لهم حق المساواة مع بقية المواطنين بالترشيح والانتخاب ! ونستغرب ان يروج احمد القبانجي لمنع رجال الدين من دخول البرلمان والترشح له رغم العلاقة الوثيقة التي تربطه بالسياسي العراقي اياد جمال الدين وهو مثله يرتدي زي رجال الدين وكانت له علاقات سابقة بالحوزات الدينية في النجف الاشرف وقم المقدسة !! وهما يعملان سوية على تأسيس تيار ليبرالي في العراق على حساب القيم والاخلاق الاصيلة المحافظة ! ومع ذلك نجد احمد القبانجي يحاول منع رجال الدين من الترشيح للبرلمان وانتخابه من قبل الناس وهو ما يفشل كل مساعي ومخططات زميله اياد جمال الدين !!

الم نقل انه فكر مضطرب ومتناقض في العديد من مفاصل اطروحته وافكاره الموهومة !؟

اعتراف احمد القبانجي بلا منطقية فكره:

اخيراً يعترف احمد القبانجي صراحةً وعلى الملأ انه ليس هناك اثبات منطقي لنظريته !! حيث قال ان نظريته وبقية النظريات لا يمكن اثباتها بالدليل المنطقي !! اذن هو يعترف ان نظريته لا يمكن اثباتها بالمنطق وهذا يفسر لماذا كان يتهرب دائما حينما نطلب منه ان يبين لنا دليله على وجود الوجدان ودليله على ارتباطه بالله سبحانه ودليله على ان الوجدان هو اله داخل الانسان ، كان يتهرب من كل ذلك وقد اتضح الان باعترافه ان نظريته الوجدانية لا يمكن اثباتها بالمنطق وهذا يعني انها نظرية غير عقلائية ، ومع ذلك يروج لنظريته غير المنطقية ويطلب من الناس الايمان بها !! فما اشد ما يذكرني

موقفه هذا بموقف ابليس يوم القيامة الذي يحكيه لنا القرآن الكريم بقوله تعالى: ((وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) ، نعم احمد القبانجي ليس له سلطان ولا دليل وهو نفسه يعترف الان في الدنيا بان نظريته ليس لها اثبات منطقي فما حاله يوم القيامة الا ما يماثل ما ذكرناه في الآية المباركة !

شبهة احمد القبانجي حول سورة المسد والاعجاز الغيبي:

وفي معرض مداخلة من احد الحضور حول الاعجاز الغيبي للقرآن الكريم ذكر ذلك الشخص ان من وجوه الاعجاز الغيبي للقرآن الكريم هو سورة المسد حينما اخبرت هذه السورة المباركة ان ابا لهب سيموت كافراً وسيعذب في جهنم في وقت كان يمكن بكل سهولة لأبي لهب ان يتظاهر بالاسلام ليبطل القرآن ويحاول زعزعة عقيدة المسلمين فيقول لهم هذا القرآن قال اني اموت كافراً وقد اسلمت... ، ولكن هذا لم يحصل لأن ما يقوله القرآن حق ويقيني التحقق وهو وجه من وجوه الاعجاز الغيبي له ، ولأن احمد القبانجي ينكر ويجحد اي وجه اعجازي للقرآن الكريم ، يجحده تعنتاً وبلا دليل فقد رد على هذه الحقيقة فانكر ان تكون سورة المسد نزلت في حياة ابي لهب وقال ان كلام المفسرين ليس بحجة لأنهم كتبوا تفاسيرهم بعد قرن او قرنين من نزول القرآن !! وهذا المسكين لا يعلم ان المسلمين متفقون على ان سورة المسد مكية لأنهم يعرفون انها نزلت في مكة قبل الهجرة وتوارثوا هذه المعلومات جيلا بعد آخر منذ بداية الاسلام وحتى الان ، عرفوا هذه الحقيقة ورووها قبل ان يكتب المفسرون تفاسيرهم ، توارثوها لأنها حقيقة ، اي انها فعلاً نزلت في مكة المكرمة قبل الهجرة وهم يعرفون ذلك جيداً.

حسنا لو افترضنا جدلاً ، وجدلاً فقط ، ان سورة المسد مدنية ، فهلا اخبرنا احمد القبانجي لماذا تتحدث السورة عن ابي لهب مع ان دوره قد ضعف في معارضة الاسلام بعد الهجرة المباركة ، وهو حتى لم يشارك في معركة بدر بل توفي بعدها. ولماذا لم تنزل السورة في مكة ايام ذروة عداء ومقاومة

ابي لهب للاسلام ! لماذا تاخر نزولها كل تلك السنين لتنزل في وقت لم يكن لأبي لهب شأن يذكر سواء تبت يداه ام لم تتب !!؟ ألا تثير نظرية احمد القبانجي هذه اشكالات عديدة تخلو منها النظرية الاسلامية التي تثبت حقيقة نزولها قبل الهجرة.

بل لو كانت سورة المسد مدنية لظهرت اشكالات غير موجودة حالياً مثل التساؤل حول سبب النزول المفترض لهذه السورة في المدينة بعد ان ضعف دور ابي لهب في معاداة الاسلام ولم تنزل ايام قوة الدور المذكور في مكة وما هي فائدة ان تنزل سورة لتقول ان ابا لهب الكافر في النار لأننا نعرف ان جميع الكفار في النار ! اذن كل هذه الاشكالات بعيدة عن الواقع لأن سورة المسد مكية وفيها دليل اكيد على وجود الاعجاز الغيبي في القرآن الكريم.

اذن وبحسب مبدأ احمد القبانجي الذي ذكره في هذه المحاضرة وغيرها بقوله ان الناس سيختارون الاخذ بالنظرية التي تمتلك اقل اشكالات واكثر حلولاً ، اذن الناس يجب ان ياخذوا هنا بالنظرية الاسلامية لانها لا تثير اشكالات بخلاف نظرية احمد القبانجي التي تثير اشكالات ومواقف بعيدة عن المنطق !؟

وحاول احمد القبانجي ان يجد مبرراً لفكرة تنبوء القرآن بمصير ابي لهب وموته كافراً بعد ان رأى ان القول بمدنية سورة المسد لا يمكن قبوله تأريخياً ، فقال: (والانسان يعلم ان هتلر وصدام وستالين في جهنم لأنهم تمحضوا في الشر فنحن نفهم ذلك فكيف النبي لا يفهم ان هذا الانسان تمحض في الشر وانطفا نور الوجدان في قلبه فلا يهتدي ابداً) ، وكلامه هذا بعيد عن الصواب من جهتين ، الاولى ان احمد القبانجي يتصور انه لمجرد تمحض ابا لهب بالشر فهذا يعني امكانية ان نجزم بموته كافراً متناسياً انه في ذلك العصر وجدنا العديد من المتمحضين في الشر قد اسلموا ونزعوا قيود الشر من اعناقهم وتغيرت حياتهم سواء كان تغيرهم ظاهرياً كابي سفيان او حقيقياً كغيره من بعض الصحابة ، فذاك هو زمان النبوة ومعجزاته الخالدة التي اذعنت لها عقول الناس وغيرت حياة العديد من الاشرار ، فهذا عبد الله بن الزبعري الشاعر الذي كان يهجو النبي (صلى الله عليه وآله) اشد الهجو وقد تمحض في الشر هو الاخر حتى انه وصف شره وضراوة مخاصمته للاسلام بقوله مخاطباً النبي (صلى الله عليه وآله) – كما في سبل الهدى والرشاد للصالح الشامي ص٢٥١- : (لقد عاديتك واجلبت عليك

وركبت الفرس والبعير ومشيت على قدمي في عداوتك ، ثم هربت منك الى نجران وانا اريد ان لا أقر بالاسلام أبداً ، ثم ازادني الله منه بخير والقاه في قلبي وحببه الي).

وبمراجعة قصة اسلام عمر بن الخطاب وما يروى من ان النبي (صلى الله عليه وآله) دعا الله سبحانه ان يهدي احد العمرين اما عمر بن الخطاب او عمرو بن هشام (ابو جهل) نستدل على انه في ذلك العصر كان من المعتاد ان يسلم العديد من المتمحضين بالشر ولذلك نجد ان ابا جهل كان يمكن ان يكون مسلماً ولا يمكن ان يقول احد حينذاك ان فلاناً قد تمحض في الشر فلا نرجو اسلامه بدليل ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يرجو اسلام عتاة المشركين ويدعوهم للاسلام ودعوته التي شملت ابي جهل مثال واضح على ذلك. فتسقط نظرية التمحض في الشر التي ذكرها احمد القبانجي والتي مثل لها بهتلر وستالين وصدام. فليس زمانهم مثل زمان النبوة ونورها ومعجزاتها الظاهرة.

والجهة الثانية نجد ان موقف ابي لهب يختلف عن موقف هتلر وستالين وصدام اللعين ، ولو تعرض هؤلاء لمواقف يجدون فيها مصلحتهم في اظهار غير ما يضمرون من شر مطبق في داخل نفوسهم لفعلوا ذلك بلا تردد ، فلسنا نتحدث عن تمحض بالشر بل نتحدث عن خداع جبابرة الكفار للآخرين والتظاهر لهم بمظهر يختلف عن حقيقته مثل امكانية ان يتظاهر ابي لهب بالاسلام لضرب القرآن والعقيدة الاسلامية مع استمرار محض الشر في داخله بل ان تمحض الشر هو من يدفعه لأعتناق الاسلام ، وهذا ما حدث مع ابي سفيان الذي تمحض في الشر هو الاخر ولكنه اعلن اسلامه مخادعة ، وكذلك نجد ان طاغية العراق قد تلبس بالدين واطلق ما اسماه بالحملة الايمانية في التسعينيات الماضية حينما وجد ان مصلحته ومصلحة بقاء واستمرار نظامه هو في التظاهر بالتدين ، مع استمراره في نفس نهجه الدموي وتمحضه في الشر.

اذن لم يكن موت ابي لهب على الكفر يقينياً لولا ان القرآن الكريم قد اخبر به. ومعلوم ان سورة المسد لم تتحدث عن ابي لهب وحده بل تحدثت عنه وعن زوجته ام جميل حمالة الحطب وقد مات كلاهما كافران فعلاً.

وليست قصة موتهما (ابي لهب وزوجته حمالة الحطب) كافرين هو الاعجاز الغيبي الوحيد في القرآن الكريم والمتحقق واقعاً في الدنيا ، بل إنَّ هناك معجزات غيبية عديدة مثل اخباره عن انتصار الروم

على الفرس في بضع سنين اي بين الثلاث والتسع. والمعجزة القرآنية العظيمة التي أكدت على ان القرآن الكريم لن يقع فيه تحريف او تغيير وانه كتاب محفوظ. ورغم محاولات اعداء الاسلام محو القرآن وطمسه او طمس معالم بعض آياته الكريمة او تبديلها فان محاولاتهم جميعاً باءت بالفشل.

القرآن فريد في نظمه وحفظه:

فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد في العالم الذي تحدى الجميع بأن يأتوا بمثله ولم يتمكنوا من ذلك ، وهو الكتاب الوحيد الذي قال عن نفسه انه من عند الله سبحانه وان الله يحفظه من التبديل والتغيير ، وقد حدث ذلك فعلاً منذ ١٤٠٠ سنة ولحد الان فهو محفوظ من التغيير والتبديل والضياع ، والذي لم يتمكن احد من فعله طيلة تلك القرون ولحد الان لن يتمكنوا من فعله الى الابد.

شبهات احمد القبانجي حول الابادة الجماعية وصفات الله سبحانه:

ثم عاد احمد القبانجي للتحدث عن مقارنة نظريته مع الـ "نظرية الاسلامية" على حد تعبيره وقال ان نظريته تتجاوز نظريات علماء الاسلام التي تقول ان الله عنده عرش ويد وعذب الرجال والنساء !! وقد تطرقنا في الحلقة السابقة الى اشكالية الموت الجماعي للنساء والاطفال والتي يسميها احمد القبانجي خطأً بالتعذيب ! وبينا انه امر مقبول من الناحية العقلية. ومن خلال مراجعة احصائيات الوفيات العالمية وجدنا انه خلال ثلاثة اشهر فقط ماضية من هذا العام (٢٠١١م) كان عدد الوفيات اكثر من خمسة عشر مليون انسان باسباب متعددة (صحية وحوادث) ، وأيضاً وجدنا ان اكثر من مليون انسان ماتوا خلال الشهور الثلاثة الماضية . منذ بداية السنة . بسبب الامراض المنتقلة من خلال الماء على سبيل المثال ! تصوروا هذا العدد الكبير من البشر يموتون بصورة طبيعية كأن تكون ازمات صحية او حوادث وغيرها. وسواء كان هذا العدد متفرقاً في جميع بقاع الارض كما هي حقيقته او في مكان واحد كالاوبئة مثلاً كما يمكن ان نفترض في حالات مشابهة لحالات الابادة الجماعية التي تكون انتقاماً من الله سبحانه للظالمين ، فالنتيجة واحدة وهي ان الوفيات الجماعية لا تتعارض مع مفهوم عدالة الله سبحانه.

اما اعتراض احمد القبانجي على وجود العرش فمبني على رفضه للتاويل حيث ذكر علماء المسلمين ومفسروهم استناداً الى ادلة معتبرة عندهم للعرش معاني عديدة كالعلم وغيرها ، لكن احمد القبانجي يرفض التأويل ويريد ان يفهم آيات القرآن وفق نظرية غربية اسمها (الهرمنيوطيقا) وهي نظرية لعلها تصلح لفهم بعض النصوص البشرية اما النصوص الالهية فلا تصلح للتطبيق عليها ، وهذه النظرية في فهم النصوص مبنية على الفهم المجرد للفظ بدون تاويله ووفقاً لفهم وذوق وثقافة من يقوم بعملية الفهم ، وهو امر متفاوت من شخص الى آخر ! وبالتالي سيظهر لنا لكل نص عدة تفسيرات هرمنيوطيقية تبعاً لتعدد ذهنيات واذواق وثقافة من يقومون بعملية الفهم المذكورة. علماً ان هذه النظرية لا تصلح لفهم آيات القرآن الكريم ، فالتاويل حقيقة اكيدة في القرآن الكريم ، وبعض آيات القرآن الكريم لا يمكن فهمها بدون تأويل اللفظ واعطائه معنى آخر غير ما يحمله من لفظ ، فمثلاً قوله تعالى في سورة الاسراء الآية ٦٧: ((وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراًإِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراًً إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً)) ، هذه الآية المباركة لا يمكن تفسيرها وفهمها بدون تاويل لفظ ضلّ الى معنى التغييب والاخفاء ، ولا يمكن فهمها وفق منهج الهرمنيوطيقا !؟ وليست هي الآية الوحيدة التي لا يمكن فهمها بدون تاويلها. اذن وجود العرش وتاويل معناه هو امر مقبول في الفكر الاسلامي وفي الفكر الانساني.

ايضاً نجد ان الهرمنيوطيقا لا تصلح لفهم بعض النصوص البشرية ايضاً مثل قول الشاعر:

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

لأنه حسب هذه النظرية فان فهم احمد القبانجي لهذا الشعر سيحتم عليه ان يقول ان الشاعر يتغزل ببقرة كانت تعبر جسراً في بغداد !! لأنه يرفض التأويل ويريد الفهم وفق معنى اللفظ فقط !!

واضاف احمد القبانجي ان "الاله المطلق" غير متكلم اساساً !؟ واما صفات السميع والبصير كما في القرآن الكريم فيعترض احمد القبانجي عليها ويقول انها صفات انسانية وليست صفات الله !! فمن المؤكد ان الله سبحانه ليس بمتكلم اذا كان يقصد بالتكلم وجود اداة او آلة للتكلم كما في الانسان ،

بل إنَّ عقيدتنا تقول ان الله سبحانه يخلق الكلام فهو متكلم بمعنى قدرته على ايجاد الكلام ، وهو متكلم بذاته وليس بامر خارج عنها.

اما بقية الصفات كالسميع والبصير التي زعم انها صفات انسانية فليس الامر كما توهم انما هي صفات يعرفها الانسان ويفهمها ويعرف معانيها ولكي يعرف الله سبحانه فلا بد ان يصفه بصفات يعرفها الذهن البشري وهذه القضية طبيعية ، ولكن المسلم حينما يستعمل صفة ما لوصف الله سبحانه فإنه يعطيها ابعاداً جديدة وهذا ما لم يلتفت اليه احمد القبانجي ، فحينما نقول ان الله سبحانه سميع فانما نقول انه سميع بذاته وليس بامر خارج عنها كما انه سميع منذ الازل بدون حاجة لوجود مخلوقات فهو سميع قبل الخلق وبعده. وكذلك فهو عليم بذاته وهو عليم قبل وجود الموجودات وليس كالانسان الذي لا يعلم الشيء الا بعد وجوده. كما ان الانسان لا يبصر الشيء الا بعد انعكاس الضوء عليه بينما الله سبحانه بصير منذ الازل وقبل ان يخلق الكون وقبل ان يخلق اي شيء. فلو كان القرآن صادراً عن ضمير الانسان او عن افكار انسانية لأعطى للصفات التي يصف بها الله سبحانه ابعاداً انسانية ولكن هذا لم يحصل بل ما حصل ان صفات الله سبحانه ذات ابعاد إلاهية رغم اشتراكها اللفظي مع صفات يوصف بها الانسان احياناً.

ومن المعلوم أنَّ هناك صفات لا يصح وصف احد بها الا الله سبحانه ، مثل صفة الرحمن ، فلا يقال لشخص مثلاً كن رحمن او انت رحمن بل يقال كن رحيم او انت رحيم ، لأن صفة (الرحمن) مختصة به سبحانه وهي بمعنى انه لا تنفك عنه الرحمة.

اذن لا بد للانسان من ان يستعمل كلمات مفهومة لذهنه لكي يتمكن من تداول المعارف !! وفي هذا الصدد يقول السيد عبد الله شبّر في كتابه (حق اليقين) في الفصل الثالث عن بيانه للصفات الثبوتية نقلا عن الشهيد الثاني (رحمه الله): (وعلى هذا فيمكن ان يقال يكفي في معرفة الله تعالى اعتقاد وجوب وجوده وقدرته وعلمه ، بل اعتقاد وجوب وجوده وبالجملة فالحق ان صفاته تعالى اعتبارات نحدثها عند عقولنا عند مقايسة ذاته تعالى الى غيرها ، ونظراً الى آثاره الصادرة عنه تعالى انه لما اوجد مقدوراً صادراً عنه تعالى اعتبر له قدرة كما في الشاهد ، وهكذا حيث وجد هناك معلوماً اعتبر له علم إلى غير ذلك وإلا فذاته المقدسة لا صفة لها زائدة عليها وإلا لزم كونها محلاً لغيره إنْ قامت به ، وقيام صفته بغيره إن لم تقم به ، وكلاهما بديهي البطلان وعدم قيامها بشيء بل بنفسها أظهر بطلاناً ،

فالكل راجع الى كمال الذات المقدسة وغنائها ، لكن لما كانت عقول الخلق متفاوتة في الاستعداد حتى إنه تدرك كثرة عصمة من اطلعت على كثرة صفاته الجميلة كما هو الواقع في الشاهد لوحظت هذه الصفات والاعتبارات ليتوصل بها الخلق الى معرفة خالقهم على حسب استعدادهم ، ثم إنه قد ينكشف عليهم بسببها أنوار كبريائه عند الاحاطة بحقائقها وأنها ليست إلا اعتبارات فلا يجدون في الوجود إلا ذاتاً واحدة واجبة مقدسة كما اشار اليه امير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: (وتمام توحيده نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وبشهادة كل موصوف انه غير الصفة) وحينئذٍ فلا حرج في اختلاف العبارات في تعداد هذه الصفات فإن الغرض منها تقريب معرفة الواحد إلى افهام التوحيد).

اذن هي صفات ذات ابعاد الاهية تليق بكمال الله وجلاله وتفرده ، وقد تعارف الحكماء والفلاسفة والعقلاء على وصف الله تعالى بصفات تليق بمجده وعظمته. بينما نجد ان احمد القبانجي يخالفهم ولكنه نفسه قال في كلام له ان العرفان يسمون "الله المطلق" على حد تعبيره بأسم "هو" مع اننا نعلم ان (هو) ضمير يعود على العاقل ويستعمله البشر للاشارة لبعضهم البعض على نحو التحدث عن الغائب ، بينما الله سبحانه حاضر في كل مكان !! اذن العرفاء عندما استعملوا هذا الضمير فقد العطوه ابعاداً جديدة غير بشرية.

اما احمد القبانجي فماذا فعل حينما اراد ان يصف الله سبحانه ؟! لقد تناقض في وصفه مع اعتراضه فاستعمل تعبير "الله المطلق" لوصف الله عزَّ وجل ، وهذا التعبير غامض ولا يلبي الحاجة لمعرفة الله تعالى بصورة مباشرة ، لأننا سنتسائل ما معنى كونه "مطلق" ؟ مطلق باي شيء ؟ فلن تكون امامه اجابة سوى انه مطلق في قدرته وعلمه ومغفرته وحلمه ورحمته ! اذن عاد احمد القبانجي الى استعمال الصفات البشرية التي اعترض عليها فوصف الله سبحانه بصورة غير مباشرة بانه قدير وعليم وغفور وحليم !!

ان محاضرة (نقد الاعجاز القرآني) تكشف بوضوح تهافت افكار احمد القبانجي وضعفها وانها لا تصمد امام النقد. واعجب ما في المحاضرة ما ذكرناه ان احمد القبانجي نفسه يقول ان نظريته التي يروّج لها لا يمكن اثباتها بصورة منطقية !!

نقد شبه إقدام النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) على ذبح أبنه

بث احمد القبانجي شبهاته حول قصة اقدام النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) على ذبح ابنه النبي اسماعيل (عليه السلام) امتثالاً لأمر الله سبحانه. فوقع احمد القبانجي في هفوات فكرية خطيرة في اتجاهين ، الاول انه يريد من البشر ان يقيّموا تصرفات الاله وفق رؤيتهم وافكارهم البشرية ! فما لا يتوافق مع تفكيرهم البشري المحدود يعتبرونه خطأ او لم يصدر عن الذات المقدسة !! والثاني ان احمد القبانجي اقترف نفس ما اتهم المسلمين به - وان كان اتهامه باطلاً - فوقع في تناقض واضح ، فهو في محاضرات سابقة يتهم المسلمين بانهم يرون الاله من خلال رؤيتهم البشرية فيضفون عليه صفات انسانية كالسميع والبصير وغيرها من الصفات ، فيما نجده هنا ايضا يقيم اوامر الاله من منطلق بشري فيقول هذا لا يجوز وذاك يجوز من منطلق فكره البشري المحدود!!

فنجد احمد القبانجي هنا لا يفرق بين الاوامر الحقيقية والاوامر الامتحانية والتي يصدر جميعها عن رب العزة تعالى عما يصفون ، فيظن ان الامر الامتحاني بذبح الصغير. احمد القبانجي يسميه طفل خطأ فيما كان اسماعيل عليه السلام في مرحلة الفتوة تقريبا حيث تصفه الاية الكريمة بانه بلغ السعي ، قال تعالى: ((فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)) . ظن احمد القبانجي ان الامر الامتحاني بذبحه غير جائز لانه يتعارض مع العدل الالهي ، وهذا وهم وعدم تدبر منه ، ولم ينتبه الى ان الله سبحانه منع وقوع الذبح المذكور بعد اتضاح الخضوع الدائم للنبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) وتسليمه التام لله عز وجل. ويحاول احمد القبانجي التقليل من اهمية كون الامر الالهي امتحاني وليس حقيقي بزعمه ان ابراهيم الخليل (عليه السلام) لم يكن يعلم ان الامر امتحاني وكان يظنه حقيقياً ! وقد فاته ان النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) كان يعلم ان جميع الاوامر الالهية سواء كانت حقيقية ام امتحانية هي اوامر حكيمة وعادلة وبالتالي لا يفرق له طبيعة الامر الالهي ما دام يعرف ان تكليفه هو الامثال له باي حال من الاحوال. ان من اصدر امر الذبح هو الله العظيم خالق الكون ولا اله سواه ، الاله العادل الحكيم ، وحقيقة هذه الالوهية الحكيمة والعادلة منكشفة تماماً امام انظار النبي ابراهيم (عليه السلام).

اما احمد القبانجي فينظر للامور من مقاييس بشرية صرفة فيظن ان الاله امر بقتل بريء ولا يجوز ذلك متناولا الموضوع بطريقة سطحية وساذجة لا يجرؤ على الانحدار اليها لتهافتها حتى خصوم الاسلام من بقية الاديان والملحدين. وكأن احمد القبانجي ينظر للاله ويتصوره كالالهة اليونانية التي كانت بحسب معتقداتهم تخطيء وتتزوج وتتجسد .... الخ!!

ومن جديد نجد احمد القبانجي يمارس المغالطات والتمويه ويقحم الالسنيات والهيرمنيوطيقا في الموضوع ويزعم انها تدل على ان اسطورة الذبيح مجرد اسطورة ادخلها الاسلام في ادبياته للعبرة وانها ليست واقعة تاريخية ! مع ان زعمه هذا لا علاقة له بالالسنيات والهيرمنيوطيقا وليت احمد القبانجي يحاول خداعنا مرة اخرى ليبين لنا كيف وظّف الالسنيات والهيرمنيوطيقا في مزاعمه هذه!!!

ويتمادى احمد القبانجي في تفسيراته فيروج الى ان الامر بذبح اسماعيل عليه السلام مجرد نوازع نفسية رآها ابراهيم عليه السلام في منام واراد ان يطبقها حقيقة !!!! تصوروا ان احمد القبانجي يتهم النبي العظيم ابراهيم الخليل (عليه السلام) بانه يريد ذبح ابنه لمجرد منام ليس لها تفسير حقيقي اي ما يسمى (اضغاث احلام) !! ثم بعد ذلك واثناء توجهه لمكان الذبح رأى شياه فجائته فكرة استبدال ابنه بشاة !!! فيرسم احمد القبانجي صورة وهمية ولكنها خالية من وجود الله سبحانه !! نعم احمد القبانجي يفرغ قصته الموهومة من وجود الله عز وجل لأنه لا يؤمن بتواصل الانبياء (عليهم السلام) مع البشر ! فهو يزعم بان الله سبحانه خلق الناس وتركهم بدون هداية وارشاد فلا شرائع إلاهية ولا كتب سماوية ولا انبياء مرسلين من قبله تعالى ، ولذلك تعمد ان تكون قصته التعليلية للذبح خالية من وجود الله عز وجل!!

فاحمد القبانجي يتناول هذه الحادثة بصورة انتقائية وبطريقة استقطاعية ، فهو يستقطع هذه القصة عن مجمل السيرة النبوية للنبي ابراهيم عليه السلام ويحاول تناولها بصورة معزولة عن بقية الحوادث النبوية في حياة النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) ، هذا النبي العظيم الذي افحم قومه بعمل بسيط وواعٍ بتكسيره الاصنام منبهاً قومه الى انها اصنام غير عاقلة. وافحم النمرود بقوله ربي الذي يحيي ويميت وربي الذي يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب في اشارة واضحة الى ان الاحياء والاماتة والاتيان بالشمس من المشرق لا يمكن ان يكون قد حدث بصورة عفوية او عن طريق

المصادفة كما يحاول الملحدون ان يدعون ، بل هو نظام كوني دقيق وحكيم ولا يمكن ان يصدر الا عن قوة عاقلة وحكيمة وقادرة. هذا النبي العظيم الذي مرَّ بتجربة القاءه في النار المستعرة التي جعلها الله سبحانه برداً وسلاماً ، وهي واحدة من اعظم المعجزات الالهية. وهو نفسه رأى احياء الموتى بعد ان سأل الله عز وجل ذلك طلباً للاطمئنان القلبي. وهو نفسه الذي عاصر عقوبة الله جلَّ وعلا لقوم النبي لوط (عليه السلام) وكيف نزل بهم العذاب الالهي. وهو نفسه الذي علم بتفجر ماء زمزم في الصحراء القاحلة من اجل ان يشرب منها ابنه وزوجته ، بل هو نفسه قد مرّ بمعجزة اخرى عندما رزقه الله سبحانه ولداً بعد ان تقدم به العمر هو وزوجته ، ((قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)) . فهذا النبي العظيم الذي كانت المعجزات الالهية تحيط به وتتآلف معه في مختلف ادوار حياته لا يمكن ان يقال عنه انه اراد ذبح ابنه لمجرد "اضغاث احلام" رآها كما اوهم بذلك احمد القبانجي .

واسخف ما في استنتاجات احمد القبانجي هو ربطه القسري بين قصة الذبيح وبين ارهاب التكفيريين وهو ربط ليس له قواعد منطقية بل مبني على المغالطات وسوء النية المسبقة. فقد كان الابن - النبي اسماعيل (عليه السلام) - مخيراً بين الذبح وعدمه ، قال تعال على لسان النبي ابراهيم (عليه السلام مخاطباً ابنه: ((يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) فأجابه ابنه اسماعيل (عليه السلام) بكل وضوح وثقة بالله عزَّ وجل: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) ، فليس هناك اجبار او اخضاع بل كان ابراهيم (عليه السلام) وابنه مستسلمين للامر الالهي لا يحيدان عن طاعة الله سبحانه ابداً.

ان حادثة اقدام النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) على ذبح ابنه تبين لنا بوضوح كيف يجب على المسلمين التعامل مع الاوامر الالهية بالخضوع والطاعة والاذعان ، فيطبقون شريعة الله سبحانه حتى لو لم يعلموا الحكمة منها ويكفيهم انها شريعة صادرة عن اله حكيم وعادل.

نقد شبهته حول قصة اصحاب الفيل

مسكين احمد القبانجي فهو يطلق العنان لأفكاره واوهامه في قضايا تاريخية دون ان يكلف نفسه مؤونة الرجوع للمصادر التاريخية !! وهذه مشكلة دائمية عنده وهي انه لا يرجع للمتخصصين في القضايا التخصصية !!؟

ففي كتابه (منهاج الرسل) يتحدث تحت عنوان: (اسطورة الفيل) عن فكرة كونها عن قصة اصحاب الفيل المشار اليها في القرآن الكريم ، فيورد جملة من الاعتراضات والتشكيكات نستعرض بعضها ونتدارسها بتأنٍ:

. يقول احمد القبانجي: (إنّ الفيل بطيء الحركة جدّاً ولا يعيش إلاّ في أفريقيا والهند حيث الغابات الاستوائية ووفرة المياه والأرض المستوية، واليمن أرض جبلية وعرة والطريق إلى مكة صحراوي، والفيل لا يستطيع قطع هذه المسافة الطويلة من اليمن إلى مكة، إلاّ لعدة أشهر، فالمسافة التي يمكن لجيش كبير أن يقطعها بالخيل والإبل في اسبوع واحد، تستغرق مع الفيل عدّة أشهر، وفي هذه المدّة الطويلة يحتاج الفيل لوحده إلى عدّة أطنان من العلف والماء، فإذا حسبنا ما يحتاجه جيش مكون من عشرة آلاف فارس من الغذاء والماء، فينبغي أن يحملوا معهم من الطعام والماء ما لا تحمله إلاّالمئات والآلاف من الإبل، وكل عاقل، فضلاً عن قائد عسكري محنك، لا يجد ضرورة في حمل كل هذه الأمكانات وانفاق كل هذه الأموال من أجل فيل واحد لا يؤثر شيئاً في حسابات المعركة، مضافاً إلى استنزاف طاقات جيشه في هذا المسير البعيد والبطيء حيث يجب على الفرسان أن يسيروا كالمشاة تماهياً مع الفيل)!!

فاحمد القبانجي يظن ان الجمل اسرع من الفيل بينما تذكر الدراسات ان سرعة الجمل هي ٣٢كم/ساعة بينما يمكن ان تصل سرعة الفيل الى ٤٠ كم/ساعة اي ان الفيل لا يسير ببطيء في تنقله. وبذلك ظهر خطا ظن احمد القبانجي بأن وجود الفيل يستدعي من الفرسان ان يسيروا كالمشاة تماهياً مع الفيل على حد تعبيره!

والفيلة نوعان الهندي والافريقي ويعيش الافريقي في جنوب الصحراء الكبرى ، وهو يمتاز بقدرته على مقاومة الاجواء الصحراوية ، فاذنه الكبيرة تمكنه من مقاومة حرارة الاجواء الصحراوية ، كما ان جلده لا يحتوي على غدد عرقية فلا يفقد الماء منها نتيجة تعرضه لدرجات الحرارة المعتدلة بخلاف الانسان

وبعض الحيوانات الاخرى ، وبذلك يحافظ على المحتوى المائي في داخله لفترة اطول ، وهو حيوان يمتاز بصبره وبقدرته على التآلف مع الانسان ، كما انه يتغذى على الاعشاب ويستطيع تحمل الجوع والعطش عدة ايام ، ولذلك فان دعوى احمد القبانجي بان جيش ابرهة كان يحتاج لحمل معه عدة اطنان من العلف كطعام للفيل هي دعوى غير صائبة لقدرة الفيل على تحمل الظروف الصعبة وانعدام الطعام والماء لعدة ايام .

ويتسائل احمد القبانجي عن جدوى حمل فيل واحد لا يساوي شيئاً في حسابات المعركة ! وتساؤله هذا في غير محله اذا عرفنا ان القادة العسكريين منذ قبل الميلاد وبعده ايضاً كانوا يستخدمون الفيلة في حروبهم وغزواتهم ، فهذا القائد القرطاجي الشهير هانيبال القرطاجي يستخدم الفيلة سنة ٢١٨ ق.م في حروبه ويعبر بها جبال الالب في فرنسا في طريقه لغزو روما. وقد سبقه الاسكندر المقدوني في استعمال الفيلة في الحروب ، كما استخدمها البطالمة سواء في مصر او بلاد الشام وفارس. كما ان وجود الفيلة تشكل جزءاً من هيبة الجيش في ذلك الزمن وما يمكن ان تضيفه من صدى في قلوب الاعداء والخصوم حينما ينطلق الجيش وهي في مقدمته. فوجود الفيل في مقدمة اي جيش هو جزء من هيبة الجيش وهيبة القائد الذي يقوده وعلو مكانته وسموه بالاضافة الى خدمات النقل التي يقدمها الفيل وقدرته على اختراق صفوف الاعداء واحداث الاضطراب فيها وقدرته على دك الحصون والقلاع بقوته الجسمية اذ يبلغ وزن الفيل الواحد حوالي ٦ طن.

وبذلك نجد ان قوله عن عدم امكانية ان تعبر الفيلة بلاد اليمن الوعرة والجبلية هو كلام واهم بعد ان عرفنا ان هانيبال قد عبر بها الصحارى وجبال الالب حتى وصل قرب روما.

ومن خلال تحليل قصة ابرهة الحبشي وبناءه لكنيسته وهجومه بالفيل على مكة المكرمة لغرض هدم الكعبة نجد انه من المحتمل ان يكون اراد ان يهدم الكعبة وينقل احجارها الى كنيسته في اليمن ولذلك فقد كان جلبه للفيل مهماً من اجل تسهيل عملية نقل احجار الكعبة ! حيث يستعمل الفيل في نقل الاحمال الثقيلة ، بالاضافة الى استخدامه في عملية التهديم واعتماد الجيوش في تلك العصور على وجوده فيها.

. وذكرة فكرته الواهمة التي يقول فيها: (فالفيل ربّما ينفع الجيش في حال الدفاع لثقله وبطء حركته، لا في مقام الهجوم على بلاد بعيدة المسافة وصحراء قاحلة لا يجد فيها الجيش ما يحتاجه من ماء وكلاء) ! وقد بينا فساد هذا الرأي من حيث عدم بطيء حركة الفيل مقارنة مع الجمل ومن حيث صبره

وقدرته على تحمل الجوع والعطش لأيام. كما بينا آنفاً ان الجيوش عبر التاريخ كانت تستخدم الفيلة كوسيلة هجومية ناجحة في معاركها وليس في حال الدفاع فقط ، وكانت الجيوش تعبر بالفيلة الصحارى والجبال والمناطق الوعرة.

. وقال: (أنّ المسيحية في الحبشة واليمن ومصر كانت على مذهب آريوس الاسكندراني الذي عاش في القرن الثالث للميلاد ورفض التثليث وقال بأنّ المسيح مخلوق، وانعقد مجلس نيقية لدحض بدعة آريوس (كما يعتقدون) وقرروا مبدأ التثليث (الأب والابن والروح القدس) فانشطرت المسيحية إلى شطرين، ذهبت الكنيسة الرومانية إلى التثليث وبقيت كنيسة الاسكندرية (والحبشة بعدها) على مذهب آريوس، ولهذا نرى أنّ النجاشي عندما استقبل جعفر الطيار والمهاجرين المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة فراراً من اضطهاد قريش لهم واستمع إلى آيات من سورة مريم تلاها عليه جعفر، انهملت من عينيه الدموع وقال: ما عدا عيسى ما قلت هذا». مضافاً إلى أنّ الحاضرين من القساوسة لم يعترضوا على هذا الكلام، أو على موقف النجاشي منه، وهذا يدل على أنّ الديانة المسيحية في تلك الاصقاع لم تتلوث بالانحراف الذي طرأ على المسيحية الرومانية، وبقيت على اصالتها وحقانيتها) !! وكلامه هذا غير صحيح من حيث ان المسيحية التي كانت منتشرة في مصر والحبشة منذ انعقاد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م والذي حضره البابا ديسقوروس بابا الإسكندرية هي المسيحية الارثوذكسية غير الخلقيدونية ، وهي مسيحية قائمة على التثليث وهي نفس مذهب الاقباط الحالي. ولذلك فان المسيحية التي كانت منتشرة في الحبشة ومصر حين ظهور الاسلام حوالي سنة ٦١٠م هي المسيحية التثليثية وليست الآريوسية كما توهم احمد القبانجي ! اما الآريوسية فلم تصمد في مصر والحبشة لفترات طويلة امام المذاهب التثليثية.

. ومن النقطة السابقة يتضح خطأ قول احمد القبانجي: (إنّ المسيحية في ذلك الوقت كانت هي الديانة الإلهيّة للبشرية قبل مجيء الإسلام وكان أهالي مكة مشركين ويعبدون الأوثان ، والمفروض أن ينصر الله دينه على الشرك لا أن ينزل عليهم العذاب ولا سيما إذا علمنا أنّ المسيحية في الحبشة واليمن ومصر كانت على مذهب آريوس الاسكندراني الذي عاش في القرن الثالث للميلاد ورفض التثليث وقال بأنّ المسيح مخلوق) ! الى ان يقول: (على أية حال فالمفروض أن ابرهة وجيشه كانوا على دين الحق، وأهالي مكة كانوا على الشرك، ووفقاً للسنن الإلهيّة ينبغي أن ينصر الله دينه الحق على الشرك لا أن ينزل عليهم العذاب ويهلكهم) !! حيث اتضح آنفاً ان المسيحية في الحبشة كانت على مذهب التثليث وليس

على مذهب آريوس في التوحيد. بينما كان بعض الاحناف في مكة رغم قلتهم وهم على دين ابراهيم الخليل (عليه السلام) وابرزهم عبد المطلب بن هاشم ، كما انه في مكة توجد الكعبة وهي اول بيت وضع للناس ورمز التوحيد ، ومن الواضح ان ذلك العصر الذي يشهد ولادة خاتم الانبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله) الذي سوف يأتي للبشرية بالشريعة الخالدة ، وهو عصر انبثاق التوحيد الخالص ببعده العالمي مما يتطلب ذلك تأييداً الهياً يسلط الضوء على اهمية هذه المدينة المقدسة والكعبة المشرفة قِبلة الدين الجديد الخاتم لكي تتجه انظار البشرية كلها للنور القادم في تلك البقعة المباركة ويبرز اهميتها بين المدن وتفردها. فمن الطبيعي ان لا ينصر الله سبحانه الجيش الحبشي بعقيدته التثليثية على مركز التوحيد في عصر ولادة النبي الذي بشّر بظهوره آلاف الانبياء وكل المرسلين (صلوات الله عليهم اجمعين).

. يتضح مما سبق ان اعتراض احمد القبانجي بتسائله عن سبب عدم دفاع الله سبحانه عن الكعبة تجاه السيول التي اغرقتها والتي ادت الى اعادة بنائها وظهور مشكلة الحجر الاسود قبيل البعثة النبوية المباركة وكذلك ضرب الكعبة بالمنجنيق ايام عبد الملك بن مروان وتحصن عبد الله بن الزبير فيها ! هواعتراض من لم يتدبر مجريات الاحداث التاريخية والعقائدية. حيث ان هذه الحوادث لم تكن مبنية على تعمد الاساءة الى الكعبة او محاولة هدمها لغرض الانتقاص منها كما اراد ابرهة ان يفعل ، ولا هو عصر الظهور النبوي والانبثاق التوحيدي ، بل كان احدها فيضاناً والاخر نزاعاً حربياً لم يلتزموا فيه بحرمة المكان طلباً للسيطرة العسكرية والنصر وليس لغرض عدائي مخصوص تجاه الكعبة المشرفة .

بل لعل تهدم بعض جدران الكعبة نتيجة السيول واعادة بناءها باشراف النبي (صلى الله عليه وآله) ووجوده المبارك قبيل البعثة النبوية المباركة وظهور الاسلام فيه اشارات رمزية بأعادة تجديد دين ابراهيم (عليه السلام) الذي بنى جدرانها قبل مئات السنين ، التجديد المعنوي لبناء الكعبة المشرفة بتجديد الدين التوحيدي وظهور الاسلام العظيم.

. اما ما ذكره احمد القبانجي من ان تسمية الاحباش باصحاب الفيل ليس لوجود الفيل في الجيش الذي اراد هدم الكعبة المشرفة بل (لتوفر الفيلة في الحبشة أو لأنّ ابرهة كان يملك فيلاً في قصره في اليمن لمجرّد التنزه والفخر كما هو حال الملوك في ذلك الوقت فاطلق عليهم القرآن هذا اللقب كما أطلق على اليهود أصحاب العجل) على حد قوله ، فهو كلام قد تبين خطأه نتيجة وجود الفيل في مختلف الممالك وليس في الحبشة وحدها ولا عند ابرهة في قصره وحده.

فمن كل ما ذكرناه وجدنا انه ليس هناك مبرر فكري منطقي او دليل تاريخي يمكن ان يشكل دافعاً لأحمد القبانجي لكي يرفض قصة اصحاب الفيل الواردة في القرآن الكريم.

نقد شبهاته حول قصة قتل الغلام

قال تعالى في سورة الكهف في قصة النبي موسى عليه السلام وصاحبه: ((فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ، قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً)) الى ان يقول: ((وَأَمَّا الغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ، فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً)). صدق الله العليّ العظيم

يسرد احمد القبانجي وبعض خصوم الاسلام شبهة حول هذه الآيات الكريمة مفادها ان التقل انما كان لغلام لم يقترف شيئاً وان صاحب موسى عليه السلام الذي قام بالقتل خشي ان يرهق ابواه كفراص فهو لم يرهقهما بعد وهذا لا يجوز لنه لا يجوز القصاص قبل الجناية ، ولو جاز القصاص قبل الجناية لقتل امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عبد الرحمن بن ملجم وهو يعرف انه قاتله ! ومن هذا المنطلق يطعنون في القرآن الكريم وبلاغته وحكمته العالية.

ويبدو إن الموضوع في هذه الايات الكريمة ليس له علاقة بالقصاص قبل الجناية بل الجناية قد وقعت فعلاً ، وهناك آية في سورة الاحقاف قد تكشف بوضوح ابعاد جديدة لهذه الحادثة ، ونتمنى من المختصين بتفسير القرآن الكريم ان يبينوا رايهم فيها حيث يقول الله سبحانه: ((وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ القُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)) ، فالوالدين كانا يستغيثان الله سبحانه من ظلم ابنهما لهما ذلك الابن الكافر الذي كان يؤذي والديه والظاهر انه كان يستعمل معهما العنف الجسدي وهو الذي دفعهما للاستغاثة والا فان حنان الوالدين في المجريات الطبيعية تمنعهما من الاستغاثة بالله عزَّ وجل منه حيث انهما عادةً يدعوان له بالهداية لا بالاستغاثة ضده.

وقد يعترض شخص فيقول ان كلمة غلام التي وردت في آيات سورة الكهف تعني في لغة العرب ان المقتول كان صغيراً غير مكلف ولا يجوز قتل الصغير وهو دون سن التكليف اذ كيف تصح ضده عقوبة القتل ! وهذا الاعتراض بعيد عن الصواب اذ ان العرب يستعملون كلمة غلام لمن هو بعد البلوغ ايضاً كما يستعملونها لمن هو دون البلوغ. قال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين ج٣ ص٣٢٦: (قال في المصباح : ويطلق الغلام على الرجل الكبير مجازا ، باسم ما كان عليه كما يقال للصغير شيخا

مجازا باسم ما يؤل إليه . وعن الازهري : وسمعت العرب يقولون للمولود حين يولد ذكرا : غلام وسمعتهم يقولون للكهل : غلام ، وهو فاش في كلامهم). وقال الزبيدي في تاج العروس ج٩ ص٥: ((والغلام) بالضم وإنما أهمل ضبطه لشهرته (الطار الشارب أو) هو (من حين) أن (يولد الى ان يشب و) يطلق أيضا على (الكهل) قال ابن الاعرابي يقال فلان غلام الناس وان كان كهلا كقولك فلان فتى العسكر وان كان شيخا.(

وفي الايات الكريمة في سورة الكهف ما يفيد ان المقتول كان بالغاً مكلفاً حيث قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ((قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ)) ، قال السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: (ولا دلالة في إطلاق الغلام عليه على عدم بلوغه لان الغلام يطلق على البالغ وغيره فالمعنى أقتلت بغير قصاص نفسا بريئة من الذنوب المستوجبة للقتل ؟ إذ لم يظهر لهما من الغلام شئ يستوجبه). حيث لم يكن موسى عليه السلام يعلم ما اقترفه ذلك الغلام بحق والديه بخلاف صاحبه الذي قتله.

ويقول السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: (والاية - على أي حال - تلوح إلى أن إيمان أبويه كان ذا قدر عند الله ويستدعي ولدا مؤمنا صالحا يصل رحمهما وقد كان المقضي في الغلام خلاف ذلك فأمر الله الخضر بقتله ليبدلهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما). فإيمان هذين الابوين كان ايماناً عالياً بخلاف ابنهما الكافر الجحود المتطاول عليهما.

قراءة في كتاب النفس في دائرة الفكر الاسلامي لأحمد القبانجي
والكشف عن المزيد من تناقضاته الفكرية

كتاب النفس في دائرة الفكر الاسلامي تاليف احمد القبانجي والكتاب طبعة اولى سنة ٢٠٠١م ، ولمن لا يعرف احمد القبانجي نقول انه شخص معمم بعمامة سوداء وينتمي لعائلة نجفية ، وهو يصف نفسه تارة بانه عالم عراقي وفيسلسوف ومفكر اسلامي وتارة بانه ليبرالي وعلماني !! وهذه اول اضطراباته بل لعلها محاولات لإصطياد بعض قليلي الثقافة من الناس الذين يتبعونه بعد مخادعتهم بانه مفكر اسلامي وهو في حقيقته من خصوم الاسلام واحد المكثرين لسواد اعداءه !!

اما كتابه المذكور فهو الحلقة الثانية من نفس الموضوع ، وهو يتحدث عن علم النفس في اطار الفكر الاسلامي ، وقد وجدت في الكتاب الملاحظات التالية:

. انتقاده لمفهوم المحبة في المسيحية حيث يقول: (فمن غير المعقول وجود الحب من غير كراهة ضده ، فما في الديانة المسيحية من ضرورة محبة الجميع نوع من الهراء والمثالية الموهومة لا أكثر ، فمن احب شيئاً كره فقده). فهو يصف بعض ما جاء في المسيحية بالهراء ، ويبدو ان انصاره المسيحيين المعجبين بهجومه المستمر على الاسلام من خلال محاضراته وخصومته المستمرة للعقيدة الاسلامية يجهلون رأيه في دينهم!

. انتقاده للمفهوم القومي فقال: (وقد سعى الاستعمار لتركيز القومية في الدول العربية لتحل محل الاسلام ونجح في ذلك نسبياً الا أنَّ الشعوب العربية اكتشفت أن القومية سراب موهوم لا يمكن ان يحقق لها وحدتها أو يحرر أراضيها). ولاحظ استعماله لمفهوم الشعوب العربية وليس الشعب العربي بينما يستعمل مصطلح الامة الاسلامية الواحدة.

. تضعيفه لحديث (حب الوطن من الايمان) فقال: (أما ما ورد من النبوي "حب الوطن من الايمان" فانه مضافاً الى ضعف السند وانه لم يُذكر في المصادر الاسلامية سوى ما ذكره العاملي في كتابه (أمل الآمل) لا يمكن الاخذ بظاهره كما تحاول الحكومات الدنيوية أن تشيعه وتنشره لخدمة مصالحها

ودفاعاً عن كيانها لأنا نعلم أن هذه الحدود الجغرافية المصطنعة لم تكن موجودة سابقاً بل هي من وضع الاستعمار الغربي لتمزيق الامة الاسلامية الواحد).

. يسخف فكرةالدفاع عن الوطن فيقول: (وأساساً لا يعقل ان يؤيد الاسلام تضحية المرء بنفسه من اجل تراب الوطن كما يقال. لأن الله تعالى خلق الارض والبحار والانهار من اجل الانسان وسخرها لخدمته وانتفاعه كما قال عزَّ وجل ((سخّر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره)) فالانسان هو المخلوق الاشرف فكيف يؤمر بالتضحية لما هو أدون وأخسّ منه ، نعم يصح ان يحرض اسلام الناس على الدفاع عن الشعب والمجتمع والنساء والاطفال الموجودين في الوطن ، لاعن تراب الوطن ، وفي ذل يقول القرآن الكريم: ((ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنامن لدنك نصيرا)). ولكن الطواغيت والمغرضين سعوا الى تأليه الوطن وجعله صنماً يعبد من دون الله ليحققوا بذلك بعض المطامع الدنيوية ويستبدلوا المحور الاساس وهو الايمان بالله بغيره).

بينما هو الان يتبنى المواقف الوطنية والدفاع عن الوطن استناداً الى فكره الليبرالي !! وهو من تناقضاته الدائمية !!!

. في هذا الكتاب يذكر احمد القبانجي آيات قرآنية وينسبها لله سبحانه فيقول: (كما قال عزَّ وجل:) ، (كما يؤكد على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:) ، (وقال تعالى) ، فهو يعترف في هذا الكتاب بان القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وليس مثلما ابتدع هذه الايام في ادعائه ان القرآن الكريم ليس كلام الله سبحانه!!

. انه في هذا الكتاب جعل القرآن الكريم مصدراً من مصادر دراسة علم النفس واستشهد بآيات قرآنية كثيرة مما يدل على ان القرآن الكريم يحتوي على اعجاز علمي في اطار جديد هو اطار علم النفس الانسانية.

. يؤيد في هذا الكتاب حجاب المرأة ويصف السافرات بالابتذال فيقول: (فمثلاً حرية المراة في الظهور امام انظار المجتمع متبرّجة وبالزي الذي تريده يؤدي الى الطعن بغريزة العفاف الفطرية لدى المرأة ، وتخرج الى المجتمع لا كما تريد هي ، بل كما يريد الرجال منها ، فقد خدعها الرجل الغربي بعناوين

المساواة والحرية ليخرجها من عفافها ويتمتع بها كما يحلو له.. والتحليل النفسي يثبت ان دافع المرأة للظهور بهذا الابتذال وترك الحجاب ليس هو الغريزة الجنسية كما يظن الرجل عندما يراها متبرّجة بل هو الحاجة النفسية في المراة لكسب العطف والحنان والحب الذي تجبر به ضعفها الجسدي والروحي ، فالزوج بالنسبة للمرأة لا يمثل الغريزة الجنسية فقط ، بل هو الحامي لها والذي يجبر لها ضعفها ، واللذة الجسدية تأتي بالدرجة الثاني من الاهمية بعكس الرجل) !! فهذا الكلام بالتأكيد لن يرضي الليبراليين المتشدقين بتحرير المرأة ومساواتها وسفورها وتبرجها ، ويبدو انه حالياً قد تراجع عن كلامه هذا ليلتزم بكل ما يقوله الليبراليين له !!؟

ان المتتبع لأفكار احمد القبانجي يجد التناقضات بارزة فيها بوضوح وهي تناقضات فكرية خطيرة تسخف منهجه وتقلل اهمية افكاره التي يهتم لها ويؤيدها خصوم الاسلام لاسيما اولئك الذين لا يجرأون على التصريح بمعاداة الاسلام فيتظاهرون بالاصطفاف الى جانب احد خصومه ولكن سوء حظهم قادهم الى احمد القبانجي ذي الافكار المتناقضة.

تهافت مزاعم تاريخية القرآن

يزعم بعض المستشرقين والحداثيين بان القرآن كتاب تاريخي ظهر في فترة تاريخية معينة واحكامه تصلح لفترة معينة لا تتعداها وهذا ما يسمونه بتاريخانية القرآن.

ان مقولة تاريخية القرآن لا يمكن ان تصمد امام النقد ، فقوله تعالى: ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً)) يخاطب فيه المسلمين بمختلف اجيالهم الحاضرة القادمة فمن المعلوم ان الاسلام وشريعته الخالدة لم يكن للجيل الاسلامي الاول حصراً بل هو لكل الاجيال اللاحقة ولا يوجد ادنى احتمال ان الاسلام كان لفترة محدودة ولو كان ذلك حقاً لأخبرنا الله سبحانه به اذ ان كل قانون في العالم حينما يشرع يبقى مستمراً الى ان يحل قانون آخر بدلاً عنه ، وعلى هذا بنيت سيرة البشر. فاذا لم يكن الاسلام لكل زمان فيجب ان يظهر اسلام جديد من عند الله سبحانه لزمان قادم آخر ولوجب ان يظهر قرآن آخر ونبي جديد كدليل على حاجة العصر الجديد الى دين جديد ، لأن نفس دوافع ومبررات ظهور الاسلام ستظهر من جديد لو لم يكن الاسلام هو خاتم الاديان. اذن لم يظهر دين سماوي جديد بعد الاسلام ، فلا نبي جديد ولا قرآن جديد ولا اسلام جديد انما هو اسلام واحد من عند الواحد اكمله واتمه وارتضاه لنا .

وورد عن الامام الباقر (عليه السلام) انه قال: (ولو ان الآية اذا انزلت في قوم ثم مات اولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ، ولكن القرآن يجري اوله على آخره ما دامت السماوات والارض. (

وفي حديث آخر مروي عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال: (حلال محمد حلال ابداً الى يوم القيامة وحرامه حرام ابداً الى يوم القيامة ، لا يكون غيره ولا يجيء غيره).

ومما يستند اليه البعض في القول بتاريخية القرآن الكريم قولهم ان هناك في القرآن الكريم آيات عديدة مرتبطة بحوادث حدثت في زمن النزول ، مثل معركة بدر وعداوة ابي لهب للاسلام والصراع بين الفرس والروم وسؤال بعض المسلمين عن قضايا معينة فتنزل آيات تبدأ بقوله تعالى: ((ويسألونك ...)) ، ويزعمون . كما في بسط التجربة النبوية لسروش – ان عمر النبي (صلى الله عليه وآله) لو امتد اكثر لوجدنا عندنا قرآنا ضعف هذا الحجم الموجود لدينا اليوم !! وزعمهم هذا مبني على ان القرآن الكريم هو من نتاج النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وليس كلام الله سبحانه ، ولذلك فالنقاش معهم

يجب ان ينطلق من بيان حقيقة ان محمداً (صلى الله عليه وآله) هو رسول الله وان القرآن الكريم هو كلام الله عزَّ وجل وهو الكتاب الذي ما يزال اعجازه يدل على صدق انتسابه لله جل وعلا الى يومنا هذا ، ورغم التطور العلمي وتوسع العلوم بمختلف صنوفها ولا سيما اللغوية والفلسفية والاجتماعية والقانونية نجد ان الجميع ما زالوا عاجزين عن معارضة القرآن الكريم والاتيان بما يبين انه يمكن ان يكون منتجاً بشرياً وليس الهياً.

يضاف لما سبق ان القرآن الكريم قد توقف نزوله فترة معتد بها قبل وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لاسيما بعد نزول آية اكتمال الدين يوم الغدير ، فقول سروش انه لولا وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) لاستمر نزول القرآن ولتضاعف حجم القرآن هو قول بلا علم وبلا تدبر للتاريخ والتشريع الاسلامي.

ان مما فات القائلين بتاريخية القرآن الانتباه اليه ان الايات الكريمة التي نزلت لسبب محدد هي آيات قليلة العدد من جهة ومن جهة اخرى فان وجود سبب لنزولها لا تعني انها متعلقة بذلك السبب فحسب ، مثلا آية ((ويسالونك عن اليتامى)) تخص جميع اليتامى حتى اولئك الذين لم يكونوا سببا لنزول النص في ذلك الزمن وكذلك الازمان اللاحقة ، فعمومية لفظ الاية الكريمة تدل على شمولها للجميع بدون استثناء. وكذلك سبب نزول قوله تعالى: ((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)) وقوله تعالى: ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً)) هي لكل الاشخاص في ذلك الزمن وغيره ايضاً وليس لزمن محدد .

ومن جهة اخرى فهل من المعقول ان يكون القرآن من نتاج محمد (صلى الله عليه وآله) ثم يقول في سورة الحاقة: ((وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ! ((

وربما يقول قائل بان هناك تشريعات اسلامية سببها الظروف الاجتماعية لعصر النبوة مثل اقرار الرق وللذكر مثل حظ الانثيين ورجم الزاني وقتل المرتد ! فمثلا في عصرنا الحاضر نجد ان المراة اصبحت عاملة ومعيلة لاسرتها لاسيما بسبب الحروب والحوادث الارهابية وكثرة الاغتيالات للرجال وازدياد نسبة الارامل ، فلماذا ترث الارملة نصف ما يرثه اخوها ! لقد فات هؤلاء ان التشريع الاسلامي هو

تشريع عام لكل زمان ومكان ، فوجود حالات خاصة تسترعي العطف والرعاية كوجود الارامل والايتام لا يعني ان يتم تغيير التشريع بحسب الحالات الخاصة ، بل نجد ان الاسلام راعى ايضاً تلك الحالات الخاصة وادارة شؤونها بطريق آخر غير طريق الارث فجعل من مسؤولية الدولة الاسلامية رعاية الايتام والارامل من بيت مال المسلمين ومن مال الزكاة والخمس والضرائب المقرة شرعياً ومن مواردها الاخرى. اذن الاسلام جاء بمنظومة كاملة تصلح لتطبيقها لكل حالات المجتمع ولكل زمان ومكان ، ولا يصلح ان نقول بان تطور الحياة وصعوبتها يجعل تطبيق المواريث الاسلامية غير منصف بل ان عدم الانصاف يأتي من عدم تطبيق مجمل الشريعة الاسلامية. فمن يرثى لحال الارامل والايتام عليه ان يطالب الدولة برعايتهم لا ان يلجأ الى المطالبة بتغيير شرع الله عز وجل بما لا يكون حلا حقيقياً للمشكلة فكم من ارملة لم ترث من ابيها شيئاً في نفس البلاد التي تجعلها ترث بقدر اخيها وفق القوانين الوضعية العلمانية ، فليس كل الاباء والامهات يتركون مالاً لبناتهم الارامل .

اما بخصوص احكام الرق فالجميع يعلم ان الاسلام لم يشرع الرق بل كان الرق موجوداً حين ظهور الاسلام ، فوضع الاسلام قنوات عديدة للحد من ظاهرة الرق عبر فتح منافذ اعتاقهم على مصراعيها ، ورب قائل يقول ان موضوع الرق موضوع قديم ونحن في زماننا هذا لم نعد نحتاجه فهو من التشريعات التاريخية التي لم نعد بحاجة لها الآن ! وهذا الاعتراض قد يتقدم به من لم يتدبر مجريات الحياة جيداً ، فالرق ما زال على نحو ضيق في بعض البلاد وبصورة خفية ، كما اننا لا نملك ضمانا لعدم ظهور ظروف عالمية جديدة تؤدي الى ظهور الرق من جديد لا سيما في حالة انهيار النظام العالمي والتوازانات الدولية الحالية وهو امر متوقع حدوثة في كل وقت ، فلا دوام لنظام عالمي كما توهم فوكوياما في كتابه الشهير نهاية التاريخ ! ومع ظهور الازمات الاقتصادية الحالية العالمية وعصفها باقتصاد كبريات الدول ومع ظهور دول جديدة عظمى كالصين وانهيار اخرى كالاتحاد السوفيتي وظهور آفاق ازمات سياسية واقصادية حادة على المستوى العالمي يجعل من احتمال تبدل الانظمة العالمية وظهور مشكلة الرق من جديد قائماً ولذلك من عدم الحكمة الغائها من قبل دين عظيم وحكيم كالدين الاسلامي الذي جعله الهد سبحانه للناس كافة. غاية ما في الامر ان الاسلام لم يحث على تشريع الرق بل عمل على تحريره بشتى الطرق وبما يراعي الحالة الانسانية للرقيق وضرورات توفير الطعام والملبس والمأوى لهم بصورة دائمية لانها الحد الادنى من ضرورات الحياة.

ان مقولة تاريخية القرآن لا يمكن ان تكون حلاً حقيقياً لمشاكل الناس لان غاية ما يريده اولئك المطالبون باشاعة القول بتاريخية القرآن هو ابطال احكام قتل المرتد فيسهل التبشير بالنصرانية في بلاد المسلمين ، وكذلك من نتاجها اشاعة الزنى واختلاط الانساب حيث لا عقوبة للزاني والزانية فيبدأ المجتمع بالتفكك والانحراف والتهاوي والسقوط الى احضان الرذيلة ، فلا برٌ لوالدين ولا صلةٌ للرحم ، فتسود الفرد والعائلة الضياع والتشتت ويتم فرض قيم الحياة الغربية على المجتمع الاسلامي المحافظ ، فالفاحشة في كل مكان والبنات والنساء وسائل رخيصة للدعاية لمنتجات الاغراء والمكياج وملابس الموضة ، وتنتعش تجارة الخمور في بلاد المسلمين على نحو اوسع واكثر خطراً وجدية في مقابل ارتفاع ارصدة الشركات المنتجة للخمور والمتاجرة بها ! وهدف كل ذلك جمع المزيد من الاموال لصالح تلك الشركات الغربية التي لا تجد لها سوقا رائجة في بلاد المسلمين الا بالعمل على تحطيم القيم الاخلاقية للمجتمعات المسلمة.

ومن نتائج مقولة تاريخية القرآن هو القبول بالربا والمصارف والشركات الربوية والقطاع الخاص الربوي ، فيسود التعامل به في بلاد المسلمين على نحو اوسع مما يجري الآن تحت ستار الاعمال المصرفية حصراً ! وهل ينتج الربا الا المزيد من الفقر للفقراء والمزيد من الغنى للاغنياء على المستوى الفردي ، فغني واحد يمكن ان يساهم بزيادة فقر عشرات الاشخاص وامتصاص دمائهم وقوتهم ! اما على المستوى العام فهو آفة تهدد الاقتصاد العالمي ونحن قد رأينا مضار الربا في السنوات الاخيرة ولاسيما منذ سنة ٢٠٠٨م نتيجة الانهيار الاقتصادي والكساد الذي حدث في امريكا والذي ادى الى فوضى وكساد في الاقتصادي العالمي كله نتيجة التعاملات الربوية للمصارف في تجارة العقارات.

انهم يريدون ان يبطلوا العمل بالاحكام والقوانين الاسلامية لصالح القوانين الوضعية التي بدأت تقود عالمهم نحو التردي الاخلاقي والتفكك العائلي والاجتماعي والانهيار الاقتصادي !!

بين الدوغمائية والرسوخ العقائدي

من الواضح ان مصطلح الدوغمائية لا يقتصر على وصف اشخاص ذوي خلفيات فكرية معينة رغم انه غالباً . إنْ لم يكن دائماً . ما يوصف به الاشخاص ذوي الخلفية الفكرية الدينية حيث يتم وصفهم بها من قبل الحداثويين والعلمانيين ! ولكن لو امعنا النظر قليلاً لوجدنا ان مصطلح الدوغمائية هو مصطلح عام لكل انسان يمتلك فكراً دون ان يمتلك نواصيه ومرتكزاته وادلته والبراهين عليه ، وبناءاً على ذلك فلا يخلو الحداثويين من امكانية وصفهم بها.

فما هي الدوغمائية Dogma ؟

هي كلمة يونانية بمعنى الرأي او المعتقد الاوحد. ويفضل المفكر الامريكي ميلتون روكيش فيما يخص مفهوم الدوغمائية استخدام مصطلح (نظام العقائد أو الايمان) بدلاً من التحدث عن نظام آيديولوجي يرتبط به العقل الدوغمائي ، اي ان العقلية الدوغمائية ترتكز اساساً على ثنائية ضدية حادة هي: نظام من الايمان والعقائد ونظام من اللايمان واللاعقائد ، اي انها ترتبط بشدة وبصرامة بمجموعة من المباديء العقائدية وترفض بنفس الشدة والصرامة مجموعة أخرى وتعتبرها لاغية لا معنى لها ، ولذلك فهي تدخل في دائرة ممنوع التفكير فيه أو مستحيل التفكير فيه وتتراكم بمرور الزمن والاجيال على هيئة لا مُفكَّر فيه[٤٢].وعرّف روكيش مفهوم الصرامة العقلية بأنها عدم قدرة الشخص على تغيير جهازه الفكري أو العقلي عندما تتطلب الشروط الموضوعية ذلك وعدم القدرة على اعادة ترتيب أو تركيب حقل ما تتواجد فيه عدة حلول لمشكلة واحدة وذلك بهدف حل هذه المشكلة بفاعلية اكبر[٤٣].

ان الحد الفاصل بين الدوغمائية والرسوخ العقائدي ينمحي حينما يكون البناء العقائدي خاوٍ من الادلة العقلية والمنطقية والنقلية الصحيحة. اذن فلا حرج ان يكون الانسان ذا رسوخ عقائدي مبني على الادلة المعتبرة. لكن ان يكون هناك تبني للعقيدة بلا مستند او دليل معتبر فهنا تظهر الخشية من تحول الرسوخ العقائدي الى عقيدة دوغمائية.

---

[٤٢] مقدمة كتاب الفكر الاسلامي قراءة علمية ، لمحمد آركون / بقلم مترجمه الدكتور هاشم صالح ـ ص٥.
[٤٣] المصدر السابق.

فلننظر الى الدوغمائية ونقارن مظاهرها مع مظاهر الرسوخ العقائدي لنتبين الفرق الشاسع بينهما.

يشرح الدكتور هاشم صالح في مقدمته المشار اليها في الهامش نظرية روكيش فيقول ان اركان الدوغمائية ثلاثة:

١. **انه عبارة عن تشكيلة معرفية مغلقة قليلاً أو كثيراً ومشكلة من العقائد واللاعقائد (أو القناعات واللاقناعات) الخاصة بالواقع.**
٢. **إنه متمحور حول لعبة مركزية من القناعات (أو الايمانات اليقينية) ذات الخصوصية الخاصة والاهمية المطلقة.**
٣. **انه يولّد سلسلة من أشكال التسامح واللاتسامح تجاه الآخر.**

ويضيف مستمراً في شرح نظرية روكيش ان درجة الدوغمائية ومبلغ حدتها (ذلك ان الاشخاص الدوغمائيين ليسوا دوغمائيين بنفس الدرجة ونفس المستوى) الخاصة بتشكيلة معرفية معينة يمكن قياسها طبقاً لمعايير خمسة هي:

أ. **إنَّ تشكيلة معرفية معينة (أو نظاماً معرفياً معيناً) تكون دوغمائية بقدر ما تضع حاجزاً كثيفاً معتماً يفصل بين نظام الايمان والعقائد / ونظام اللايمان واللاعقائد الخاص بها. وهناك اربعة اساليب لتحقيق هذا الفصل او هذا العزل هي: ١- التشديد التكتيكي على اهمية الخلافات الموجودة بين نظام الايمان والعقائد / ونظام اللايمان واللاعقائد. ٢- التاكيد باستمرار على عدم صحة المحاجة التي تخلط بينهما. ٣- انكار ثم احتقار الوقائع التي قد تظهر وتناقض هذه العقائد والايمانات. ٤- المقدرة على قبول تعايش التناقضات داخل نظام الايمانات والعقائد بدون الاحساس بوجود اية مشكلة.**
ب. **تكون تشكيلة معرفية ما دوغمائية بقدر ما تقوي من حدة الخلاف والشقة الواسعة بين نظام الايمانات / واللايمانات. وهناك ثلاث طرق لتقوية الخلاف وتوسيع الشقة هي: ١- الرفض المستمر والدائم لكل محاولة توفيق او مصالحة بين النظامين المذكورين. ٢- اليقين الدائم والمتزايد بأننا وحدنا نمتلك المعرفة الحقيقية. ٣- ثم اليقين المرافق بخطأ نظام اللايمانات او اللاعقائد المذكور.**

ت. تكون تشكيلة معرفية ما دوغمائية اكثر دوغمائية كلما كانت لا تميز بين العقائد والايمانات التي ترفضها. انها ترميها جميعها ضمن كتلة واحدة في دائرة الخطأ.

ث. تكون تشكيلة معرفية معينة دوغمائية اكثر كلما زادت درجة اعتماد اليقينيات الهامشية على اليقينيات المركزية الاساسية. فعندما ننظر الى هذه التشكيلة المعرفية بحد ذاتها ولذاتها فإن ذلك يعني ان العقائد الهامشية تبدو بمثابة انبثاق مباشر عن العقائد المركزية. وعندما ننظر اليها من خلال علاقتها بالواقع فإن بنية معرفية كهذه تمارس دورها وظائفياً عن طريق الهضم والتمثل: اي انها تعيد تأويل الوقائع المنحرفة او المضادة للنظرية (للتشكيلة المعرفية) لكي تصبح مطابقة لمبادئها الاساسية. كما انها تمارس دورها عن طريق التقليص والتضييق: أي عن طريق تجنب كل شيء او كل منبه او حافز يزعزع تماسك النظرية ويشكك بها ، ثم عن طريق عقلنة ما هو غير عقلاني. وعندما ننظر اليها من خلال علاقتها بالهيبة أو بالسيادة فإننا نجد مصداقية هذه الهيبة تتموضع دائماً في المنطقة المركزية لنظام العقائد الايمانية. وتستطيع هذه السيادة المهابة ان تغير وتحول العقائد الهامشية أو الثانوية المحيطة كما تشاء وفي أية جهة تشاء. وهذه الظاهرة يدعوها ميلتون روكيش بـ "الاخلاص لخط الحزب".

ج. تكون بنية معرفية ما دوغمائية أكثر فأكثر كلما كان منظورها الزمني موجهاً بشدة نحو نقطة بؤرية أو محرقية: أي ان الحاضر محتقر باستمرار لصالح المبالغة بشأن الماضي (مفهوم العصر الذهبي) أو المستقبل (اليوطوبيا = لحظة المستقبل البعيد الذي تتحقق فيه الاحلام الوردية).

ولكن بمناقشة موضوعية لأركان الدوغمائية نجد:

. ان الاسلام المحمدي ذو رؤية منفتحة على العقائد الاخرى ، وشيوع "العقيدة المقارنة" و"الفقه المقارن" على المستوى العلمائي وعلى المستوى الشعبي بين ابنائه يدل على ان العقلية الشيعية بصورة عامة غير منغلقة على نفسها ولا ترفض الاصغاء للاخر ولا مناقشة ادلة الاتجاهات المخالفة بل هي تناقش كل الاتجاهات الاسلامية بموضوعية مستندة الى الادلة العقلية والنقلية المعتبرة.

. ان مركزية الثقلين ومحوريته في الفكر الشيعي ليس نابعاً من الانغلاق ولا من التعصب ولا من رفض الآخر بل هو نابع من ادلة عقلية واخرى نقلية متواترة تؤكد على ضرورة التزام محورية الثقلين في

الحياة لتجنب الانزلاق وراء الافكار المخالفة للحق. وهنا نجد الافتراق بين مفهوم الدوغمائية والتعصب الاعمى المستند الى الجهل وبين مفهوم الرسوخ العقائدي المبني على ادلة حقيقية وواقعية.

. ليس في الاسلام المحمدي تمييز عقائدي يمنع التسامح والتعايش السلمي بين الناس ، وقد وردت آيات كريمة ونصوص عديدة وحقائق تاريخية تبين ان الاختلاف العقائدي لا يمنع من العيش المشترك بين كافة فئات المجتمع بتنوعها وكذلك ليس هناك ما يمنع رعاية الدولة الاسلامية للمختلفين معها عقائدياً ، من ابرزها قوله تعالى في سورة الممتحنة: ((لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)) ، ورواية اعالة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لفقراء النصارى من بيت المال المسلمين. وفي احدى خطبه الشهيرة في نهج البلاغية عندما اغارت خيل معاوية بقيادة سفيان بن عوف الغامدي على اهل الانبار فقال عليه السلام فيما روي عنه: (هذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار وقتل حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحا وقتل منكم رجالاً صالحين ، وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع إحجالها وقلبها ورعثها والأسورة والأقراط ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم كلما فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعدها أسفاً ما كان عندي ملوماً ، بل كان عندي بها جديراً). فتراه عليه السلام يتاثر بنفس المقدار على سلب المسلمة وسلب المعاهدة اي الذمية نصرانية او يهودية ، وهذا وجه ظاهر في ان الاختلاف العقائدي في الاسلام لا يمنع من التعايش والسلم الاهلي ويضعهم جميعاً بنفس المقدار ضمن مسؤولية الدولة وحمايتها لهم.

وينقل الاب سهيل قاشا (وهو مسيحي) في كتابه (المسيحيون في الدولة الاسلامية) ، صفحة ٥٩ ، ما نصّه: (وقد اجاز الفقهاء التصدق على مساكين اهل الذمّة ، فقد ذكر سعيد بن المسيب ان محمد تصدق بصدقة على اهل بيت من اليهود. وروي عن ابن ميسرة قال كانوا يجمعون اليه صدقة الفطر فيعطيها او يعطي فيها للرهبان).

ومن مظاهر عدم انصياع العقلية المسلمة عند الشيعة لرفض الآخر بسبب اختلاف الفكر والعقيدة هو تعامل الدولة الاسلامية في زمن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) مع قضية الخوارج وكيف ان الدولة قاتلتهم حينما كونوا جيشاً مسلحاً يهدد امنها وامن المجتمع ، ولكن حينما انتهى القتال وعاد المسلمون الى حياتهم الطبيعية ومعاشهم نجد ان الحكومة الاسلامية القائمة آنذاك

تعاملت معهم باعطائهم كافة حقوقهم وحريتهم الفكرية والعقائدية ، فلم تنغلق ضدهم ولم تحرّم فكرهم ولم تمنع تواجدهم بين رعاياها. اذن لم يكن هناك تعصب ولا تعامل دوغمائي ضدهم ، فلم تعلن الدولة ان هناك عقيدة واحدة ولا مذهب واحد ولا اتجاه واحد بل كانت هناك حرية للناس في الفكر والرؤى العقائدية المختلفة ما داموا ملتزمين جميعاً بالمفهوم العيش المشترك وما دامت بيضة الاسلام محفوظة ، فتجد في تلك الفترة في الكوفة . كنموذج . الخارجي والعثماني والشيعي والنصراني واليهودي ، فلم تفرض الدولة لوناً واحداً من الفكر والعقيدة على الناس. اذن لم يعرف الفكر الشيعي رفض الاخر لا على المستوى الشخصي ولا على المستوى الشعبي ولا على مستوى الحكومة الاسلامية.

اذن اركان الدوغمائية التي يمكن اختصارها بانها:

فكر مغلق متمحور حول ايمان يقيني وغير متسامح

هذه الاركان غير موجودة في رؤية الاسلام المحمدي الذي يمكن ان نقول عنه انه:

فكر منفتح متمحور حول ايمان يقيني ومتسامح

اما معايير الدوغمائية الخمسة فيمكن مناقشتها وفق التالي:

. بالنسبة للمعيار الاول المتعلق بالفصل بين الايمان / واللايمان فليس هذا الفصل يشكل عقبة بعد ان رأينا ان اركان الدوغمائية غير متحققة فيه. فاما اسلوب التشديد التكتيكي في الفصل بينهما فهو تشديد فكري وليس عملي حيث بينّا ان عقيدتنا متسامحة ، وأنَّ اي تشدد تكتيكي في المواضيع الفكرية لا يفيد كاسلوب من اساليب المعايير الدوغمائية ما دام منحصراً في الفكر والعقيدة ولم ينتقل الى الواقع العملي ، حيث ان الواقع العملي متسامح كما هو معلوم.

وكذلك فان اسلوب رفض الخلط بين الايمان واللايمان يعود لحكم العقل القائل بعدم القدرة على الجميع بين النقيضين ، واما ما يحاول البعض فعله من اتخاذ اسلوب انتقائي فياخذون بعضاً من مقومات الايمان وبعضاً من مقومات اللايمان ويكونون لأنفسهم ديناً جديداً فهذا يزيد الطين بلّة ولا

يحل المشكلة لأن الانسان في اطار التوحيد لا يبحث عن دين يقترحه بنفسه ولنفسه بل يبحث عن الدين الذي يريده الله سبحانه له وللبشرية.

واما اسلوب احتقار العقائد المخالفة فهو تعبير بعيد عن الواقع فليس في العقائد احتقار انما هناك تفنيد للعقائد المبنية على ادلة ضعيفة وهشة وباطلة. وذلك انما يتم استناداً لأدلة عقلية ونقلية معتبرة. فليس هناك دوغمائية ما دام الامر يدور حول وجود دليل ومستند عقلي ومنطقي ونقلي. لأنه من المعيب ان يقال عن الفكر المبني على العقل والنقل الصحيح بانه فكر دوغمائي !

واما اسلوب المقدرة على التعايش فقد بينا ان عقيدتنا متسامحة من الناحية العملية في الحياة تجاه كل من يخالفها في الفكر او العقيدة. فلا يصح تطبيق هذا المعيار عليها.

. واما المعيار الثاني الذي يتحدث عن دوغمائية التشكيلة المعرفية التي تقوي حدة الخلاف بين نظامي الايمان واللايمان ، فالحدة المذكورة انما تحدث تبعاً لدليل كل طرف ، فان كانت العقائد متقاربة بامتلاكها ادلة مشتركة لبعض قضاياها وادلة متباينة لقضايا اخرة فذلك يقلل من حدة الخلاف بخلاف ما لو كانت العقيدتان متباينتين كلياً نتيجة امتلاكهما ادلة مختلفة احداها متطابقة من العقل والمنطق والاخرى مخالفة لهما ! فالعبرة في الحدة هي الدليل والمستند ولا يمكن قبول ان توصف عقيدة بانها دوغمائية لمجرد ان دليلها القوي يختلف عن دليل العقيدة الاخرى المتهافتة في مستندها ودليلها. فحيثما وُجِدَ الدليل انتفى وجود الدوغمائية. واما موضوع امتلاك الحقيقة فهو امر طبيعي يقول به من يمتلك الدليل الاقوى. فأين الدوغمائية من ذلك اذا كان موقفنا عقلائياً ومنطقياً ؟!

. واما المعيار الثالث القائل بانه (تكون تشكيلة معرفية ما دوغمائية اكثر دوغمائية كلما كانت لا تميز بين العقائد والايمانات التي ترفضها. انها ترميها جميعها ضمن كتلة واحدة في دائرة الخطأ) ! فمن الواضح والمعلوم للجميع ان الاسلام لا ينظر لجميع المختلفين معه عقائدياً نظرة واحدة بل رفع بعضهم درجات على البعض الاخر ، فهناك اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمجوس وهناك المشركون وعبدة الاصنام وهناك الملحدون. وحتى في داخل الاختلافات الفكرية الاسلامية هناك درجات تقييمية متفاوتة فنظرة الاسلام المحمدي لأهل السنة تختلف عن نظرته الى السلفية (الوهابية)

وتختلف عن نظرته الى النواصب وهكذا. اذن الفكر الشيعي يميز وبدقة بين العقائد والايمانات التي يرفضها فلا يمكن انطباق هذا المعيار الدوغمائي عليه.

. واما المعيار الرابع المتعلق بالعلاقة بين اليقينيات المركزية الاساسية وبين اليقينيات الهامشية فمن الخطأ القول بأنه كلما زادت درجة الاعتماد على اليقينيات الهامشية كلما زادت درجة الدوغمائية لأن العبرة ليست في الاعتماد على اليقينيات الهامشية بل العبرة هي في الاعتماد على يقينيات مستندة الى دليل او غير مستندة الى دليل. فالدليل هو المعيار في عدم دوغمائية من يعتمد اليقينيات الهامشية المستندة للعقل والمنطق او دوغمائيته في حالة انعدامه او ضعفه.

. واما المعيار الخامس: (تكون بنية معرفية ما دوغمائية أكثر فأكثر كلما كان منظورها الزمني موجهاً بشدة نحو نقطة بؤرية أو محرقية: أي ان الحاضر محتقر باستمرار لصالح المبالغة بشأن الماضي (مفهوم العصر الذهبي) أو المستقبل (اليوطوبيا = لحظة المستقبل البعيد الذي تتحقق فيه الاحلام الوردية)) ، فلا توجد في الاسلام المحمدي رؤية تفيد بوجود عصر ذهبي ماضٍ لأننا نعلم حجم الظلم وغصب الحقوق التي جرت على المسلمين منذ ظهور الاسلام ولحد الان من قبل الحكومات الجائرة المتلقبة بالخلافة. كما انَّه لا يوجد في الفكر الشيعي اي مفهوم لأحتقار الحاضر بل على العكس فالفكر الشيعي يحترم حاضر الانسان ويدعو لتحسينه وبناءه واعمال فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه لغرض اصلاحه او المحافظة عليه من التقهقر نحو الرذيلة والمعصية على جميع المستويات. ومن مظاهر احترام الحاضر هو قيام الثورة الاسلامية وانتشار مفهومها بين المسلمين ، ودعم كل حركات التحرر في العالم الاسلامي من اجل صيانة حاضر الامة وتطويره والرقي به في نفس وقت شيوع مفهوم الانتظار للفرج وللمستقبل المشرق. اذن لا ماضٍ ذهبي ولا حاضر محتقر في الاسلام المحمدي بل حاضر ناهض لمداواة جراح الماضي والتمهيد لظهور واستقبال الامل المشرق.

هذه هي الدوغمائية بأركانها الثلاثة وبمعاييرها الخمسة وقد بيّنا كيف ان رؤيتنا الاسلامية لا تتطابق معها. فليست هناك دوغمائية عند الشيعة الامامية بل هناك ادلة عقلية ونقلية متواترة وصحيحة انشأت فكرهم ومنهجهم المتسامح في الحياة وادت الى رسوخهم في العقيدة.